

قيمة اللغة العربية

مباحث لغوية ٣٢

تحرير:

د. سعود بن سليمان اليوسف

تأليف:

أ.د. محمود إسماعيل صالح
د. محمد عبدالقادر بسناسي
د. سعود بن سليمان اليوسف
د. ظافر بن غرمان العمري
د. منصور بن محمد الغامدي

د. عبدالعزيز بن صالح العمري
أ.د. عبدالله بن سليم الرشيد
د. عادل بن أحمد با ناعمة
د. عبدالرحمن بن حسن المحسني

مباحث لغوية ٣٢

قيمة اللغة العربية

تأليف

أ.د. محمـود إسمـاعيل صالح
د. محمد عبدالقادر بسناسي
د. سعود بن سليمان اليوسف
د. ظافر بن غرمان العمري
د. منصور بن محمد الغامدي

د. عبدالعزيز بن صالح العمري
أ.د. عبدالله بن سليم الرشيد
د. عادل بن أحمد با ناعمة
د. عبدالرحمن بن حسن المحسني

تحرير:

د. سعود بن سليمان اليوسف





قيمة اللغة العربية

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م

المملكة العربية السعودية – الرياض
ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإلكتروني: nashr@kaica.org.sa

ح/ مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٨هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
اليوسف ، سعود بن سليمان
قيمة اللغة العربية./ سعود بن سليمان اليوسف.
– الرياض، ١٤٣٨هـ
..ص؛ .. سم
ردمك: ٥-٠-٩٠٩٦٤-٦٠٣-٩٧٨
١- اللغة العربية أ. العنوان
ديوي ٤١٠ ١٤٣٨/٧٨٦٢
رقم الإيداع: ١٤٣٨/٧٨٦٢
ردمك: ٥-٠-٩٠٩٦٤-٦٠٣-٩٧٨

التصميم والإخراج
دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojooh Publishing & Distribution House
WOJOOOH
www.wojoooh.com
المملكة العربية السعودية – الرياض
الهاتف:4562410 الفاكس:4561675
للتواصل والنشر:
info@wojoooh.com


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

ينطلق عنوان الكتاب **قيمة اللغة العربية** من تصوّر خاص للغة العربية، لا يتاح لغيرها من اللغات، وذلك لما تتميز به العربية من عناصر داخلية هيأتها لكي تصبح لغة علمٍ وأدب وحكمة، وما هيأ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لها من عوامل تضافرت على أن تحفظ لها استمرارها وديمومتها، وتمنحها قدرة على البقاء، ومواجهة عوامل التلاشي.

ولأن الكتاب غايتُه العلمُ الذي يخضع للفحص والمنهج، فقد جاءت مباحث الكتاب معتمدة على لغة علمية، وبيانات دقيقة، ومستندة على لغة أرقام؛ وما ذلك إلا لإقصاء العاطفة، واستبعاد التحيّز.

كان **التمهيد** إطلالة على كثير من هذه العناصر، كالاشتقاق في العربية، ومرونتها الصرفية، وفرادتها النحوية، وما لها من سمات كالتنوين والتشديد.

كما أطلّ جزء منه على ما تهيأ للعربية من انتشار، سواء أكان على المستوى التعليمي، أم على المستوى الإعلامي والتقني.

أما البحث الأول **اللغة العربية في العالم** فتحدث فيه الباحث عن عالمَية اللغة العربية، والعوامل التي تشكّلت لتمنحها هذه الصفة: العامل التاريخي، والعامل الديني، والعامل السياسي والاقتصادي، والعامل الديموغرافي، والعامل اللساني.

وتحدث عن قدرة اللغة على مواكبة التطور، ومسايرة التمدّن، وهذا ما جعلها واحدة من أهم اللغات على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، بل إن اللغة العربية فرضت نفسها لغةً ثانيةً في كثير من الدول الأعجمية، ودخلت قاعة الدرس بصفتها منهجاً يدرَّس.

وفي البحث الثاني **الأبعاد الروحية والدينية للغة العربية** الذي يشي عنوانه بارتباط اللغة العربية بالدين، استعرض الباحث الأدلة من الكتاب والسنة وكذا الأدلة من آثار السلف على هذه العلاقة الوثقى بين الإسلام وبين اللغة العربية، وكيف شكلت هذه العلاقة رابطاً روحياً جعل المسلمين ينضوون تحت لوائه، حتى صارت معرفة اللغة العربية جزءاً من الدين؛ لكونها من الوسائل التي يُتوسَّل بها إلى معرفة أوامره ونواهيه، ولأنها وعاء حمل إلى كلّ من يتكلم العربية تراكماً حضارياً، وكنزاً من الآداب.

ولقد انضم البحث الثالث **القيمة الحضارية للغة العربية** إلى سابقه من حيث تناوله قيمة اللغة العربية حضارياً، وعمرها الضارب في التاريخ؛ إذ هي أقدم اللغات على إطلاق التي ما تزال نصوصها القديمة كلها تُفهم حتى يومنا هذا. أما اللغات الأخرى فعمرها محدود ببضعة قرون.

إضافة إلى أن اللغة العربية هي قناة أوصلت للأجيال جيلا بعد جيل بحوراً من الآداب، وتدفقت من خلالها خبرات الحكماء وتجارب الناس إلى الأجيال التي تلتها، وما ذاك إلا لقدرتها العجيبة على تصوير أدق خلجات النفس الإنسانية، إضافة إلى ما تحمله من سمات جمالية هيأتها لنقل هذه الآداب، ثم هي من جهة أخرى لغة لها قدرة على نقل العلوم والفلسفات.

وفي البحث الرابع **اللغة العربية ومواكبة العلوم والمعارف الإنسانية والتطبيقية المعاصرة** تتبّع الباحث مسيرة اللغة العربية والمحطات التي مرّت بها، انطلاقا من العصر الجاهلي، ومروراً بعصر بعثة النبي ﷺ ، ثم مرحلة تدوينها، فمرحلة الإبداع والعلم، وهي المرحلة التي تفتّقت فيها المعارف، وتفتحت فيها آفاق الإبداع، ثم مرحلة ظهور الآلة الطابعة، وانتهاء بمرحلة الحاسب والأجهزة الذكية. واللغة العربية في كل أولئك تكشف عن قابلية مذهلة وطواعية عجيبة لمسايرة ذلك التطور، ولم تجد نفسها في مرحلة ما عاجزةً عن مجاراة ركب التقنية، بل إن برامج تطويرها في تحسّن مستمر.

وقد استعرض الباحث نظامها الصوتي، والصرفي، والنحوي، والكتابي، وقابليتها لتعريب العلوم، وهو ما جعلها من أقدر اللغات على مواكبة العلوم والمعارف الإنسانية والتطبيقية المعاصرة.

أما البحث الخامس **تعزيز انتشار اللغة العربية في حياة المجتمع** فقد استعرض فيه الباحث عوامل تعزيز انتشار العربية: العامل الحضاري والثقافي، والعامل الديني، والعامل الرسمي/ الحكومي، والعامل الإعلامي، والعامل العلمي التأصيلي.

ولقد اختار الباحث **أسماء المشروعات والمحال التجارية مثالاً**، مبيّناً ضوابط اختيار الاسم، وأنّ الألفاظ العربية قادرة أن تختصر كثيراً من الأوصاف، واستشهد بأسماء أنظمة وبرامج حكومية اتُّـخذ لها اسم من لفظ واحد، فجاءت معبّرة عن وصف النظام أو البرنامج، مثل: ساهر، وحافز، وطاقات، ونور.

كما أكد الباحث أن كثيراً من الألفاظ التي نظن أنها ألفاظ معجمية تحمل من الدلالات والجمال والموسيقا ما يجعلها ملائمة لأسماء المشروعات التجارية.

وجاء البحث السادس **الواقع الإعلامي والإشهاري للغة العربية** عرًضاً وتوصيات، استعرض فيه الباحث واقع اللغة العربية في إعلامنا بوسائله كافة: المقروءة، والمسموعة، والمرئية؛ إذ كشف الاستعراض أن واقع اللغة العربية في هذه الوسائل يؤكد جور أبنائها

عليها، وزحف اللغات الأخرى إليها، ومزاحمتها على ألسنة أبنائها! وأن ما ينشر في الصحف، أو يذاع في البرامج إنما هو في معظمه وسيلة لتقويض جهود تعليم اللغة العربية وحمايتها والتمكين لها.

وجاء البحث السابع **اليابان ومَشْرِقُ العربية** قراءةً في عوامل انتشار العربيّة في دولة اليابان، واستعراضاً لمراحل دخول الإسلام واللغة العربية لها، والترجمات المبكرة للقرآن الكريم والسنة الشريفة والسيرة المطهرة إلى اللغة اليابانية.

وقد استعرض الباحث أثر العامل الأكاديميّ التعليميّ في نشر العربية في اليابان، وسرد كثيراً من أسماء الجامعات والمعاهد التي عُنيت بتدريس اللغة العربية، وأسماء جملة من الأعلام اليابانيين الذين أخذوا على عاتقهم نشر الثقافة العربية في اليابان، وذكر قائمة من عناوين الكتب في هذا الصدد.

واستعرض أيضاً العوامل الأخرى، كالعامل الثقافي والاجتماعي، والعامل الاقتصادي، والعامل السياسي، مبيّناً أثرها في التفات اليابان إلى تعليم اللغة العربية.

أما البحث الثامن **اللغة العربية في نفوس أبنائها مقارنة باللغات الأخرى** فهو دراسة مسحيّة على فئة من طلاب التعليم الجامعي في تخصص اللغة الإنجليزية والطب؛ وذلك لقياس كثير من المؤشرات المتصلة باللغة العربية، من قبيل: اعتزاز الطلاب وانتمائهم الوجداني للغتهم الأم، ومدى رغبتهم في تدريس العلوم والطب بلغتهم الأم، وسبر مدى تأثر الطلاب بضغط المجتمع القبلي على التحدث باللغة الفصحى، وأثر وسائل التواصل الاجتماعي في لغتهم، وتأثير القنوات الإخبارية التي تتحدث الفصحى في لغتهم.

ومن المهم في بحوث الكتاب أنها إلى جانب استعراض تاريخ اللغة العربية، وعلاقتها بالدين الإسلامي، وبالحضارة الإسلامية، ومرونتها وقابليتها لمواكبة العصر وتقنياتها، ودخولها كثيراً من البلدان الأجنبية؛ إذ فرضت نفسها لغة في الدرس الأكاديمي = أن

البحوث إلى جانب هذا قد انتهت إلى توصيات نأمل إذا نحن استطعنا تطبيقها أن نقدّم للغتنا العربية لغةِ الإسلام ما ينهض بها، ويجعلها تزاحم اللغات الأجنبية الأخرى، وتتصدر القائمة في وسائل الإعلام برمّتها، وفي كثير من المجالات، وأن تستعيد الأمة الإسلامية والعربية هُويتها اللغوية.

والله الموفق.

سعود بن سليمان اليوسف

اللغة العربية ومنزلتها بين اللغات

أ.د. محمود إسماعيل صالح

المقدمة:

يتحدث اللسانيون الاجتماعيون، وخاصة المهتمون منهم بالتخطيط اللغوي، عن عوامل وصفات عدة تؤثر في أهمية اللغة ومكانتها ومبررات اختيارها لغة رسمية في أي بلد أو منطقة، يمكننا أن نوجزها في النقاط التالية، مع توضيح علاقة كل منها ومدى تطبيقه على اللغة العربية، ومن ثم نستطيع أن نحكم بصورة موضوعية على مكانة اللغة العربية في العالم مقارنة باللغات الأخرى.

أولاً: العوامل المؤثرة في مكانة اللغة:

خصائص اللغة اللسانية:

النظام الصوتي للغة:

من المعروف أن اللغة العربية إحدى اللغات السامية العريقة، ويتميز نظامها الصوتي بالصفات التالية:

عدد أصواتها: أربعة وثلاثون صوتاً، منها ثمانية وعشرون صامتاً أو شبه صامت، وستة صوائت أو حركات (ثلاث قصيرة وثلاث طويلة)، وفي رأيي أن عدد الصوامت

أهم من عدد الصوائت، وهو ما نجده في كثير من اللغات (الإنجليزية مثلاً)، حيث إنها تحمل لبَّ المعنى في الألفاظ ومنها يكون الاشتقاق.

التشديد والتنوين ودورهما الصرفي والنحوي:

جدير بالذكر أن اللغة العربية تستخدم كامل النطاق النطقي للإنسان؛ إذ تستغل أصواتها النطاق الذي يبدأ من أقصى الحلق (الحبال الصوتية) إلى الشفتين، كما تضيف إلى ذلك ظاهرة لا تكاد تعرف في اللغات الأخرى المشهورة وهي ظاهرة الإطباق، الذي يؤدي إلى التمييز بين السين والصاد والتاء والطاء مثلاً، من هنا يمكننا الزعم بوجود خصائص صوتية أو نطقية مميزة للغة العربية.

من الجانب فوق القطعي، نجد أن العربية مثل معظم لغات العالم المعروفة لغة تنغيمية intonation language (أي أن الاختلاف في طبقة الصوت pitch يؤثر في معنى الجملة، وليس على مستوى الكلمة كما هو الحال مع الصينية والفيتنامية مثلاً)، وتستخدم العربية أربع طبقات من الصوت وثلاثة أنواع من الوقف الجملي للتعبير عن معانٍ مختلفة أو لأداء وظائف لغوية مختلفة، كالإخبار والاستفهام والتعجب والاستمرار في الكلام وما شابه ذلك، كقولنا: «محمد طالب جامعي» على وجه الإخبار، فيكون النمط التنغيمي: متوسط –مرتفع–هابط ووقفة هابطة. أما إذا أردنا الاستفسار فيختلف النمط التنغيمي ليصبح: متوسطا –مرتفعا مع وقفة صاعدة، وكما هو معروف ترتفع طبقة الصوت المرتفعة خاصة درجة أو أكثر للتعبير عن التعجب أو الاستغراب. عند رغبتنا في الاستمرار في الجملة أو العد، غالباً ما نلجأ إلى استخدام النمط التنغيمي: متوسط – مرتفع –متوسط مع وقفة معلقة sustained juncture؛ وذلك لكي يتابع السامع كلامنا ويعرف أن العبارة لم تنتهِ بعد.

كذلك نجد أن العربية تستخدم كلاًّ من نبر الكلمة ونبر الجملة في الكلام المنطوق، مثلاً نجد أن كل كلمةٍ منبورةٌ تبعاً لقواعد معلومة، كنبر المقطع الأول من الكلمة إن كانت مقاطعها قصيرة (كما في كَ - تَ – بَ)، ويقع النبر على المقطع الطويل (به صائت طويل أو صامتان متتابعان (كما في مَ – كا – ن، أو مَ – صرِ – ف)... إلى غيرها من القواعد المعروفة[1]. أما على مستوى الجملة فنجد أننا ننقل النبرة من كلمة إلى أخرى

١– ينظر: داود عبده، دراسات في علم أصوات العربية، ج١، دار جرير، عمّان، ط٢، ٢٠١٠م.

حسب رغبتنا في التأكيد على أي منها (في الجملة: اشترى زيدٌ كتاباً جديداً، يمكننا أن ننقل النبرة الجملية إلى الفعل أو الفاعل أو المفعول به أو الصفة؛ لنؤكد للسامع أياً منها).

(جدير بالذكر أن علامات الترقيم والاستخدام الخاص للأبناط أو الألوان أو وضع الخط تحت الكلمة كلها وسائل كتابية للتعبير عما يسمى بالظواهر فوق القطعية (أو التطريزية كما يسميها اللغوي المعروف كمال بشر). كذلك نجد أن الوزن في الشعر إنما يعتمد على أنماط توزيع نبر الكلمة).

النظام الصرفي:

اللغة العربية، كما هو معروف، لغة اشتقاقية بامتياز، فهي تعتمد الجذر الثنائي أو الثلاثي أو الرباعي منطلقاً لتكوين كلمات اللغة. ثم إن هناك التصريف بصوَرِه المختلفة، مثل: تصريف الفعل للدلالة على الزمن والشخص والجنس والعدد. فهناك ثلاث صيغ أساسية هي: الماضي والمضارع والأمر، ولكل من هذه الصيغ تصريفاته تبعاً للشخص (متحدث أو مخاطب أو غائب)، ثم الجنس (مذكر أو مؤنث)، ثم العدد (مفرد أو مثنى أو جمع). وهناك تصريفات الاسم إلى المؤنث والمثنى والجمع بأنواعه.

أما من حيث الاشتقاق فأبواب المشتقات معروفة، مثل: المصدر واسم الفاعل واسم المفعول واسم الهيئة واسم المرة واسم الآلة وصيغ المبالغة... إلى غير ذلك، ثم هناك من يميز بين الاشتقاق الصغير والاشتقاق الكبير والأكبر والكبار في العربية[1].

ولا شك أن كل هذا يجعل اللغة العربية أغنى لغة في العالم حسب علمنا من حيث إمكاناتها وصيغها الصرفية، وهو ما يتيح لها التعامل بسهولة مع الحاجات المستجدة لألفاظ جديدة لزيادة معجمها ثراءً، وللتعبير بدقة عن المعاني المختلفة، كما سنرى عند الحديث عن الخصائص المعجمية للغة العربية.

النظام النحوي أو التركيبي:

تمتاز العربية بظاهرتي الرُّتبة أو ترتيب الكلمات word order والإعراب للتعبير عن الوظائف النحوية المختلفة، على العكس من كثير من اللغات المعروفة، كالإنجليزية التي تعتمد على ظاهرة واحدة فحسب للتعبير عن هذه الوظائف، ألا وهي ترتيب الكلمات

١- ينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، وكذلك الفصول التي نشير إليها أدناه من كتاب صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، إضافة إلى "الفصل التاسع: صيغ العربية وأوزانها" في الكتاب المذكور، وعبدالله أمين: الاشتقاق.

(كما الحال أيضًا في العاميات العربية). فالعربية تعبر عن الفاعل مثلاً بصيغة الرفع، وفي حالة غياب الحركة تلجأ إلى موقع الكلمة (كما في: قابل موسى عيسى)، حيث تكون الكلمة الأولى فاعلاً وتكون الثانية مفعولاً به. كذلك تستخدم العربية ترتيب الكلمات للتمييز بين الصفة والموصوف، والمضاف والمضاف إليه، إلى غير ذلك من الوظائف النحوية.

هذا وتؤدي ميزة العربية تلك إلى المرونة في تغيير موقع الكلمة دون إخلال بوظيفتها النحوية، وذلك للتعبير عن أغراض بلاغية خاصة. كذلك نجد أن استخدام العربية لظاهرتي الرُّتبة والإعراب في آن واحد يؤدي إلى ما يسمى بتكرار المعنى redundancy في علم المعلومات، وهذا مما يساعد على وضوح المعنى في ذهن السامع أو القارئ، فالخطأ في استخدام إحدى الظاهرتين يغطي عليه الصحة في الظاهرة الأخرى. (ربما كان هذا من العوامل التي تمكّن العربي من قراءة النصوص غير المشكولة وفهمها دون عناء يذكر، كذلك يساعده في فهم الجمل الخاطئة نحوياً عند سماعها، كما نلاحظ عند سماع المحاضرين والخطباء الكثر للأسف ممن يلحنون في لغتهم).

النظام المعجمي:

نظراً لتاريخها الطويل الذي يمتد دون انقطاع، ولكثرة لهجاتها واتساع رقعة منطقة استعمالها، تميزت اللغة العربية بثراء لفظي ملحوظ، كما نرى في معاجم المعاني والمترادفات العربية، حيث نجد العشرات بل المئات أحياناً من المترادفات (بالأحرى أشباه المترادفات) للتعبير عن الشيء أو المفهوم الأساس الواحد، وهنا أركّز على كلمة أساس واحد؛ لأن معظم اللغويين قديماً وحديثاً لا يؤمنون بالترادف التام في اللغة، إلا في بعض المصطلحات العلمية وأسماء بعض الأشياء (مثل: حاسب آلي، حاسوب، كمبيوتر، جوال، محمول، نقال، خليوي ...).

وهناك جانب مهم آخر يجب أن نأخذه بعين الاعتبار عندما نتحدث عن الثروة اللفظية للغة العربية، وهي ظاهرة الاشتقاق الغنية بإمكاناتها غير المحدودة تقريباً؛ إذ أدرك الخليل بن أحمد الفراهيدي من تقليباته عند إعداد معجم العين أن هناك جذوراً وصيغاً كثيرة لم تستعمل، ومن ثم تشكل مَعيناً لا يكاد ينضب للألفاظ الجديدة والثراء المعجمي للغة العربية. (مقابل هذه الإمكانات الصرفية الهائلة للغة العربية

نجد أن اللغات الأوربية الحديثة تلجأ إلى الجذور اليونانية واللاتينية في صياغة معظم المصطلحات العلمية الجديدة؛ لضعف إمكاناتها الذاتية في ذلك).

وجانب ثالث يجب ألّا نغفله هنا، هو تقبل العربية للألفاظ الأجنبية وتعريبها والاستفادة منها، بل وإخضاع كثير منها للإمكانات التصريفية والاشتقاقية العربية، ومن ثَم يؤدي هذا إلى ثراء اللغة معجمياً، فمنذ العصر الجاهلي استقبلت العربية ألفاظاً أعجمية ودمجتها في نسيج العربية المعجمي، ومن ذلك ما يشار إليه بالكلمات الأعجمية في القرآن الكريم (الصحيح أنها كلمات عربية ذات أصول أعجمية وليست كلمات أعجمية؛ إذ كانت متداولة في الجزيرة العربية)، مثل صراط ودينار ودرهم وسندس.

البلاغة والتداولية:

أود أولاً أن أشير إلى مصطلح التداولية الذي دخل اللغة العربية للتعبير عن المصطلح اللساني pragmatics، ويمكننا تبسيطه بأنه: العلم الذي يدرس اللغة في سياقها الاجتماعي، أي التعبير عن الوظائف التواصلية المختلفة وفق ظروف المقام المختلف، مثل المتكلم والمخاطب والمكان والزمان. وتشمل البلاغة في جانب منها دراسة هذه العلاقة بين المقال والمقام، بل إن البعض يرى أن البلاغة في التعبير هي «مناسبة المقال للمقام».

ومما لا شك فيه أن البلاغة العربية بجوانبها البيانية والبديعية غنية بإمكانات التعبير والتواصل المختلفة بشتى الصور وفي الظروف المختلفة. ولا تقل عن أية لغة أخرى، إن لم تبزّ كثيراً من اللغات في هذا الجانب المهم للغة ووظيفتها التواصلية والتعبيرية.

نظام الكتابة العربية:

يتسم نظام الكتابة بالحرف العربي بمرونة كبيرة ليست متوافرة في أنظمة الكتابة الأخرى، سواء أكانت هجائية أم مقطعية أم كلمية، ويتضح ذلك من إمكانية الاستغناء عن الحركات القصيرة وإضافتها. كذلك يظهر ذلك في إمكانية إدخال تعديلات وإضافات إلى حروفها (مثل: أنواع وأعداد النقط والخطوط إلى الباء والفاء، بل والراء كذلك، وما يسمى بالكاف الفارسية لتمثيل الكاف المجهورة «الجيم القاهرية»)، وقد أدى ذلك إلى استعمال الحرف العربي في كتابة كثير من اللغات التي تنتمي إلى أسر لغوية وبيئات جغرافية من العالم (من أقصى شرق وجنوب شرق آسيا مروراً بشبه القارة

الهندية إلى أقصى شمال إفريقيا، ومن شمال إفريقيا حتى جنوبها (هناك مصادر تثبت كتابة لغة الأفريكان في جنوب أفريقيا بالحرف العربي) وشرقها وغربها، بل إن هناك مصادر تاريخية تثبت كتابة حتى بعض اللغات الأوربية (الإسبانية خاصة) بالحرف العربي، وهو ما فعله المسلمون العرب بعد أفول دولة الأندلس[١].

تاريخية اللغة وعراقتها:

من المعروف أن اللغة العربية تنتمي إلى أسرة اللغات السامية التي تنتمي إليها مجموعة من اللغات المعروفة كالأمهرية في الحبشة والسريانية في الشام والعبرية، وتعتبر اللغة العربية فريدة بين سائر اللغات من حيث استمرارها في صورتها الأساس مدة تزيد عن الخمسة عشر قرناً دون تغيير يذكر في تراكيبها وأصواتها ومفرداتها، وهو أمر يفسر قدرة العربي اليوم أن يقرأ القرآن الكريم ويفهمه بصورة عامة دون أية مشقة. كذلك الأمر مع النصوص الإسلامية الأخرى، بل وكثير من الشعر الجاهلي كذلك (مع ملاحظة أن لغة الشعر ليست دائماً في مستوى سهولة النثر في اللغة)، ولا يجد المثقف العربي صعوبة في فهم النصوص غير المتخصصة من شتى العصور المختلفة، بل ومن المناطق الجغرافية التي تمتد من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي، (بل حتى النصوص التي كتبها المسلمون في أواسط آسيا وفي جنوبها الشرقي كذلك)، أو الأندلس إبان الأربعة عشر قرناً الماضية. في مقابل ذلك نجد أن المثقف الإنجليزي قد يجد صعوبة في قراءة بعض النصوص التي لا يزيد عمرها على الخمسة قرون فحسب[٢].

استجابة اللغة لاحتياجات الناطقين بها:

لقد أثبتت اللغة العربية القدرة على الوفاء بحاجات أهلها طيلة القرون الخمسة عشر الماضية، قبل ومنذ نزول القرآن الكريم الذي لم يدع شيئاً يهم الإنسان إلا وتحدث عنه بوضوح وفصاحة متناهية، ثم أثبتت العربية قدرتها على الوفاء بحاجة المجتمع

١- ماء العينين العتيق: اللغة العربية في إسبانيا، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط١، ٢٠١٥م، ص٤١.

٢- لدراسةٍ قيِّمة عن تاريخ اللغة العربية؛ ينظر: "العربية الباقية وأشهر لهجاتها" خاصة "شجرة اللغات السامية" (ص ٦٤)، في الكتاب القيم للدكتور صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة. ولمزيد من المعلومات عن الخصائص اللسانية للعربية، ينظر: إدريس العلمي (٢٠٠١) الذي يورد استشهادات لآراء كتاب عرب وغربيين، إضافة إلى ملاحظاته الشخصية، وكذلك عبدالعزيز العصيلي في كتابه من خصائص اللغة العربية.

العربي عند احتكاكه بالشعوب الأخرى، بدءاً بتعريب الدواوين في العصر الأموي، ثم استمراراً في تعريب العلوم والفلسفة ونقلها من اللغات الشرقية واللاتينية واليونانية على مدى قرون عديدة في العصرين الأموي والعباسي، وأخيراً في العصر الحديث؛ إذ تعامل العرب مع عشرات بل ربما مئات الآلاف من المفاهيم الحضارية والعلمية، ويكفي أن نشير إلى أن مجمعاً واحداً (مجمع اللغة العربية في القاهرة) وضع ما لا يقل عن مائة ألف مصطلح إبان الخمسين سنة الأولى من عمره.

نورد استشهاداً أورده الدكتور فرحان سليم في دراسة له حيث يقول: «يقول الألماني فريتاغ: اللغة العربية أغنى لغات العالم»[١].

إمكانية تطويرها ونموها:

يروي الدكتور فرحان سليم عن أحد المستشرقين: يقول وليم ورك: (إن للعربية ليناً ومرونةً يمكّنانها من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر).

مما لا شك فيه أن إمكانات تطوير اللغة العربية والارتقاء بها لا يحتاج إلى دليل أكثر مما ذكرنا آنفاً، فاللغة العربية تمتاز بحيوية بالغة في النمو المعجمي خاصة كما نلاحظ منذ بداية العصر الإسلامي الأول، حيث نجد مئات من الألفاظ التي أخذت منحى جديداً واكتسبت مفاهيم إسلامية جديدة دون كبير عناء. واستمر هذا النمو خلال العصور المختلفة، بالرغم من الفتور والوهن الذي اعترى اللغة مؤقتاً إبان عصور الانحطاط الحضاري في العالم العربي والإسلامي.

ومن مظاهر طاقة اللغة العربية في النمو ظاهرة الاشتقاق بأنواعه الثلاثة: الصغير والكبير والأكبر، إضافة إلى ظاهرة النحت والترادف والاشتراك اللفظي، وقد أفرد له اللغويون العرب المجلدات في دراساتهم[٢]، وكل ذلك وسائل من داخل اللغة، وهناك أيضًا مرونة العربية في تقبل الألفاظ المقترضة من لغات مختلفة، وتعد بالآلاف في القديم والحديث[٣]، ولا يمكن للقارئ أو المستمع أو المشاهد العربي أن يغفل عما تزخر به

١- فرحان السليم: "اللغة العربية ومكانتها بين اللغات"
http://www.saaid.net/Minute/33

٢- ينظر على سبيل المثال: صبحي الصالح: "المناسبة الوضعية وأنواع الاشتقاق"، وكذلك "النحت أو الاشتقاق الكبار"، و"اتساع العربية في التعبير"، و"تعريب الدخيل"، في كتابه: "دراسات في فقه اللغة".

٣- ينظر على سبيل المثال: المعرب للجواليقي ومنار السبيل وغيرها مما حاول تسجيل الألفاظ المقترضة من اللغات المختلفة في العصور الإسلامية المختلفة السابقة.

المراجع العلمية ووسائل الاتصال المقروء والمسموع والمشاهد والإلكتروني في العصر الحديث من ألفاظ مقترضة ومعرّبة من لغات مختلفة.

قبل أن نختم هذا القسم من الدراسة، نود أن نورد ملاحظة قيّمة ذكرها اللغوي العربي المعروف صبحي الصالح في كتابه المذكور آنفاً، حيث يقول:

«ولعل أبرز العوامل في اشتمال لغتنا على هذا الثراء العظيم أن المهجور في الاستعمال من ألفاظها كتب له البقاء، فإلى جانب الكلمات المستعملة كان مدونو المعجمات يسجلون الكلمات المهجورة، وما هجر في زمان معين كان قبلاً مستعملاً في عصر من العصور... وهجران اللفظ ليس كافياً لإماتته؛ لأن من الممكن إحياءَه بتجديد استعماله»[1].

وسائل المحافظة عليها والارتقاء بها:

من المعروف أن العربية تتميز بميزة فريدة من بين اللغات في مجال حفظها، فهي محفوظة بحفظ كتاب الله الذي وعد الله بحفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، وهذا ضمانٌ كافٍ لبقاء اللغة العربية خالدة مدى الأزمان، ولكن إضافة إلى هذه العناية الإلهية الخاصة هناك عوامل عديدة تساعد على الحفاظ على اللغة العربية، مثل التدوين والوصف الدقيقين لقواعدها، والتسجيل الشامل لألفاظها، مما هو مبثوث في عشرات الآلاف من المتون القديمة والحديثة منذ وقبيل الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه. وهناك وسائل حديثة تضاف إلى المخطوط والمطبوع، ألا وهي التسجيلات الإذاعية والتلفازية والحاسوبية. كل ذلك ولا ريب يعين على المحافظة على اللغة العربية. كذلك نجد أن انتشار استعمال اللغة في مجالات الحياة العامة والعلمية والتقنية المختلفة سيسهم في الارتقاء باللغة وفي نموها، إضافة إلى عوامل النمو المختلفة التي تحدثنا عنها آنفاً في الفقرة السابقة.

التراث الحضاري للغة:

لا شك أن اللغة العربية، إضافة إلى كونها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، تمتاز بالتراث الديني والثقافي والعلمي الهائل الذي لا نجد مثيلاً له بين اللغات، نظراً لتاريخها الطويل الذي يربو على الخمسة عشر قرناً من الزمان. وقد شارك في إنتاج هذا التراث العظيم مئات الآلاف من الكتاب والأدباء والعلماء من العرب

١- صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ط٢، ١٩٦٢م، ص٣٣٩.

وغير العرب ومن المسلمين وغير المسلمين، كتابة بها أو ترجمة إليها. وتشهد فهارس المكتبات والمتاحف العالمية على الكمّ الهائل لهذا التراث الذي ما زال كثير منه حبيس أرشيفات المخطوطات، بالإضافة إلى مئات الآلاف من المطبوع من هذا التراث.

نقرأ في هذا الصدد ما كتبه العلامة الراحل الدكتور عبدالوهاب عزام منذ أكثر من نصف قرن: «كان العالم أو الأديب في بخارى وسمرقند ومرو وبلخ يكتب في العلوم والآداب كما يكتب إخوانه في بطليوس وشنتبر غربي الأندلس وشماليها وفاس وتلمسان من بلاد المغرب.

ولبثت لغة القرآن قروناً مستأثرة بالعلم والأدب، ثم نشأت لدى الأمم الأعجمية لغات إسلامية شاركت العربية في الشعر ثم في النثر، وبقيت العربية لغة العلوم الدينية والعقلية قروناً كثيرة بعد نشوء تلك اللغات، واستأثرت بأمهات كتب العلم والأدب إلى قرون بعد غارات التتار التي دمرت العالم الإسلامي الشرقي في القرن السابع الهجري. لقد تحققت الأخوّة الإسلامية في اجتماع المسلمين على لغة القرآن تلك العصور، ولا تزال للغة العربية مكانتها ويهتم بها المسلمون غير العرب في كل بلد، ولا يزال في الأمم المسلمة غير العربية علماء وأدباء يجيدون العربية، ومنهم من يؤلف فيها، ولا يزال فيهم من يهتم بنشر الكتب العربية القديمة حتى اللغة ودواوين قدماء الشعراء. ولا تزال العربية معروفة مدروسة بين المسلمين ولا تزال آثارها واضحة في لغاتهم وآدابهم.

إن اللغات الأعجمية الإسلامية، أعني اللغات التي ترعرعت في هذه الأمم بعد دخولها في أخوّة الإسلام الجامعة، نشأت في حضانة العربية وشبّت تستمد منها ألفاظاً ومعاني وتحتذيها في أساليبها، وتشاركها في موضوعات علومها وآدابها».

استخدام اللغة في النشر العلمي والأدبي:

إذا نظرنا إلى النشر العلمي في اللغة العربية نجد أن هناك خللاً في التوازن بين الإنتاج العلمي في التاريخ العربي والإسلامي وبين كمية هذا الإنتاج في العصر الحديث من جهة، وبين الإنتاج غير العلمي (الأدبي والتاريخي والاجتماعي والسياسي مثلاً) وبين الإنتاج في المجالين العلمي والتقني من جهة أخرى لصالح الأولى من المجموعتين، في العصر الحديث. وربما يرجع ذلك جزئياً إلى غياب التعريب العلمي والتقني، من ثم لجوء كثير من الباحثين العرب إلى كتابة بحوثهم، وفيها أطروحات الماجستير

والدكتوراه والمقالات العلمية المتخصصة، بلغات أجنبية حتى في البلدان العربية للأسف، وفي الدوريات الصادرة من هيئاتها العلمية.

اللغة في وسائل الإعلام والشابكة:

يقول أستاذ الإعلام الإسلامي الدكتور/ عبدالعزيز شرف رواية عن أستاذة الإعلام الدكتورة جيهان رشتي في كتاب لها صدر عام ١٩٧٩م: «إن الإحصاءات العالمية تؤكد أن اللغة العربية تحتل المكان الثالث بين اللغات المستخدمة في الإذاعات الأجنبية...»[١].

على الرغم من أن هذه المعلومة وردت في مصدر عمره ثلاثون عاماً ويزيد، فلا نشك أن هذا لم يتغير كثيراً منذ ذلك التاريخ. ففي عصر القنوات الفضائية زاد عدد القنوات الفضائية التي تُبثّ بالعربية زيادة كبيرة، نذكر منها على سبيل المثال: القنوات الصينية، والروسية، والفرنسية، والبريطانية (محطتان)، والأمريكية، والإيرانية، التي لا يقتصر بثها على سويعات محدودة كما كان الأمر في الماضي، إلى جانب المحطات الإذاعية التي تبث برامج كاملة أو ساعات محدودة.

أما محطات البث العربية عبر القنوات الفضائية فهي ولا شك بالمئات، كما يلاحظ أي مطلع على التلفاز في أي منطقة عربية.

أما الشابكة (الإنترنت) فتذكر العربية نت أنه «في منتصف سنة ٢٠١٠م أشارت مصادر إلى تقرير مختص يذكر أن اللغة العربية حققت نموًا مرتفعًا بوجودها ضمن قائمة أكثر عشر لغات استعمالاً في الإنترنت؛ إذ حلّت في المرتبة السابعة محققةً نسبة انتشار وصلت إلى ٥, ١٧٪، ومتفوقة على لغات حية أخرى من بينها الفرنسية[٢].

ويذكر أسلمو ولد سيدي أحمد: «يقول عبدالقادر الفاسي الفهري، رئيس جمعية اللسانيات بالمغرب، في مقال له نشر في جريدة «المساء» المغربية، العدد: ١٦٨٦ بتاريخ ٢٤/ ٠٢/ ٢٠١٢م: «والمفارقة الغريبة التي كانت وما زالت تستعصي على فهمي هي أن العقد الذي هُمشت (وحُوربت) فيه اللغة العربية هو العقد الذي سجل أكبر الأرقام في انتشارها عبر العالم، وازدهارها تقانياً وعددياً واتصالياً... إلخ؛ وهو ما جعل

١- جيهان رشتي: الإعلام الدولي بالراديو والتلفزيون، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٦٩.

٢- العربية نت: "العربية" تفرض وجودها ضمن أكثر ١٠ لغات وجوداً بالإنترنت، تاريخ الوصول: ١٦مايو ٢٠١٠م.

بعض الدارسين يرشحونها لأن تصبح إحدى خمس لغات عالمية كبرى وقطبية، وهذا العقد هو الذي شهد بزوغ أكبر الفضائيات العربية وأجودها وأكثرها مصداقية في نقل المعلومة، ويمكن قياسها عند المغاربة قياساً موضوعياً إحصائياً... إلخ. وهذا العقد هو الذي شهد ارتفاعاً منقطع النظير لمستعملي الشابكة (الإنترنت) باللغة العربية؛ إذ قفز عدد المستعملين من ٢,٥ مليون سنة ٢٠٠٠م، إلى أزيد من ٦١ مليوناً سنة ٢٠١٠م، أي بزيادة ٢٥٠٠ في المائة. فهذه اللغة لها إمكانات عددية واتصالية وتقانية هائلة»[1].

عدد الناطقين باللغة:

من المعروف أن جميع الدول العربية يُعتبر أهلها ناطقين باللغة العربية في صورتيها الفصحى والعامية. وفيما يلي عدد سكان كل دولة عربية:

البلد – تعداد السكان

جمهورية مصر العربية – ٨٣,٢٣٣,٩٩٢

السودان – ٣٣,٩٧٥,٥٩٣

الجزائر – ٣٧,١٠٠,٠٠٠

المغرب – ٣٢,٦٩٦,٤١٥

العراق – ٢٦,٧٨٣,٣٨٣

السعودية – ٢٨,٣٦٧,٨٠٠

وعدد السعوديين منهم:– ١٩,٤٠٥,٣٥٥

اليمن – ١٩,٦٨٥,١٥١

سوريا – ٢١,٧٨٥,٠٧٥

تونس – ١٠,١٠٢,٠٠٠

ليبيا – ٦,٥٤٦,٠٠٠

الأردن – ٦,٢٤٨ مليون

الإمارات العربية المتحدة – ٨,٢ مليون (٢٠١٠)

لبنان – ٣,٧٥٩,١٠٠ (٢٠٠٧)

١– مركز الصحراء للدراسات والاستشارات
http://essahraa.net/archive/index.php/kjflkjhgfhjjk/39-2011-03-30-23-23-00/2910-2012-02-28-19-39-

فلسطين – 4,293,313 (الضفة والقطاع)
عُمان – ٢,٧٧٣,٤٧٩
الكويت – ٢,٤٥٧,٢٥٧
موريتانيا – ٣,٠٦٩,٠٠٠
قطر – ١,٨٤٤,٢٧٦
البحرين – ٧٠٨,٥٧٣
جيبوتي – ٤٩٦,٣٧٤
الصحراء الغربية – ٣٤١,٠٠٠
المجموع – ٣٠٦٣٨١٦٥٩

الدول التي تعتبر اللغة العربية لغة رسمية:

إضافة إلى الدول العربية التي تعتبر اللغة العربية لغة قومية، هناك دول تعتبر العربية فيها لغة رسمية، بمفردها أو إلى جانب لغة أخرى، مثل: الصومال، وجزر القمر، وتشاد، وإريتريا، وفلسطين المحتلة. وفيما يلي عدد سكان كل منها.

تشاد – ١٠,١٤٦,٠٠٠
الصومال – ٩,١١٨,٧٧٣
(فلسطين المحتلة) – ٧,١٨٤,٠٠٠ (العرب والمستوطنون)
إرتيريا – ٤,٤٠١,٠٠٠
جزر القمر – ٧٩٨,٠٠٠

دول أخرى يستعمل بعض سكانها اللغة العربية:

بالإضافة إلى الدول العربية والدول التي تعتبر فيها العربية لغة رسمية، هناك العديد من المناطق الأخرى المجاورة التي يستعمل أهلها اللغة العربية، كالأحواز (في إيران)، والإسكندرونة (في تركيا)، ومالي، والسنغال.

انتشار اللغة في العصر الحديث:

بحكم أن اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي ومصدره الأول والثاني (القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف)، إضافة إلى عشرات أو مئات الآلاف من المراجع

الدينية في العقيدة والشريعة، كما أنها لغة العبادة للمسلمين، فلا غرو أن نجد ذلكم الانتشار الواسع للغة العربية بين المسلمين في أصقاع الأرض، والذين يزيد عددهم على المليار ونصف المليار نسمة. ولا يكاد يوجد مجتمع إسلامي أو جماعة إسلامية في أي مكان في العالم لا يخصص دروساً لتعليم اللغة العربية، ويشمل ذلك جميع المراكز الإسلامية تقريباً في أي بلد في العالم.

ونورد أمثلة على هذا الانتشار في بعض الدول الغربية والشرقية في السطور التالية:

اللغة العربية في الولايات المتحدة الأمريكية:

تتفق المصادر المختلفة أن هناك في الوقت الراهن اهتماماً واسعاً، بل ومتزايداً، بتعليم اللغة العربية وتعلمها في آلاف المؤسسات التعليمية العليا في شتى بلدان العالم شرقاً وغرباً، إضافة إلى آلاف الطلاب غير العرب الذين يفدون إلى البلدان العربية ومعاهدها المتخصصة في تعليم العربية للناطقين بلغات أخرى. نورد أدناه خبرًا عن تعلّم اللغة العربية في الولايات المتحدة الأمريكية أوردته قناة العربية في التاسع من ديسمبر ٢٠١٠م:

«وأوضحت دراسة أمريكية حديثة أن الإقبال على تعلّم اللغة العربية في الجامعات والمعاهد الأمريكية شهد ارتفاعاً ملحوظاً خلال السنة الماضية بنسبة ٤٦٪ مقارنة بالعام ٢٠٠٦م»، وبحسب الدراسة فإن عدد المتقدمين للالتحاق بصفوف تعلم العربية خلال عام ١٩٩٨م بلغ نحو ١٠,٥٨٤ عشرة آلاف شخصٍ، أما في العام الماضي فارتفع إلى ٣٥ ألفاً»[(١)].

جدير بالذكر أن ما لا يقل عن أربعين جامعة أمريكية تدرّس اللغة العربية وتمنح درجات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في كثير منها، وذلك بالإضافة إلى المعهدين التابعين لوزارة الخارجية ووزارة الدفاع الأمريكيتين: معهد الخدمة الأجنبية Foreign Service Institute (FSI)، ومعهد الدفاع للغات Defense Language Institute (DLI).

كما يجب التنويه إلى أن العدد الذي ورد في الدراسة المذكورة سابقًا لا يشمل الدارسين في مئات المراكز والمدارس الإسلامية، وطلاب المدارس المتوسطة والثانوية في بعض الولايات الأمريكية.

1-https://www.alarabiya.net/articles/2010/12/09/128970.html

في دراسة لإحدى المؤسسات المعروفة في ألمانيا يقول الباحث بأن «اللغة العربية تزدهر في الولايات المتحدة الأمريكية» (ICEF Monitor، Germany) ، ١ ديسمبر، ٢٠١٤م.

كما تعنون صحيفة Mail Online في ١٥ نوفمبر ٢٠١٦م مقالًا بـ"اللغة العربية الآن الأسرع نموًا في الولايات المتحدة».

ومن نظرة سريعة لتعليم اللغة العربية عن طريق الشابكة (الإنترنت) في الولايات المتحدة، تبين أن هناك عددًا متزايدًا من هذه البرامج التي تعنى بتعليم اللغة العربية، ووجدنا حوالي أكثر من عشر مؤسسات تعليمية تقدم دروسًا في العربية على الشابكة[١].

إسبانيا:

يقول الباحث وليد الخليفة: «فيما يخص تعليم اللغة العربية في إسبانيا فإن الاهتمام بهذه اللغة قد زاد في السنوات الأخيرة؛ إذ كثرت المراكز الجامعية والأكاديمية التي تختص بتعليم العربية وآدابها. وفي الربع الأخير من القرن العشرين والسنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين فإن الدبلوماسية الإسبانية قد وعت تمامًا الدور الذي يمكن أن يلعبه العالم العربي الإسلامي على المستوى العالمي»[٢]، ويقول الخليفة أيضًا: «وعرف منتصف القرن العشرين اهتمامًا متزايدًا بالثقافة واللغة العربية؛ إذ أنشئت أقسام جديدة للغة العربية والدراسات الإسلامية لمنح شهادة البكالوريوس في العديد من الجامعات الحكومية الإسبانية، وصل عددها الآن إلى ثمان جامعات بها هذا الاختصاص... ثم هناك الكثير من الجامعات الإسبانية الأخرى التي تدرس العربية ضمن مناهجها كلغة (ب) و(جـ)، أي لغير المتخصصين»[٣].

في دراسة للدكتور نقولاس نبوت، يذكر الباحث ثماني جامعات تمنح إجازة في اللغة العربية، وجامعة تمنح إجازة تكون العربية فيها لغة إضافية، وسبع جامعات تمنح إجازة

١– انظر على سبيل المثال:

List of Free Online Arabic Courses and Classes - Study.com

study.com/.../List_of_Free_Online_Arabic_Courses_and_Classes.html

٢– بدر بن ناصر الجبر: تجارب تعليم اللغة العربية في أوروبا: عرض وتقويم، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط١، ٢٠١٥م، ص٨١.

٣– المصدر السابق: ص ٦٢.

في الترجمة العربية فيها لغة إضافية، و٢٢ معهدًا يقدم اللغة العربية[١].

ألمانيا:

في بحث عن دراسة اللغة العربية في ألمانيا يقول الباحث: «إنه نتيجة لبعض الأحداث المهمة؛ التحق حوالي ٤٠٠ طالب جديد بالدورات والصفوف للدراسات الإسلامية (تشمل العربية) خلال الفصل الدراسي الشتوي عام ٢٠١٢م، بالمقارنة مع العدد القليل قبل ١٠ سنوات إذ بلغ عددهم ١٨٠ طالباً فقط، كذلك في صفوف تعليم اللغة العربية مثلًا في جامعتي كولون ولايبسيك نجد أكثر من ١٠٠ طالب جديد كل سنة»[٢].

بلجيكا:

يذكر الأستاذ مارك فون مول بأن ست جامعات بلجيكية تدرس اللغة العربية، وعن التطور الكمي/ النوعي يذكر مثالًا جامعة لوفان الفلامنكية، يقول: بأن عدد الساعات الدراسية زادت من ٧٥ ساعة في عام ١٩٦٦م لتصبح ٦٥٠ ساعة في عام ٢٠١٤م[٣].

دول آسيوية:

لا ريب أن اللغة العربية لها مكانتها في قلوب المسلمين في هذه الدول، إضافة إلى الاهتمام المتزايد من الجهات الحكومية والاقتصادية فيها باللغة العربية وتعلمها. وسنذكر ثلاثة أمثلة على هذه الدول هي: إندونيسيا، والصين، والهند.

إندونيسيا:

في دراسة قيّمة عن اللغة العربية في إندونيسيا يذكر الباحثون أن هناك ٦٢ قسمًا أكاديميًا للغة العربية في الجامعات الإندونيسية (اللغة العربية في إندونيسيا، ٢٠١٥: ١١٣-١١٤). ويذكر (دليل مؤسسات اللغة العربية في إندونيسيا) بأن هناك ٥٣ جامعة

١- العتيق؛ ماء العينين: اللغة العربية في إسبانيا، ٥٦-٦٦.

٢- بدر بن ناصر الجبر: تجارب تعليم اللغة العربية في أوروبا: عرض وتقويم، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط١، ٢٠١٥م، ١٢٨.

٣- انظر: المصدر السابق ص ١٥٧.

و١٧ معهدًا تدرس اللغة العربية[1]، كذلك نجد في (دليل علماء اللغة العربية) أن عدد المتخصصين يصل إلى ١٦٢ عالمـــًا وباحثًا ومعلمًا في مجال اللغة العربية وعلومها.

الصين:

هناك عدد من الدراسات التي نشرها مركز الملك عبدالله عن اللغة العربية في الصين، نجد في أحدها أن العلماء المتخصصين في اللغة العربية لا يقل عن ٥٣ عالـما[2]، ومما لا شك فيه أن هناك عددًا لا بأس به من الجامعات الصينية في العاصمة وبعض المقاطعات الأخرى، الإسلامية خاصة، بها برامج لتعليم اللغة العربية، لعل من أشهرها جامعة بكين للغات الأجنبية.

الهند:

يقول مؤلفو (تاريخ اللغة العربية في الهند): إن هناك ٣٢ جامعة حكومية و٥٠ مؤسسة تعليمية أهلية تُعنى بتدريس اللغة العربية ومنح الدرجات العلمية فيها[3].

تعليق أخير:

هناك معلومات مهمة يجب أن نذكّر القراء بها حول تعليم اللغة العربية في دول العالم المختلفة، منها:

١. في معظم الدول الإسلامية تنتشر مئات، بل ربما آلاف المدارس والمعاهد الدينية التي تُعنى بتعليم اللغة العربية جزءًا أساسًا من مناهجها الدراسية.
٢. في الدول الغربية خاصة، هناك مئات المراكز الإسلامية وعشرات المدارس النظامية الإسلامية وغير الرسمية التي تعلّم اللغة العربية لأبناء المسلمين الذين يبلغون مئات الآلاف من الكبار والصغار.-

أثر العربية في اللغات الأخرى:

١- فريق من الباحثين: دليل مؤسسات اللغة العربية في إندونيسيا، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٥م، ١٠٩-١١١.

٢- انظر لين، خليل لو: دليل علماء اللغة العربية في الصين، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط٢، ٢٠١٥م.

٣- انظر: صهيب عالم: تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٥م، ص٥٢٩-٥٩٦.

تذكر بعض الدراسات أن «اللغات التي للعربية فيها تأثير كبير (أكثر من ٣٠٪ من المفردات) هي:

الأوردية، والفارسية، والكشميرية، والبشتونية، والطاجيكية، وكافة اللغات التركية، والكردية، والعبرية، والإسبانية، والصومالية، والسواحيلية، والتيغرينية، والتجرية، والأورومية، والفولانية، والهوسية، والمالطية، والبهاسا، وديفيهي (المالديف)، وغيرها. بعض هذه اللغات ما زال يستعمل الأبجدية العربية للكتابة ومنها: الأوردو، والفارسية، والكشميرية، والبشتونية، والطاجيكية، والتركستانية، الشرقية، والكردية، والبهاسا (بروناي وآتشيه وجاوة)».

كما تشير إلى أنه «دخلت بعض الكلمات العربية في لغات أوروبية كثيرة مثل: الألمانية، والإنكليزية، والإسبانية، والبرتغالية، والفرنسية، وذلك عن طريق الأندلس والتثاقف طويل الأمد الذي حصل طيلة عهد الحروب الصليبية»[١]. ويؤكد هذا الغزو اللغوي للغة العربية ما نجده في كتاب صدر حديثًا بعنوان :أوربا تتحدث العربية Europe Speaks Arabic للباحث ف عبدالرحيم الذي يورد أثر ذلك في أكثر من ستة عشر مجالًا من مجالات الحياة العامة والعلمية.

جدير بالذكر أن اللغة العربية لم يقتصر تأثيرها على معجم بعض اللغات حتى الأوروبية منها، بل وتعداها إلى جوانب لغوية أخرى، فالإسبانية مثلًا تأثرت بالعربية حتى على مستوى الأصوات والتراكيب، كما يذكر الباحث الإسباني إغناثيو فروتوس في دراسته المعنونة بـ«التداخل بين اللغتين العربية والإسبانية»[٢].

نظرة أهل اللغة إلى لغتهم:

يبدو أن هناك اختلافًا واضحًا في نظرة العرب إلى لغتهم على مستوى النخبة السياسية والفكرية، وعلى المستوى الجماهيري، وقد انعكس هذا على التدريس العالي بلغات أجنبية والاهتمام بتعليم أبنائهم اللغات الأجنبية على حساب لغتهم الأم (الاتجاه إلى إرسال الأبناء إلى المدارس الأجنبية في بعض البلدان العربية)، وفي التساهل في التعاملات التجارية والسياسية بلغات أجنبية على حساب العربية والناطقين بها، وهذا أمر يؤدي

١- ينظر أيضًا: زيغريد هونكه في كتابها: شمس العرب تستطع على الغرب.

٢- ماء العينين العتيق: اللغة العربية في إسبانيا، ص٦٧-٩٣.

إلى معاناة الجمهور العربي الذي لا يجيد لغة أجنبية (الإنجليزية خاصة) في التعامل مع العمّال الوافدين في شتى القطاعات الصحية والتقنية، بل والسياحية (الفنادق مثلاً) في بلدان الخليج العربي بشكل واضح.

كذلك نلاحظ ذلك في بعض المؤتمرات التي تُعقد في مهد اللغة العربية (مثل مؤتمر المنتدى الاقتصادي)؛ إذ تكون لغة المؤتمر الرسمية اللغة الإنجليزية لا العربية، وبها يلقي كثير من الخبراء والمسؤولين العرب كلماتهم في هذه المؤتمرات.

نظرة الآخرين إلى اللغة وأهلها وثقافتها:

ينظر المسلمون غير العرب إليها على أنها لغة مقدسة، وينظر البعض إليها بوصفها لغة التراث الحضاري على مدى خمسة عشر قرناً. وهناك قلة، وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، ينظرون إليها على أنها لغة بلدان «مصدرة للإرهاب»[١].

علاقة اللغة بالدين:

من المعروف أن العربية ارتبطت طوال القرون الأربعة عشر الماضية بالدين الإسلامي، فهي لغةُ مصدريه الأولَيْن (القرآن والسنة) ومعظم مراجعه الأخرى. ثم إنها لغة العبادة من صلاة وخطب الجمعة والعيدين كذلك (في بعض المذاهب)، فلا غنى لمسلم عن شيء من العربية مهما كانت لغته.

العامل الاقتصادي وأهمية أهل اللغة اقتصاديًا:-

هناك أمران يجب أن نشير إليهما في هذا المجال، هما: أولاً: أهمية الثروة النفطية واحتياطياتها في العالم العربي؛ إذ يوجد بالعالم العربي أكثر من نصف احتياطي العالم من البترول، والدول العربية هي من أكثر الدول التي تزود العالم شرقيه وغربيه بمصدر الطاقة الأول. ثانياً: نجد أن العالم العربي بشعوبه المختلفة التي يزيد عددها على الثلاثمائة مليون نسمة يمثل سوقًا استهلاكية كبيرة للمنتجات التقنية والغذائية وسائر أنواع البضائع المختلفة التي تنتجها دول الشرق والغرب الصناعية. يضاف إلى ذلك فرص العمل المتاحة في كثير من الدول العربية (الخليجية خاصة) للخبراء وأشباه الخبراء من الغربيين. ونضرب مثالًا على ذلك احتلال اللغة العربية المركز الثاني بعد

١- لعل هذا واحدٌ من أسباب زيادة الاهتمام بالعربية في الولايات المتحدة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

الألمانية في سوق العمل في بريطانيا، حسبما ورد في دراسة أجرتها إحدى المؤسسات المتخصصة في سوق العمل[1]، ولا شك أن هذه الحوافز عوامل مهمة في تعزيز مكانة اللغة العربية على المستوى العالمي.

الموقع الإستراتيجي لموطن اللغة:

من الواضح أن البلدان العربية تحتل منطقة إستراتيجية على المستوى الجغرافي السياسي في الشرق الأوسط، الذي يعتبر ملتقى القارات ومكان أهم الممرات المائية بين الشرق والغرب.

ثانياً: مكانة العربية في ضوء العوامل المذكورة:

إن نظرة واحدة إلى اللغة العربية في ضوء العوامل التي تؤثر في مكانة أية لغة، مما تحدثنا عنه في القسم الأول من هذه الدراسة؛ ليثبت لنا بشكل قاطع المميزات الكثيرة للغة العربية، التي تؤهلها لتتبوأ مكانة عالمية مرموقة، على الرغم من التقصير الواضح من أهلها في الاستفادة منها وفي نشرها في أنحاء العالم.

مكانة اللغة العربية بوصفها لغة دينية:

لا شك أن العربية تحتل المركز الأول بوصفها لغة للشعائر الدينية؛ إذ إن اللاتينية التي تستخدم في الكنائس الكاثوليكية يقتصر استخدامها لدى الملتزمين بها على رجال الدين فحسب، كما أن العبرية، حتى وإن التزمت بها جميع المعابد اليهودية في أنحاء العالم، لا يزال عدد مستخدميها محدوداً جداً إذا ما قورنت باللغة العربية.

مكانة اللغة العربية من حيث التعداد السكاني:

إذا نظرنا إلى عدد الناطقين باللغة العربية الذين يعتبرونها لغة رسمية نجد أن العربية تحتل المركز الخامس أو السادس، بعد الصينية والإنجليزية والإسبانية والفرنسية (والهندية حسب بعض الدراسات).

---

١ – (الخبر ورد في: العربية. نت).https://www.alarabiya.net/ar/aswaq/economy/2016/09/26

مكانة اللغة العربية الرسمية في الهيئات الرسمية:

منذ عام ١٩٧٣م أضحت اللغة العربية لغة رسمية في الأمم المتحدة وهيئاتها المختلفة، وتكون بذلك اللغة الرسمية السادسة فيها، بجوار الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والصينية والروسية، وتشمل هذه الهيئات: اليونسكو ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة الغذاء والزراعة (الفاو) وغيرها. وكذلك تُعدّ العربية لغة رسمية في الاتحاد الإفريقي ومنظمة المؤتمر الإسلامي والاتحاد الدولي للاتصالات والأوبك وغيرها من المنظمات الدولية المعروفة.

جدير بالذكر أن هناك خمس عشرة منظمة دولية لها مواقع باللغة العربية، هي: سكرتارية الأمم المتحدة واليونسكو ومنظمة الصحة العالمية والصليب الأحمر الدولية والمنظمة العالمية لحماية الحقوق الفكرية (ويبو) ومنظمة الأغذية والزراعة (فاو) والاتحاد الدولي للاتصالات ومنظمة العمل الدولية وصندوق النقد الدولي ومنظمة رعاية الطفولة الأممية (يونسيف) وبرنامج الأغذية العالمي والاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) والشرطة الجنائية الدولية (إنتربول) ومنظمة العفو الدولية (أمنستي) والمنظمة العالمية للأرصاد الجوية[١]، وأنا على يقين أن هناك منظمات دولية أخرى، إلى جانب المنظمات المذكورة، لها مواقع خاصة بالعربية أو تُعنى باللغة العربية في مواقعها.

الخاتمة:

باستعراضنا للعوامل المؤثرة في مكانة اللغات وأهميتها، نجد أن اللغة العربية تتوافر فيها معظم المميزات والخصائص التي تضفي أهمية للغة إن لم تكن جميعها، فهي متميزة من حيث الخصائص اللسانية وإمكانات التحديث ومظاهر الانتشار من حيث وسائل الإعلام والاتصال، واهتمام العالم بها بوصفها لغة تراث ديني وحضاري ثري على مدى خمسة عشر قرناً من الزمان، وعلى مساحة جغرافية واسعة، ومن حيث تأثيرها في لغات كثيرة في العالم، إضافة إلى كونها اللغة الدينية الأولى وخامسة اللغات من حيث الناطقين بها، وإحدى اللغات الرسمية في الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها وفي كثير من المنظمات الدولية الأخرى. أضف إلى كل ذلك تفرد العربية بأنها اللغة الوحيدة في العالم التي لم

١- ناصر الغالي: اللغة العربية في المنظمات الدولية، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٥م، ص٢٢٥-٢٣١.

يطرأ عليها تغيير يؤثر في استمرار فهم أهلها على مدى أكثر من خمسة عشر قرناً.

نختم دراستنا هذه بتقويم لمكانة اللغة العربية على المستوى العالمي، أجراه باحث معروف في إحدى المؤسسات العلمية المشهورة في أوروبا (INSEAD)، الدكتور كاي إل تشان (Kai L Chan) بعنوان «مؤشر القوة للغات: أي اللغات أكبر تأثيرًا؟» وقد استخدم المؤشرات التالية، كما وردت في دراسته:-

الجغرافيا (٢٢,٥٪) والاقتصاد (٢٢,٥٪) والاتصالات (٢٢,٥٪) والمعرفة ووسائل الاتصال (٢٢,٥٪) والدبلوماسية (١٠٪).

وكانت نتيجة دراسته أن اللغة العربية ترد في المرتبة الخامسة، بعد الإنجليزية والصينية الماندرين والفرنسية والإسبانية[١].

ونرى أن الباحث المذكور لو أخذ بعض الخصائص الأخرى التي تحدثنا عنها سابقًا لربما أورد اللغة العربية في مرتبة أعلى من المرتبة الخامسة.

أخيرًا، إن كل ما أشرنا إليه أعلاه من عوامل تؤثر في أهمية اللغة العربية في جانب، وأهمية نزول كتاب الله وكلامه الخالد أبد الدهر باللغة العربية في جانب، وكلاهما يجعلان للغة العربية مكانتها الفريدة والمتميزة على سائر اللغات في العالم.

المراجع:

المراجع العربية

١. ابن عربي: تجارب تعليم اللغة العربية في القارة الآسيوية، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط١، ٢٠١٥م.
٢. إدريس بن الحسن العلمي: في اللغة (جمعه وقدّم له أمل العلمي)، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠١م.
٣. أسلمو ولد سيدي أحمد: «ماذا يعني ترسيم اللغة العربية في الأمم المتحدة والاحتفال بها مرتين في السنة؟» مركز الصحراء للدراسات والاستشارات
http://essahraa.net/archive/index.php/kjflkjhgfhjjk/39-2011-03-30-23-23-00/2910-2012-02-28-19-39-49.html

١- انظر على الشابكة (الإنترنت): KC_Power-Language-Index_May- 2016 pdf

٤. بدر بن ناصر الجبر: تجارب تعليم اللغة العربية في أوروبا: عرض وتقويم، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط١، ٢٠١٥م.
٥. تمام عمر حسَّان: اللغة العربية: معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٦م.
٦. جيهان رشتي: الإعلام الدولي بالراديو والتلفزيون، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٩م.
٧. خليل لو لين: دليل علماء اللغة العربية في الصين، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط٢، ٢٠١٥م.
٨. شوقي ضيف: مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً (١٩٣٤-١٩٨٤)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م.
٩. صالح بن عبدالله الشثري: تجارب تعليم اللغة العربية في دول القارة الإفريقية: عرض وتقديم، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط١، ٢٠١٥م.
١٠. صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ط٢، ١٩٦٢م.
١١. صهيب عالم: تاريخ اللغة العربية وواقعها في الهند، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٥م.
١٢. عبدالرزاق القوسي: عالمية الأبجدية العربية (جزآن)، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٥م.
١٣. عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي: من خصائص اللغة العربية، الجمعية العلمية السعودية للغة العربية، سلسلة الإصدارات العامة (٣)، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٨م.
١٤. عبدالعزيز شرف: اللغة العربية والفكر المستقبلي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
١٥. عبدالفتاح الفاتحي: «اللغة العربية في الجامعات الأمريكية» مدونة بتاريخ ٢٥ يناير ٢٠١٠م. http://elfatihi.elaphblog.com
١٦. عبد الوهاب عزام. «الألفاظ العربية في اللغات الإسلامية غير العربية». في: مجلة مجمع اللغة العربية (القاهرة). ١٩٥٣، صص ٢١٢-٢٣٤.

١٧. فرحان السليم: «اللغة العربية ومكانتها بين اللغات»
18. http://www.saaid.net/Minute/33.htm
١٩. فريق من الباحثين: دليل مؤسسات اللغة العربية في إندونيسيا، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٥م.
٢٠. ماء العينين العتيق: اللغة العربية في إسبانيا، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط١، ٢٠١٥م.
٢١. مجموعة باحثين: اللغة العربية في الصين (الأوراق العلمية المقدمة في ندوة المركز ضمن مشاركته في سوق عكاظ الدورة السابعة)، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية الرياض، ط٢، ٢٠١٤م.
٢٢. مجموعة باحثين: اللغة العربية في إندونيسيا، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط١، ٢٠١٥م.
٢٣. مجموعة باحثين: دليل علماء اللغة العربية والباحثين في علومها في إندونيسيا، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ.
٢٤. ناصر الغالي: اللغة العربية في المنظمات الدولية، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ٢٠١٥م.

المراجع الأجنبية:

- Abdul-Rahim، V. (2008) Europe Speaks Arabic. Toronto: Institute of the Language of the Qur’an، Inc.
- Bell، Roger (1976) “Language types: Formal and Functional Typologies” in: Sociolinguistics. London: T.B. Batsford Ltd.
- Chan، Kai L. (2016) KC_Power-Language-Index_May- 2016 pdf
- Fasold، Ralph (1984) “Language planning and Standardization” in: The Sociolinguistics of Society. New York: Basil Blackwell.
- Gadelii، Karl E. (1999) Language Planning: Theory and Practice (Evaluation of Language planning cases worldwide). Paris: UNESCO.

- Holmes، Janet (2008) “Language planning” in: Introduction to Sociolinguistics، 3rd Edition. London: Longman.
- ICEF Monitor، Germany. (2014). “Arabic language studies booming in the US” (1 December).
- Mail Online (2016) “Arabic is now the fast growing language in the U.S.A.” (November، 15).
- Pereltsvaig، Asya (2012) Languages of the World: An Introduction. Cambridge: Cambridge University Press.
- Timitope، O (2011) Factors that influence language planning.pptx
- www.slideshare.net/topinsn/factors that influence language planning pptx. Retrieved Oc. 25، 2012.

اللغة العربية في العالم

الدكتور محمد بسناسي

توطيد:

تتّسم اللغات البشرية بميسم التنوّع والتعدّد. ولا ريب أنّ عدد اللغات الآن كثيرٌ، تبعا لتنوّع العوائل اللغويّة من جهة، ونظرا إلى طبيعة التعداد السكاني الهائل لأهل الأرض من جهة أخرى؛ «نَعُدُّ حاليّا حسب التّقديرات بين ستة وسبعة آلاف لغة متباينة يُتحدَّث بها على وجه الأرض»[1]، والهند وحدها تتعايش فيها أكثر من ألف لغة ولهجة. ومع ذلك، فاللغات التي تهيّأ لها أن تخترق حدودها الضيّقة، وتنطلق في الآفاق وتنتشر قليلةٌ جدّا، ونعني بهذا الكلام حفنة اللغات التي تبوأت مرتبة عالميّة، وغدا حضورها أمرا مؤثرا وفاعلا على المستوى الدوليّ. ولقد قُيِّض للعربيّة أن تدخل ضمن نادي اللغات العالميّة الكبيرة. ومع أنّ العولمة مسّت حتّى الجانب اللغوي، وفق ما يعرف بحرب وصراع اللغات؛ فالمتأمّل للأطلس اللغوي، يلاحِظ أنّ العربيّة استطاعت أن تواجه إكراهات العولمة ومقتضياتها؛ فتعليميّة العربيّة مثلا تلقى رواجاً منقطع النظير خارج الأوطان العربيّة، وغير خافٍ ما ترومه العولمة اللغوية من إعلاء لشأن الإنجليزيّة على حساب

1- Jean-Louis Calvet، La Méditerranée : mer de nos langues، CNRS éditions، Paris، 2016، p. 267.

بقيّة اللغات، مستندة في ذلك إلى الدّور المحوريّ الذي تلعبه أمريكا عالميّا في شتّى مناحي الحياة. ومن تبعات ضراوة العولمة اللغويّة موت الكثير من اللغات لا سيما الشفهيّة منها، وتضاؤل حظوة الكثير من اللغات الإنسانيّة المكتوبة، وتقلّصُ وعاء المتحدّثين بها، بتأثير رواج اللغة الإنجليزيّة بوصفها لغة عِلْم، أو عمل، أو لغة اتصال وتواصل.

في هذا السياق المحتدم والضاري، عرفت العربيّة كيف تشقّ مكانا لها من بين أبرز اللغات العالميّة، لا سيما وأنّ مصيرها ارتبط بعالمية الرسالة الإسلاميّة؛ فانتشرت آنذاك في مختلف الآفاق والأصقاع. ولا غرو أنّ متكلمي لسان الضاد يُعدَّون بالملايين في مختلف البلدان والقارات، نظراً إلى بواعث متعدّدة ومتنوّعة، سنتناولها بالتّفصيل في هذا البحث، من خلال التبصّر في مفهوم عالميّة لغة ما، وسنأتي على تتبّع مكانة العربيّة المرموقة في ضوء الإحصاءات الدوليّة العربيّة، وإبراز مدى انتشارها، وشيوعها، وطبيعة المرتبة التي تحتلّها في عالم اليوم، وسنقف على مظاهر الاعتناء بها، وسنتطرق إلى واقع العربية من خلال استعراض نماذج بعض الدول الأجنبيّة التي تشهد العربية فيها حضورا متميّزا، وسنستقصي مفاصل تداخل لغة الضاد مع طائفة من الألسنة الأجنبيّة؛ فالعربيّة لا تعيش بمعزل عمّا يمور حولها، وإنّما هي لغة تتصل بغيرها، فتأخذ وتعطي وتتفاعل، وتلك هي سنّة جرت عليها اللغات قديما وحديثا، ويحصل هذا التفاعل داخل ثنائيّة التأثّر والتأثير، وختاما سنقترح نتائج البحث بالتّركيز على ما من شأنه الرفع من مكانة وقيمة العربيّة دوليّا.

١. في مفهوم عالميّة اللغة:

تبلغ اللغة مصاف العالميّة لـمّا يحصل لها أن تتجاوز قطرها المحلّي الضيّق، ويصل انتشارها مناطق جغرافيّة من مختلف قارات العالم. وتختصّ اللغة من ثَـمّة بخصيصة العالميّة عندما يزداد عدد الناطقين بها، أو المتعلّمين لها بوصفها لغة أجنبيّة. ولعلّ السؤال الذي يطرح نفسه ههنا هو: ما الذي يجعل من لغة ما تمرق عن نطاق المحليّة لتلج نادي اللغات الكبيرة؟ هذا ما سنعالجه فيما سيلي من خطاب، بِذِكْرِ جملة العوامل التي تسنح للغة ما بتبوّؤ مكانة عالميّة، مستشهدين في ذلك بأمثلة تخصّ العربيّة، وأخرى تتّصل بلغات أخريات، كي تحصل لدينا صورة واضحة عن مفهوم عالميّة اللغة؛ فبواعث رواج لسان من الألسنة تتباين وتتعدّد.

١,١. العامل التاريخي:

لما انطلقت الفتوحات الاسلاميّة تشقُّ الآفاق، مكّن ذلك العربيّة من أن تضع موطئ قدم في فضاءات جغرافيّة مترامية الأطراف، وامتّدت من قلب الجزيرة العربية إلى شبه الجزيرة الإيبيريّة، وصولا إلى عمق إفريقيا، وأقاصي القارة الآسيويّة، والكثيرُ من المناطق التي اعتنقت الإسلام تبنّت تداول اللسان العربيّ؛ فتوارثته الأجيال اللاحق عن السابق، وشكّلت هذه المناطق ما يُعرَف اليوم بالوطن العربي، ولـمّا انقضت فترة الاستعمار للبلدان العربيّة، عاودت العربيّة تحلّ محلّ اللغة الأولى، بفضل التعريب، ولم تقطع الدول العربيّة إذاً امتداداتها التّاريخيّة العميقة المتّصلة اتّصالا وثيقا بالحضارة العربية الإسلاميّة، واهتمّت بالمسألة اللغويّة؛ فمثلا تبلورت سياسة الدول المغاربية بعد الانعتاق من ربقة الاحتلال وعقب الاستقلال في العمل على «إعادة العربيّة بوصفها لغة الدّولة ومكوّناً رئيساً للسياسيّة الثقافيّة»[١]. واتُّـخِذَتْ العربيةُ لغةً رسميّةً، وفي الجزائر مثلا التي تعرّضت طيلة قرن ونيّف من الزمن إلى محاولة فَرْنَسَة حقيقيّة؛ نجد أنّ حكومات ما بعد الاستقلال اهتدت إلى بذل «جهد طويل النفس تمثّل لأولئك الذين حُرِمُوا من ثقافتهم، ليس فقط في استرجاع موروث الأجداد المفقود، بل كذلك في فَصْمِ ربقة الارتباط مع التقاليد الموروثة عن الوجود الفرنسي»[٢].

بل نلاحظ أنّ أجناساً كثيرة، وأعراقاً عديدة تعلّمت العربيّة بوصفها لغة ثانيّة أو ثالثة. والعربيّة بهذا المفهوم «خلّفت آثارا عميقة ليس في آسيا وإفريقيا فحسب، بل في أوربا أيضا»[٣]، والتّاريخ المعرفي العربيّ حافلٌ بما أحدثه تبنّي العربيّة من لدن نوابغ غير عرب جادت قرائحهم باللسان العربي، ويضيق مجال ذكر كلّ أسماء العلماء من العجم، الذين ألّفوا وصنّفوا في العربيّة، ولئن لم تكن لغتهم الأم، وبذا، فالعامل التّاريخي يفعّل من المدّ اللغويّ، لأنّ النتاج المعرفي كان تراكما مُدَوَّنًا باللسان العربيّ، وهذا ما جعل توظيف العربيّة يتجاوز الحدود الضيّقة، والتجارب تشير كذلك إلى توريث الفرنسيّة مثلا في

1- Djamel Eddine Kouloughli، L'arabe، PUF، collection : « Que sais-je ? »، Paris، 2007، pp. 105-106.

2- Benjamin Strora، Histoire de l'Algérie depuis l'indépendance : 1962-1988، La Découverte، Paris، 4eme édition، 2004، p. 67.

٣- فولفديتريش فيشر وآخرون، دراسات في العربية، ترجمة سعيد حسن بحيرى، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص١١.

البلدان التي كانت تحت السيادة الفرنسيّة إبّان الفترة الاستعماريّة؛ إذ عدد الناطقين الكبير بالفرنسيّة عالميّاً عائد إلى هذا السبب، والملاحظة نفسها تنسحب على انتشار الإنجليزيّة؛ فالكثير من مستعمرات بريطانيا هي ناطقة اليوم بالإنجليزيّة لغةً أولى أو ثانيّةً. والشيء نفسه ينطبق على توريث البرتغاليّة في البرازيل، والإسبانية في أمريكا اللاتينيّة.

١, ٢. العامل الديني:

ما من شكّ في أنّ النصّ القرآني أحدث أثراً بالغاً في الاعتناء بالعربيّة، وفيما استتبع ذلك من تبليغ رسالته عالميّاً، وجاء في محكم التّنزيل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، ولـمّا جاء القرآن الكريم بلسان عربيّ، ساعد هذا في بقاء العربيّة، وشيوعها وانتشارها عالميّاً، وهذا مما جعلها لغةً مصونةً، وحيّةً، ومنطلِقَةً دوماً في الآفاق. فالمعتنقون للدين الإسلامي مضطرون -حتّى لا نقول إلى حذق العربيّة- على الأقلّ إلى معرفة اليسير منها بغية تأديّة الشعائر التعبّديّة؛ وطائفة غير هيّنة من اللغات لم تستند إلى نصوص دينيّة مؤسِّسَة، كان مصيرها الزوال ودخول متحف اللغات. ومن ثَـمّ، فالجانب التعبدّيّ بوصفه ممارسة غير منقطعة، تحفظ كينونة اللغة، بل تسمح بانتشارها وذيوعها على نطاق أرحب. ومادام الدين الإسلامي يواصل انتشاره فالعربيّة تمتّد مساحتها وفضاءاتها التي تُتَدَاول فيها.

١, ٣. العامل السياسيّ والاقتصاديّ:

من البيّن أنّ اللغات المهيمِنة الآن تستند إلى وزن بلدانها في المجالات السياسيّة والديبلوماسيّة والاقتصاديّة، مثلما هو عليه الشأن في الإنجليزيّة والفرنسيّة. ومن جهتها، تحظى البلدان العربيّة بموقع بارز في موازين القوى العالميّة، نظرا لما تتربع عليه من خيرات، ومن ثروات، ومن طاقات بشريّة، وهذا متأتٍّ من الموقع الجغرافي الإستراتيجي للمنطقة العربيّة، وقد صارت العربية لغة عمل في الأمم المتحدة سنة ١٩٧٣م، تبعاً للأدوار المحوريّة التي يلعبها الوطن العربي بوصفه فاعلاً بارزاً في الساحة الدوليّة، ويُحتفَل سنويّاً باليوم العالمي للغة العربيّة في ١٨ ديسمبر. وهذا ما يجعل العربيّة ذات رفعة وحضور دوليين في أرقى الهيئات العالميّة.

١- سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

١ , ٤ . العامل الديموغرافيّ:

تتقوّى اللغة، وتبلغ مكانة سامقة، بارتفاع نسبة الناطقين بها، وكلما زادت نسبة أهلها زاد شأنها بين الألسنة، ولا شكّ أنّ العامل الديمغرافي يلعبُ دوراً بارزاً في ازدياد أو تضاؤل نسبة الناطقين للغةٍ ما، وفي البلدان العربيّة عرفت معدلات السكّان ارتفاعا محسوسا لا سيّما بعد الحرب الكونيّة الثانيّة، وهذا ما أكسب العربية جمهورا عريضا لها؛ إذ تبلغ نسبة الساكنة في الوطن العربي حوالي أربع مئة مليون نسمة حسب تقديرات ٢٠١٦م، و«تشير التّقديرات إلى إمكانيّة بلوغهم خمس مئة مليون عام ٢٠٥٠م»[١].

وناهيك بالتّركيبة البشريّة العربيّة التي تشكّل الخارطة اللسانيّة للعربيّة، فالناطقون بلغة الضاد يتجاوزون الحدود العربيّة، ويوجدون في البلدان الإسلاميّة، وبهذا الصدد «فأعضاء الدول الإسلاميّة الذين يستعملون العربية غالبا لغةً ثانيّةً، يجتهدون في بثّها ونشرها»[٢]. والعربيّة لها موطئ قدم حتّى في الدول غير الإسلاميّة، بفضل تعليم العربيّة من حيث إنّها لغة أجنبيّة، وبفضل كتلة المهاجرين العرب الذين يعيشون خاصّة في البلدان الغربيّة. كلّ هذه المعطيات حول تركيبة المتحدّثين بالعربيّة، تسهم في تكثيف ذيوع لغة الضاد. ومن ثمّ، فالديموغرافيا والهجرة تعزّزان مكانة اللغة على الصعيد العالمي.

١ , ٥ . العامل اللساني:

عرفت العربيّة كيف تتطوّر وتتكيّف طيلة الفترات الزمنيّة المتعاقبة؛ فمعجمها قابل للتوسّع، لما يتكئ عليه من آليات توليد لفظي كالاشتقاق، والاقتراض، أو معنوي بتغيّر المدلول مع ثبات الدال، وفق آليات الاتساع الدلالي والمجاز، أو تركيبي وفق ما تتيحه آليات من شاكلة النّحت، والإضافة. وخصائص العربيّة اللسانيّة جعلت منها لغة طيّعة ومرنة، تستوعب مستجدّات العصر، وتتعايش مع إفرازاته ومستحدثاته. ومن المعلوم بالضرورة أنّ اللغة القابلة للتفاعل مع الزمن، والمهيأة للتطوّر هي الأجدر بالبقاء والتوسّع؛ ذلك أنّها تتكيّف مع مجريات العصر، ومتغيّراته الدائمة.

ومن سمات التطوّر الذي عرفته العربيّة، تطوّر الخطّ العربي، الذي ما انفكّ يتواءم

1- Djamel Eddine Kouloughli، Op. Cit.، p. 4.

2- Mahboubi Moussaoui، L’extraordinaire histoire de la langue arabe، Editions Sabil، Union Européenne، 1re édition، 2012، p. 126.

ومتطلبّات الأزمنة المتواترة، وانتقلت العرب من عهد المشافهة إلى عهد التّدوين، بعد بلوغ المباحث اللسانيّة شأواً رفيعاً، من نحو، ومعجميّة، وصوتيات، وعلم القراءات، كما دعت حوائج التحفيظ والتدريس إلى تطوير الخطّ بالتّنقيط والتّشكيل، حتّى يبلغ المتعلِّم غايته من القراءة والفهم والمذاكرة والتّحصيل. وأُدخِلَت على الخطّ العربيّ تعديلات كثيرات، وكانت لمهنة الوراقة يد راسخة في الرقيّ بالخطّ وتجويده، إلى أن انتهي بالشّكل الطباعي المعروف عليه الآن. والخطّ يحفظ اللغة، التي تمثّل وعاء الفكر، فينتشر في الآفاق، وهذا مما يتيح للسان أن يفوز بالذيوع العميم. وبذا؛ فالجوانب اللغويّة، على تباينها، من آليات لسانيّة داخليّة، ومن حرف قادر على حفظ المتون المنقولة، لهي ممّا يكفل بقاء النظام اللغوي، ويخوّل له لا محالة التفشّي والانتشار في الزمان والمكان.

١,٦. الثقافة ووسائل الإعلام والاتصال:

حينما تزدهر ثقافة ما، فإنّها تمارس تأثيرا على غيرها من الثقافات الإنسانيّة، إذ «المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب»[١] كما صرّح به ابن خلدون (ت٨٠٨هـ)، واللغة حاملة للمضامين الثقافيّة، وحاوية لامتداداتها المعرفيّة والحضاريّة، وتهيّأ أن العربيّة، جاء نتاجها المعرفي والثقافي زاخرا وحافلا على مدى قرون ممتدّات، بل ما يزال عطاؤها قائما إلى أيام النّاس هذه، ومن ثَـمّ، فلا غرو أنّ العربية «مقترنة اقترانا تلقائيا أيضا بالتراث»[٢].

والحقّ، أنّ اللغة العربيّة ترتبط ارتباطا عضويّا بالموروث الثقافيّ. وقد قيّض للحضارة العربية الإسلاميّة أن تمارس تأثيرا كبيرا في مختلف الشعوب، وطفقت الأجناس تأتي للدراسة في بغداد وطليطلة وحواضر أخرى عديدة في بجاية وتلمسان والقيروان والمغرب الأقصى، وتغلغل تأثير الحضارة العربية وثقافتها من خلال ما نُـهِلَ من معارف، وما تُرجِم إلى اللغات الأخريات لا سيّما اللاتينيّة واللغات الغربيّة التي أعقبتها. وكانت العربيّة هي لسان الإشعاع وترجمانه، وتجعل اليوم العولمة الثقافيّة من الإنجليزيّة لغة مؤثّرة، نتيجة قوّة الإنتاج السينمائي، والموسيقي، وكذا التّأليف والنّشر،

١- عبدالرحمن ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، المقدمة، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١، (دون تاريخ)، ص١١٦.

٢- نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث: قيّم الثبوت وقيّم التحوّل، دار الشروق، عمان، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص٥١.

بل وغدا شائعا «اتخاذها في عالم المال والأعمال»[1].

وعلى الرّغم من الواقع اللغويّ المتشابك والمعقّد في ظلّ شيوع اللهجات هنا وهناك، وفي سياقٍ يعجّ بالمنافسة الضارية التي تفرضها الفرنسيّة والإنجليزيّة داخل الأقطار العربيّة، إلّا أنّ لغة الضاد يتعزّز وجودها، لا سيّما وأنّ الثقافة الخاصّة بها تستعيد بريقها في الأوقات الحديثة، بدفع من منجزات شتّى الفنون، التي تتوسّل بالفصحى في المسرح، والتّمثيل والدّبلجة، والأفلام الكرتونيّة، وفي مجالات التّأليف والنّشر، والآداب، ولقد تُوِّجَ الإبداع بالعربيّة، بحصول الروائي المصري نجيب محفوظ على جائزة نوبل العالميّة للآداب سنة ١٩٨٨م.

وتسهم وسائل الإعلام بقسط وافر في إذاعة اللغة العربيّة عالميّا؛ فالفضائيات العربيّة عديدة ومتنوّعة وهي في غالبيتها العظمى تعوّل على العربيّة الفصحى في تقديم برامجها، هذا ناهيك بالقنوات الإذاعيّة والمجلّات والصحف والجرائد، والمواقع العربيّة على الشابكة؛ فكلّها مجتمِعَة تشارك في ترويج العربيّة في زمن انمحاء الحدود وهبوب رياح الانفتاح، وغدا اللسان العربيّ يجد له صدى وَسَمْعًا في كلّ مناطق العالم، إذ لـمّا تتوافر لغة ما على شبكة واسعة من وسائل الإعلام الناطقة بها؛ فما من شك أنّه سيَحصل لها تزايد في حجم جماهيرها ومتتبعيها، نظرا لما تصدح به من يوميات العربي، وآماله، وما تهتم به من مرجعياته الثقافيّة والحضاريّة. ونحن نلحظ أن القنوات الاعلاميّة الأجنبيّة خصّصت أقساما للبثّ بالعربية، وفي هذا ما فيه من الدلالة القوّيّة على مدى أهميّة العربية في المشهد الإعلامي العالمي، وأصبح توظيفها يلقى رواجاً من لدن غير العرب، كي يستقطبوا انتباه الجمهور العربيّ، ومن تلك القنوات التلفزيونية الدوليّة، يمكن ذكر بي بي سي، وورلد نيوز، دي دبليو تي في، إن إتش كي وورلد، روسيا اليوم، فرانس ٢٤، وهذا ما من شأنه تعزيز حضور العربيّة خارج مجالات تداولها الطبيعيّة؛ فتخترق حينئذٍ أجواءً جديدة بعيدة، وتستقطب مشاهدين كُثراً؛ ولا غرابة في كون العربية مندرجة حاليّا ضمن باقة اللغات الأكثر هيمنة في ميدان الإعلام الدوليّ الـمُـعَـوْلَم.

١- نهاد الموسى، المرجع السابق، ص١٥.

٢. مظاهر الاعتناء باللغة العربيّة:

٢, ١. العربية لغة رسميّة:

اللغة العربيّة هي لغة رسميّة في الدول المنضوية في إطار جامعة الدول العربية وهي كما يلي: مصر، السودان، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، الأردن، العراق، سوريا، فلسطين، لبنان، السعودية، عُمان، قطر، الإمارات العربية المتحدّة، البحرين، الكويت، اليمن، جزر القمر، جيبوتي، الصومال.

ومن الدول التي تحتّل فيها العربية لغة رسمية بالإضافة إلى لغة ثانيّة تبعا لمسألة التعدّد اللغوي واللهجي، نجد جيبوتي (العربيّة + الفرنسية)، جزر القمر (العربيّة + الفرنسية + القمرية)، الجزائر (العربيّة + الأمازيغية)، المغرب (العربيّة + الأمازيغية)، أمّا في موريتانيا فالعربيّة هي اللغة الرّسميّة، وإلى جانبها هناك لغات وطنيّة (البولرية + السونكيّة + الولفيّة).

وتعمل الدول العربيّة على ترقية مكانة العربيّة، وتعميم تداولها في مختلف مجالات الحياة، إذ هي حاضرة في الهيئات والمؤسسات الرّسميّة المحليّة والإقليميّة، وفي وسائل الإعلام والصحافة المرئيّة، والمسموعة، والمكتوبة، وفي مجالات الطّبع والنّشر والتّعليم والبحث العلمي، واستُحدِثَتْ مجامع ومجالس كي تنهض بشأن العربيّة، وترفع من قيمتها وقدرها، وظهرت جمعيات عديدة غايتها حماية العربيّة والدفاع عنها، كما انبثقت الكثير من الجمعيات الثقافيّة والعلميّة تهتم بتعليم العربيّة والاحتفاء بالإبداع بها، ينضاف إلى ذلك الإنتاج اللغويّ في إصدار قواميس اللغة العامة ومعاجم المصطلحات الخاصّة، وكذا القواميس الثنائيّة اللغة، وقد أُنْشِئَتْ العديد من أقسام التّرجمة بغية الإسهام في تكوين التراجمة والمترجمين من أجل نقل الآداب والمعارف من شتّى اللغات إلى العربيّة، واستُحدِثَت جوائز غير قليلة، تنتشر هنا وهناك، وتروم في عمومها تشجيع نشاط التّرجمة، والإبداع الأدبيّ والعلميّ والصحفيّ بالعربيّة، كما تُنَظَّمُ ملتقيات علميّة أكاديميّة لبحث المسائل اللسانيّة والتعليميّة التربويّة والنّقديّة الأدبيّة المتعلقّة بالعربيّة، في أرجاء الوطن العربيّ وحتّى في البلاد غير العربيّة.

وبالمقابل، يمكن الإشارة إلى دول أخرى خارج جامعة الدول العربيّة، تجعل من العربية لغة رسميّة وهي: إريتريا (العربيّة +الانجليزية + التيغرينية)، تشاد (العربية

+ الفرنسية)، إسرائيل (العربيّة + العبرية). وبذا، تحتل العربية المرتبة الثالثة عالميّا من حيث عدد الدول التي تتّخذ من لغة الضاد لغة رسميّة، ونجد أنّ هذه الدول متركزّة في قارتي إفريقيا وأسيا. (انظر الجدول رقم ١)[١].

اللغة	عدد الدول	إفريقيا	أمريكا الشمالية والجنوبية	آسيا	أوروبا	أوقيانوسيا
الإنجليزيّة	٩٥	٤٢	٦١	٤	٣	٢١
الفرنسية	٩٢	١٢	٢	-	٥	١
العربية	٦٢	٤١	-	٢١	-	-
الإسبانية	٠٢	١	٩١	-	١	-
البرتغاليّة	٠١	٧	١	١	١	١

جدول رقم (١): عدد الدول الناطقة باللغات العالميّة الخمس وتوزيعها بين القارات

يتبيّن من الجدول رقم (١) أنّه على الرّغم من أنّ العربية متمركزة في قارتين: إفريقيا وآسيا، فإنها تحتّل المرتبة الثالثة من حيث عدد الدول التي تتّخذ من العربية لغة رسميّة. والملاحَظ كذلك هو توسط العربيّة للغاتٍ أوربيّة أَحكَمتْ قبضتها على الكثير من الدول إلى غاية ستينيات القرن الماضي؛ فإنجلترا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال، احتّلت دولاً في مختلف القارات، وحدث أن قامت بتوريث لغاتها لمستعمراتها، بُعيدما نالت استقلالها.

٢, ٢. العربيّة لغة أقليّات:

قد تتّسم العربيّة بنسب وجودٍ ضئيلٍ في مناطق بعينها، بحيث يكون سياق وجودها غير عربي، وسنضرب على هذه الحالة بأمثلة. فمن المعلوم أنّه في إيران، تعد الفارسية هي اللغة المستعملَة حاليّا، لكنّ بعد الفتح الإسلامي، كانت العربيّة بمثابة اللغة المهيمِنة،

١ - ويكيبيديا، قائمة اللغات الرّسمية،الرابط: قائمة_اللغات _الرسمية https://ar.wikipedia.org/wiki/

«أما الآن فهناك محافظة واحدة في إيران تستخدم العربيّة فيها لغةَ أقليّةٍ وهي محافظة خوزستان»[١]. وثمّة أيضا في قبرص مناطق تُتَداوَلُ فيها العربيّة، و»يرجع تاريخ وجود الموارنة العرب في قبرص إلى الفترة ما بين القرنين التاسع والثاني عشر الميلاديين»[٢]. وما يمكن قوله عن طبيعة لغة الموارنة -ذات جماعة أقليّة متحدِّثة بها- ما يلي: «تشترك عربية قبرص في معظم سماتها مع اللهجات الحضرية السورية»[٣]. وبالمقابل، يمكن أن نضيف من جملة الأقليّات الناطقة بالعربيّة، تواجد الجاليات العربيّة خارج الحيّز العربي الإسلامي في شتى بلدان العالم؛ فهناك أقليات عربيّة في فرنسا، إسبانيا، إنجلترا، إيطاليا، أمريكا، كندا، أمريكا اللاتينيّة، أستراليا، روسيا، أقصى آسيا، جنوب إفريقيا... إلخ.

٣. مكانة اللغة العربيّة في ضوء الإحصاءات الدوليّة:

ينبغي التّنويه إلى مسألة اختلاف الإحصاءات المتعلقّة بعدد المتحدثين باللغات؛ من مصدر إلى آخر. ويعود سبب الاختلاف إلى بعض العوامل منها، تباين سنوات إجراء الإحصاءات، اختلاف معايير الإحصاءات، تنوّع الجهات المشرفة على استقاء المعلومات، صعوبة الوصول بدقّة متناهيّة إلى نتائج قطعيّة، تبعا لتعقّد انتشار اللغات وتشابك توزعّها في العالم من جهة، وتبعا لأنّ الإحصاءات تثوي في نهاية المطاف على جملة من التّقديرات من جهة أخرى. وغير خافٍ أنّ المعطيات اللسانيّة تتغيّر بسرعة، من جرّاء تقلّب الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة، لذا فإنّ المعطيات حول اللغات تتغاير، وما يُلاحظ في هذا السياق هو عدم تتبّع الأطالس اللغويّة لجملة المتغيّرات المؤثرة في تعداد الناطقين بلغة ما، وينقص هذا النوع من المراجع التّحيين الدّوري، لكي يلفي الباحث ضالته في عالم مفعم بالمستجدّات، التي ينبغي أن تأخذ في الحسبان متغيّرات تخصّ نمو السكان، والهجرات، والقلاقل السياسيّة، والأحوال الأمنيّة والاقتصاديّة؛ لذلك تبقى الشابكة مصدرا مُهِمًّا، لا يمكن تغافله في استقاء أرقام ومعلومات مستحدثة.

١- كيس فرستيغ، اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة محمد الشرقاوي، المشروع القومي للتّرجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص٢٧٢.

٢- كيس فرستيغ، المرجع السابق، ص٧٤٢.

٣- كيس فرستيغ، المرجع نفسه.

٣, ١. الأطالس اللغويّة:

تُعَدّ الأطالس اللغويّة من المصادر المرجعيّة الـمُهِمّة التي تقدّم معلومات عن لغة معيّنة، أو مجموع لغات العالم، وهي تستند إلى إحصاءات وتقديرات، وتخوض في طَرْقِ مسائل حول تاريخ، وواقع ومستقبل الألسنة. لذا؛ سنقف على ما ورد في أهم الأطالس التي تمكننا من الظفر بها، بغية تتبّع ورصد ما ورد في متونها بخصوص اللغة العربيّة، علما أنّ مشكلة الأطالس الرئيسة تكمن في غياب التّحيين الدّوري؛ فالأرقام حول اللغات تخضع للتغيّر السريع والكبير، تبعا لتبدّل الأوضاع في العالم، ولجملة التقلبّات التي تحفّ عديد العوامل المؤثرة في حياة الناس.

٣, ١, ١. أطلس لغات العالم: (١٩٩٤م):

يشير (أطلس لغات العالم)[١] إلى الازدياد المطّرد فيما يتّصل الاهتمام بالأدب والدراما في أرجاء البلاد العربية، ما يعود بالنّفع والفائدة على شيوع العربية الفصيحة، وتداولها في سياق لغوي تكثر فيه اللهجات وتتنوّع من بلد إلى آخر، بل من منطقة إلى منطقة أخرى، وفي هذا الصدد نقرأ ما نصّه: «ويأخذ الأدب قسطه الكبير من الدراسة والاهتمام في كلّ أنحاء المنطقة [العربيّة] مع التّركيز بوجه خاص على الرواية، القصة القصيرة والدراما»[٢]. ويعلّق المصدر نفسه على عدد المتحدّثين بالعربية، علما أنّ المصدر قد طبع سنة ١٩٩٤م؛ بالقول: «يقدر عدد الناطقين بأكثر من ٢٠٠ مليون ناطقا للهجة من أشكال اللهجات العربية المتعدّدة»[٣].

٣, ١, ٢. أطلس لغات العالم: تعددية هشّة (٢٠٠٣م):

ورد في هذا المصدر[٤] ما نصّه، «تُعَدّ العربية آخر لغة تمخضّت من عائلة اللغات الساميّة، بعد الأكادية، والفينيقيّة، والعبريّة، والآراميّة والسريانيّة، وقد ظهرت على

1- Christopher Moseley & R. E. Asher، Atlas of the World's Languages، Routledge، London، 1994.

2- Ibid.، p. 266.

3- Ibid.، p. 267.

4- Roland Breton، Atlas des langues du monde : une pluralité fragile، Editions Autrement، collection : Atlas/Monde، Paris، 2003، p. 50.

حواف الصحراء العربيّة الوسطى»[١]، وبعد هذا التّقديم، يعرض مؤلّف الأطلس لمحة عن المناطق التي توجد فيها العربيّة بكثافة، «والعالم العربي المترامي بين قارتي إفريقيا وآسيا تربطه اللغة الرابعة في العالم [...] والعربية هي لغة محوريّة، وواحدة من أكبر الحضارات التّاريخيّة من تلك التي عرفتها البشريّة»[٢]، ثم يؤكد المصدر ذاته على مكانة اللغة العربيّة في الخارطة اللسانيّة العالميّة بالقول: «اللغة العربيّة هي اللغة الرابعة التي يُتحدَّث بها في العالم»[٣].

٣,١,٣. أطلس اللغات: أصل وتطوّر اللغات في العالم (٢٠٠٤م):

بحسب الناطقين الأصليين للعربيّة يشير (**أطلس اللغات: أصل وتطوّر اللغات في العالم**)[٤] إلى إنّ العربيّة تتموقع في المرتبة الخامسة عالميّا من حيث عدد الناطقين الأصليين بها، وفي المراتب الأولى، نجد: الصينيّة، الإنجليزيّة، الإسبانيّة، والهنديّة[٥].

٣,١,٤. الأطلس العالمي للفرنكوفونيّة (٢٠٠٦م):

حتّى وإن اختص (الأطلس العالمي للفرنكوفونية) في طرق أحوال اللغة الفرنسيّة في جميع دول العالم؛ فإنّه تعرّض كلّما اقتضته الضرورة إلى اللغات الأخريات في سياق الحديث عن مستقبَل اللغة الفرنسيّة، ومن بين التوقعّات التي ذهب إليها المصدر بخصوص تراتبيّة الألسنة الأكثر شيوعا عالميّا ما يلي: «في ظرف نصف قرن، من المفروض أن تحتفظ الصينية بالمرتبة الأولى، غير أنّ الهنديّة/ الأورديّة والعربية ستتقاسمان بالتساوي تقريبا المرتبة الثانيّة، ما سيدحرج الإنجليزيّة إلى المرتبة الرابعة أمام اللغة الإسبانيّة»[٦]، وهذه الأرقام مبنيّة بالأساس على حيويّة نسبة الولادات، وكذا

1- Idem.

2- Idem.

3- Ibid.، p. 51.

4- Bernard Comrie et al (dir)، Atlas des langues : l'origine et le développement des langues dans le monde، Editions Acropole، Paris، 2004.

5- Ibid.، p. 19.

6- Ariane Poissonnier & Gérard Sournia، Atlas mondial de la francophonie، Editions Autrement، Paris، 2006، p.16.

نسبة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ و٢٤ سنة في كلّ منطقة لغويّة. وبناء عليه، فستتقدّم العربيّة إلى الرتبة الثانيّة عالميّا مناصفة مع الأرديّة خلال نصف قرن، وهذا إنما يدلّ على أنّ فضاءات العربيّة، ستعرف آفاقا مشرقة، بما أنّ معدّلات الناطقين بها ستتضاعف في شتّى الأقطار.

٣,١,٥. أطلس الأقليات (٢٠٠٨م):

وردت أرقامٌ في (أطلس الأقليّات في العالم)[1] حول دور العامل الدينيّ، وإسهامه في تغيّر موازين القوى اللغويّة، ونقرأ في المصدر ما نصّه: «بالإضافة إلى اللغة، فإنّ الدّين هو المعيار الثقافي لتحديد [هوّية] الجماعات البشريّة، سواء كانت جماعات أغلبيّة أو أقليّة»[2]، إذ تشكيل الجماعات اللغويّة يتأثّر لا محالة بالعامل الدينيّ، ومسار تطوّر دين من الأديان، يؤدّي إلى إشاعة لغة من اللغات، لا سيّما التي تثوي عليها نصوصُه المؤسِّسَة. وحسب المصدر نفسه؛ فقد عرف القرن الماضي تراجع الديانات في مجملها بنسب متفاوتة، بيد أنّها «تركت المجال لتمدّد ديموغرافي للإسلام (الذي انتقل من نسبة ١٢,٤٪ إلى ١٩,٤٪) أي بنسبة زيادة قدرها ٥٠ ٪ بالمئة»[3]. ولـمّا ينتشر الإسلام، تسافر معه العربيّة بالضرورة، للحاجة إلى قراءة القرآن، ومطالعة المدوّنة الدينيّة، وكذا أداء الصلوات.

٣,٢. المواقع الإلكترونيّة:

٣,٢,١. ويكيبيديا:

يقدّم موقع ويكيبيديا معلومات في مختلف الحقول المعرفيّة، وفيما يخصّ الأطلس اللغويّ الرّاهن، يزجي إحصاءات عن انتشار اللغات في العالم، وفق ما توصّلت إليه الموسوعة الوطنيّة السويديّة سنة ٢٠٠٧م، التي حُدِّثَت في ٢٠١٠م، وتحتّل العربيّة المرتبة الخامسة في جدول يضمّ مئة لغة. وَتُقَدِّرُ هذه الإحصاءات عدد المتحدّثين بالعربيّة بمائتين وخمسة وتسعين مليون نسمة، ويمثّلون (٤,٤٣٪) من سكان العالم. وفي المراتب

1- Roland Breton، Atlas des minorités dans le monde، Editions Autrement، Paris، 2008.

2- Ibid.، p. 16.

3- Ibid.، p. 17.

الأربع الأولى، نجد الصينيّة، والإسبانيّة، والإنجليزيّة، والهنديّة. والعربيّةُ تحتّل مكانة متميّزة؛ فالإنجليزيّة هي لغة منطوقة في أكثر من خمسين دولة، والإسبانيّة تنتشر في أغلب أمريكا اللاتينيّة بالإضافة إلى إسبانيا والولايات المتحدّة الأمريكيّة. والصين والهند تحظيان بنسبة سكانيّة ضخمة، ونظرا إلى كلّ هذه المعطيات، يُلاحَظ تقدّم العربيّة على لغات بارزة كالفرنسيّة والروسيّة، علما أنّ عدد المتحدّثين مسّ الناطقين الأصليين باللغة فقط. (انظر الجدول رقم ٢)[1].

اللغة	المتحدّثون الأصليون بالمليون	النسبة من السكان العالم
الماندرين (الصينيّة)	٥٥٩	٤١,٤٪
الإسبانيّة	٥٠٤	٦,٥١٪
الإنجليزية	٠٦٣	٥,٣٤٪
الهنديّة	٠١٣	٤,٠٧٪
العربية	٥٩٢	٤,٣٤٪

جدول رقم (٢): مقتطف من إحصائيات ويكيبيديا حول انتشار اللغات في العالم

أمّا باحتساب العدد الإجمالي للمتحدثين بالعربية في أعلى التّقديرات، سواء كانت لغة الكتلة اللسانيّة الأصليّة هي العربيّة أم لا؛ فتصير مكانتها الرابعة عالميّا [2]، بعد كلّ من الإنجليزيّة، والصينية والهنديّة. وبحسب هذا المعيار، يصل العدد الإجمالي للناطقين بالعربية إلى ما يناهز أربع مئة وثمانين مليونا.

٣,٢,٢. موقع إحصاءات الشابكة العالميّة (٢٠١٦م):

يقدّم موقع إحصاءات الشابكة العالميّة[3] أرقاماً حول عدد مستعملي لغة من لغات البحث في تصفّح الشبكة العنكبوتيّة، وفي هذا السياق، تعرف العربيّة نموا مطّردا

١- الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/قائمة_اللغات_حسب_عدد_متحدثيها_الأصليين

٢- الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/قائمة_اللغات_حسب_العدد_الكلي_للمتحدثين

3- Internet World Stats، http://www.internetworldstats.com/stats7.htm

بخصوص ولوج الشابكة في مجمل البلدان العربيّة من جهة، كما تتضاعف أعداد كتلة مستعملي اللسان العربي في تصفّح مواقع الشابكة عالميّا من جهة أخرى، سواء أكان المستعملون عربا أم غير عرب، وقد تكون درجة الاستعمال مثل اللغة الأولى أو الثانيّة في أثناء عمليّة البحث، ولا يخفى مدى شيوع حجم استعمال المواقع الإلكترونيّة لأغراض شتّى، وكذا وسائط وشبكات الاتصال الاجتماعيّة، التي تحظى باستخدام وشعبية لدى مختلف الشرائح العمريّة. وحسب إحصائيات الشابكة العالميّة، التي عرفت تحديثا شهر يونيو من العام ٢٠١٦م؛ فإن العربيّة تحتّل المرتبة الرابعة من حيث عدد المستعملين حسب لغة البحث. (انظر الجدول رقم ٣).

اللغات الأولى في الشابكة	مستعملو الشابكة حسب اللغة	الولوج إلى الشابكة بحسب عدد السكان الإجمالي	نمو مستعملي الشابكة من ٠١٠٢ إلى ٦١٠٢م	إجمالي المتحدّثين باللغة: تقديرات ٦١٠٢م
الإنجليزية	٢٨٧,٨٠٦,٨٤٩	٪٨,٧٦	٪٩,٣٧٥	٣٧٣,٢٥٠,٠٠٤,١
الصينية	٤٢٢,٥٨٩,١٥٧	٪١,٣٥	٪٩,٧٢٢,٢	٤٣٩,٢٧٥,٥١٤,١
الإسبانية	٧٤٩,٥٢١,٧٧٢	٪٦,١٦	٪٣,٤٢٤,١	٣٦٩,٥٣٢,٠٥٤
العربية	٠٩٦,٦٢٤,٨٦١	٪٤,٣٤	٪٥,٢٠٦,٦	٧٧٨,٢٣٣,٨٨٣
البرتغاليّة	٦٠٦,٥٢٥,٤٥١	٪٩,٧٥	٪٧,٩٣٩,١	٤٤٧,٧٥٧,٦٦٢

جدول رقم (٣): إحصاءات عام ٢٠١٦م حول عدد مستعملي الشابكة حسب لغة البحث نقلا عن: (Internet World Stats).

نستخلص من الجدول رقم (٣) أنّ هناك إمكانية تطوّر كبيرة لاستعمال العربية في الشابكة؛ إذ نصف السكان العرب فقط من يتمتّعون بالرّبط الشبكي، والأرقام تشير علاوة على ذلك إلى ديناميّة نمو استعمال العربيّة المطّرد فيما يتّصل بتصفّح الشابكة، ويُلاحظ أنّ المعدّل العربيّ هو الأعلى من بين المعدلات على المستوى العالمي.

٣,٣. إحصاءات حول العربيّة من مصادر أخرى:

في المدخل المخصّص لمفردة «عربية»، تورد (موسوعة لاروس) ما نصّه: «العربية هي اللغة الأم لحوالي ٢٣٠ مليون شخصا»[١]، مع العلم أنّ تاريخ طبعة الموسوعة تعود إلى عام ٢٠٠٧م، غير أنّ عدد الساكنة العربيّة ينمو باطراد، لما تُعرَفُ به الديموغرافيّة العربيّة من ديناميّة شديدة؛ إذ يفوق عدد سكان الوطن العربي أكثر من أربع مئة مليون نسمة، ما ينجم عنه بطبيعة الحال تزايد متواصل لأعداد الناطقين بلغة الضاد، ومن العوامل التي ساعدت تطوّر العربية وشيوعها، يذكر مصدر لاروس الموسوعي ما يلي: «إنّ تعميم التّعليم الإجباري، والنجاح الباهر لوسائل الإعلام، والحيويّة الاستثنائية للسينما، وسوق الأغاني الذي يتّسع لمجموع العالم العربي؛ فكلّ هذا من شأنه أنْ يُقَرِّبَ العربيّة المعاصرة من اللهجات ذوات التواصل الكبير»[٢]. ومن جهته، يضع الباحث كولوغلي في مصنّفه حول العربية الصادر بالفرنسية سنة ٢٠٠٧م مرتبتها فيما نصّه: «تحتّل الرتبة السادسة من بين لغات العالم»[٣]. ونشير إلى أنّ مرتبة العربيّة تطوّرت وتحسّنت الآن مثلما تبدّى جليّا في إحصاءات الشابكة للسنين الأخيرة.

٤ . تفاعل العربيّة وتأثيرها في اللغات الأخريات:

٤ , ١ . التّعويل على الحرف العربي:

إنّ من بين أشكال تأثير العربيّة في لغات العالم وثقافاتها، استعمالَ الحرف العربي في لغات عديدات، منها ما أحلّت محلّه الحرف اللاتيني منذ ما يزيد عن القرن من الزمن، ومنها ما لا تزال تكتب لغتها بالحروف العربيّة إلى الآن. ولا غرو أنّ الخط العربي استهوى ثقافات عريقة بسبب جماليته، وتنوّع أنساقه وأنماطه، من كوفي، ومغربي، ونسخي، ورقعي... إلخ، وجعل الخطّ العربي يتحلّى آنذاك بالجمال المبهر، والزخرفة المتناهيّة، والفخامة السامقة، وبلغت جاذبيته الآفاق، وحقّقت صيتاً كبيراً، إذ غدا الحرف العربي حرفَ كتابةٍ، تبنّتها الكثير من الأعراق والأجناس، فمنها شعوبٌ تعرّبت

1- Le grand Larousse encyclopédique، volume 1، Larousse، Paris، 2007، p. 143.

2- Ibid.، p. 144.

3- Djamel Eddine Kouloughli، Op. Cit.، p. 4.

مثل مصر والمغرب الكبير، ومنها شعوبٌ اقترضت الأبجديّة العربيّة لتكون حروفَ ألسنتها الخاصّة.

ولذا؛ فقد جرت كتابة العديد من الألسنة بالحرف العربي، «وتستعمل الأبجدية العربية لكتابة الفارسية والأردية والسواحيلية»[1]، واستمرّت كتابة السواحيلية بالخط العربي «حتّى القرن التاسع عشر»[2]، والتركيّة العثمانيّة حتّى سنة ١٩٢٨م، أي بعدما سقطت الخلافة، ولما تبوأ كمال أتاتورك رئاسة البلاد التركيّة.

وفي إفريقيا استُخدِمَ الحرف العربيّ في كتابة اللغة المالغاشيّة حتّى القرن التّاسع عشر، وكُتِبَتْ اللغة الفولانية سابقا بالحرف العربي، وهي تُكْتَبُ باللاتينية حاليا (لغة متداولة في غرب إفريقيا)، أمّا الهاوسا فما زالت تُكْتَبُ بالحرف العربي، وهي منتشرة في عدّة دول مثل بوركينافاسو، غانا، طوغو، نيجيريا...، و«يُكتب الولوف بالحروف العربيّة لأنّ متحدّثي لسانه هم في غالبيتهم مسلمون»[3]، دون أن ننسى كتابة البربرية غالبا بالحرف العربي.

وفي آسيا، كانت اللغة الأويغورية تُكتَب بالحرف العربي، وأصبحت تُكتَب الآن باللاتينية والسيريلية، وفيما يتّصل باللغات التي ما زالت تعتمد على الحرف العربي، نذكر منها اللغة الكردية في تركيا، إيران، العراق، سوريا، إقليم كردستان، والبشتونيّة، والكازاخستانيّة، واللغة الأذرية في إيران، واللغة الكشميريّة، واللغة البنجابية في باكستان، واللغة السندية، والطاجيكيّة في الصين، وإيران، واللغة الشبكيّة في شمال العراق، والجاوية في إندونيسيا وماليزيا، واللغة البلوشيّة في عدّة دول مثل إيران، أفغانستان، تركمانستان...

إنّ اقتراض الحرف العربي في كتابة العديد من اللغات عالميّا، يدلّ على حظوة الخطّ العربي الذي هو حرف القرآن الكريم، كما أنّ استعماله إلى حدّ الآن دليل على أصالة وعمق التأثير اللغوي والثقافيّ العربيين في مناطق شتّى من أصقاع العالم.

1- Le grand Larousse encyclopédique، p. 143.

2- Henriette Walter & Bassam Baraké، Arabesques : l’aventure de la langue arabe en Occident، Robert Laffont، Editions du Temps، collection : « Le goût des mots »، Paris، 2007، p. 224.

3- Michel Malherbe، Les langues de l’humanité، Robert Laffont، Paris، 2001، p. 308.

٤ ,٢ . ميلاد لغات متأثرة بالعربيّة:

لقد بلغ تأثير العربيّة في العالم أَنْ حَصَلَ ميلاد الكثير من اللغات التي أخذت الشيء غير القليل عن العربيّة، واشتُقَّتْ منها اشتقاقا، ففي إفريقيا، «لقد وُلدت الكثير من اللغات الفرعيّة عن العربيّة، وانتشرت في الأقطاب الحضريّة في عدّة دول وبخاصّة في أوغندا، والتشاد وكينيا»[١]، وهذا حال اللغة النوبيّة، وبالمقابل نلفي في الديار الأوربيّة أنّ أبرز نموذج لغوي مستمد من العربيّة يتمثّل في واقع اللغة المالطيّة؛ إذ يقول بهذا الصدد كلود حجاج ما نصّه: «أما المالطيّة، فهي لهجة عربية ممزوجة بتأثيرات إيطاليّة كبيرة»[٢].

٤ ,٣. التّأثير المعجمي:

لا شكّ أنّ المدّ العظيم الذي عرفته العربيّة من خلال الفتوحات الإسلاميّة، قد ترك الأثر العظيم في عدّة مناطق من العالم، ولقد مسّ هذا التّأثير الجانب اللسانيّ، إذ لـمّا تفاعلت العربيّة مع اللغات المحليّة التي تماست معها، حدث أن أخذت اللغات المحليّة قطاعات وافرة من المعجم العربيّ، من قبيل ما حصل مع الفارسيّة، والتركيّة/ العثمانيّة، والبشتونيّة، والأمازيغيّة، والكرديّة، والسنديّة، والبنجابيّة...إلخ، وكان تأثير العربيّة ينجم أحيانا بفعل التّرجمة من العربيّة إلى مختلف الألسنة المترجَم إليها. وقد أخذت اللغات التي تَرجمَت عن العربيّة ونَقَلَتْ معارفها وعلومها الكثير من المصطلحات التقنيّة والعلميّة، بل وحتّى الكثير من المفردات التي تخصّ الحياة العامة؛ فمثلا « ٣٥٪ من المفردات البرتغالية مأخوذة من العربية"[٣]. ويبلغ عدد المفردات الإسبانيّة ذوات الأصول العربية أكثر من أربعة آلاف مفردة[٤]، ومبعث ذلك تبعات الوجود العربي/ الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، الذي دام حوالي ثمانية قرون. ومن شدّة التّأثير العربيّ

1- Claude Hagège، Halte à la mort des langues، Editions Odile Jacob، Paris، 2000، p. 355.

2- Claude Hagège، Le souffle de la langue : voies et destins des parlers d'Europe، Editions Odile Jacob، Paris، 1992، p. 132(بتصرف).

٣- قناة دزاير تيفي، الإسلام في البرازيل، حصّة تلفزيونيّة بثت بتاريخ: ١٦/ ١٠/ ٢٠١٦م، الجزائر، إنتاج ٢٠١٤م.

4- Rafael Lapesa rapporté par : Sophie Sarrazin، « Observations sur le a (l) du Castillan »، in : Langues، histoires et usages dans l'aire méditerranéenne، Teddy Arnavielle (éd)، l'Harmattan، Paris، 2005، p. 163.

في المعجم الإسباني، قال عبد الفتاح كيليطو عند زيارته لإسبانيا ما لفظه: «عند تجوالي في دروب قرطبة ومدريد، كنت أقرأ إعلانات وأعمدة إشهار، وأسماء بعض المتاجر، وعناوين بعض الصحف، فكنت أعجب من فهمي لدلالة بعض الكلمات، وهي كلمات من أصل عربي، وهكذا غدت اللغة الإسبانيّة مألوفة لدي ألفة غريبة، غدت طرسا شفافا يكشف عن بقايا لغة قديمة، وآثار كتابة ممحيّة»[1]، وثمّة حوالي خمس مئة مفردة عربيّة متداولة في المعجم الفرنسي، معظمها تعنى بالعلوم من رياضيات، ونجامة، وطب، وكيمياء، ومفردات أخرى تتعلق بالغذاء واللباس، وقطاعات من المفردات أخذت من محكيات المغرب الكبير، نتيجة للاحتلال الفرنسي؛ إذ كان الاتصال مباشرا والاحتكاك قائما بين العربية والفرنسية، لا سيما في الجزائر التي كانت تُعَدّ آنذاك مقاطعة فرنسية، ونسبة أخرى ما زالت تدخل المعجم الفرنسي بفضل وجود جاليات عربيّة مهّمة في فرنسا. ومعلوم أنّ الكثير من المفردات العربيّة انتقلت إلى اللغات الأوربية كالإنجليزيّة من طريق اللغة الإسبانيّة، كما أخذت الإيطالية عن العربيّة بفعل التّرجمة، والمبادلات التجاريّة المكثّفة مع العرب في صقليّة والبندقيّة، وجنوة، دون نسيان سيطرة المسلمين على مناطق في جنوب إيطاليا، وما أفرزته من تأثيرات معجميّة.

ومن ثمّ، فتأثير العربيّة بلغ أشدّه في اللغات العالميّة الآن، وهو ما ينّم على مدى المكانة السامقة التي حظيت بها العلوم العربيّة وما قدّمته للإنسانيّة من قيمة مضافة؛ إذ لـمّا أفادت العربيّة من غيرها من الحضارات العتيقة، واقترضت مفردات من الفارسيّة، والسريانيّة، واليونانيّة، أبدعت هي كذلك، وطوّرت المعارف والعلوم، ووصلت بها إلى الغاية من الخلق والإنتاج، وانتقل اللسان العربي إلى لسان علوم وآداب وحضارة وثقافة، وحجم التّأثير المعجمي العربيّ الضخم في بقيّة لغات العالم يدلّ كذلك على مركزيّة اللسان العربيّ، كما يفصح عن ديناميّة العربيّة في تماسّها مع شتّى الحضارات، وينم على حيوية التفاعل مع اللغات الأخريات من خلال التّرجمة أو بفعل التأثير المباشر؛ فحتّى الأقاليم البعيدة عن المنطقة العربيّة تأثّر رصيدها المعجمي بالعربيّة، لا سيما من طريق التجار والتجارة، في أقاصي آسيا، وآية ذلك أن «عدد الكلمات العربيّة في الإندونيسيّة كبير جدّا، تقول بعض الإحصاءات: إنّ حوالي ٣٠٠٠ كلمة يمكن ردّها

١ – عبد الفتاح كيليطو، أتكلم جميع اللغات لكن بالعربية، ترجمة عبدالسلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط١، ٢٠١٣م، ص١٥.

لأصل عربي»[١]، وتغلغل تأثيرها في أعماق إفريقيا، إذ على سبيل المثال «في شرق إفريقيا تُعَدّ السواحيليّة لغة تخاطب وهي ذات أصول البنتو لكن طرأت عليها تبدلات كثيرة من جرّاء الاتصال التجاري مع العربيّة»[٢]، وبذا فلغات العالم اليوم ما زالت تحتفظ بذخيرة معجميّة حيّة عربية الأصول والتأثيل. وهذا ما يقودنا إلى تأكيد مكانة لغة الضاد المتميّزة في الأطلس اللغوي العالمي، وسَعَةِ ما مارسته من تأثير في معاجم غيرها من اللغات، الشيء الذي يفضي إلى درك مدى خصوبة عطاءات الفكر العربيّ، وتفاعله المثمر – لغويا وثقافيّا– مع الفكر الإنساني.

٥. نماذج حول حضور اللغة العربيّة في العالم:

ينبغي التّنويه إلى انتشار العربيّة في كل مناطق العالم تقريبا. ويُعتاص في هذه المساحة المحدودة التطرق إلى وجود العربيّة في كلّ بلد بالتّفصيل، وفي كلّ قارة على حدة، وبغية الإفادة والاختصار سنقتصر على ذكر نماذج بعض الدول، أين تنعم فيها العربية بالحضور، ومن هذه الدول: فرنسا، وماليزيا، والأرجنتين. ونصبو من خلال هذه الجولة إلى تبيان كيف يُحتفَى بالعربية عالميّا، وما يُحاط بها من هالة واهتمام ورعاية، تبعا لما تحتّله من مكانة مشرفة في ديارٍ غير ديارها.

٥,١. فرنسا:

من جملة الدول الغربيّة، ارتأينا تخصيص وقفة نظر وتتبّع لما أزجته البلاد الفرنسيّة من حظوة للغة العربيّة. وغير خافٍ أنّ فرنسا كانت تُلقَّبُ بالبنت الكبرى للكنيسة الكاثوليكيّة، كما أنّها تقاسمت سيادة العالم إلى غاية نهاية الحرب الكونيّة الأخيرة مع إنجلترا، وما زالت إلى اليوم تُعْرَفُ بتأثيرها الثقافيّ، واللغويّ، والسياسيّ والديبلوماسيّ، حتّى وإن تراجع مستواها الاقتصادي مؤخرا، ومن ثمّ، إنّه من المفيد ترصّد حال العربيّة، وتقّفي مكانتها في بلاد تحظى فيها الفرنسيّة بشأن ورفعة كبيرتين.

غنيّ عن البيان التّذكير بأنّ مجمل الدول الغربيّة، والأوربيّة منها خاصّة، اهتّمت

١– كيس فرستيغ، مرجع مذكور، ص٢٨١.

2- Nicholas Ostler، Empires of the Word: A Language History of the World، Harper Collins Publishers، Great Britain، 2005، p. 533.

بالعربيّة قديما وحديثا؛ لأنّها لغة حضارة، ودين، وثقافة، ولغة مجتمعات تمتّد مساحتها الجغرافيّة شرقا وغربا، و»يرتقي عهد اهتمام الأوربيين باللغة العربية إلى القرن العاشر للميلاد. فمن ذلك الحين أخذوا يحشدون في خزائنهم ما ألّفه العرب في الطبّ والفلسفة والرياضيات والطبيعيات والكيمياء والنجامة والأدب واللغة، وجعلوا يترجمونها إلى لغاتهم، ولا سيما إلى اللغة اللاتينيّة»[١]. ولا غرو في كون فرنسا من بين أهمّ الدول الأوربية، بل والغربيّة في الاهتمام باللغة العربيّة، وفي تدريسها، تبعا لأسباب عديدة، سوف نتطرّق لبعض منها لماما؛ ذلك أنّنا نودّ بالأحرى إبراز تجليّات اللغة العربيّة في السياق الفرنسي، كدليل على الحظوة التي تتميّز بها العربيّة خارج نطاقها الطبيعي.

لقد التفت الفرنسيون إلى العربيّة منذ القديم، للحاجة إلى التراجمة والمترجمين، والديبلوماسيين من جهة، وللإفادة من المخطوطات العربيّة والتواصل مع العرب من جهة أخرى؛ وقد دُرِّسَتْ العربيّة في الكولاج دو فرانس عندما أُدرِجَتْ بوصفها لغة حضارة من جملة «اللغات الشرقية الأخرى، غير العبرية، في الفترة الممتدّة من سنة ١٥٣٨م إلى ١٥٤٣م على يد غيوم بوستل»[٢]. وبعد ذلك الحين، عاد من جديد الاهتمام الرّسمي بالعربيّة، وأنشئت مدرسة اللغات الشرقيّة بباريس سنة ١٧٩٥م (الإنالكو حاليا)، التي اضطلعت وما زالت بتدريس العربيّة الفصحى، وبتدريس عدد كبير من اللهجات المحكيّة في البلاد العربيّة. ويتزايد اليوم تعداد المتعلمين للعربية بوصفها لغة أجنبيّة، سواء في المدارس الحكوميّة، أو المراكز الثقافيّة والجمعيات الخاصّة؛ فالجاليّة العربيّة والمسلمة ذات تعداد كثيف في النسيج الاجتماعي الفرنسيّ، تبعا لظروف تاريخيّة معروفة، ولموجات المهاجرين الأتيّة من بلدان المغرب الكبير.

إنّ حضور العنصر العربي/ المسلم في فرنسا، استتبعه بناء المساجد[٣]، التي تقوم غالبا بتقديم دروس تعليم اللغة العربيّة، كما ظهرت المراكز الثقافيّة الإسلاميّة التي تعلّم أصول الدين الإسلامي بالإضافة إلى العربية، بلْه الخدمات المتنوّعة التي توفرّها

١- فيليب دي طرازي، اللغة العربية في أوربا ، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص٩.

٢- محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م، ص٧٧.

٣- حسب وزارة الداخلية الفرنسية يبلغ عدد المساجد ودور العبادة الخاصة بالمسلمين حوالي ٢٣٦٨ إلى غاية سنة ٢٠١٤م دون احتساب مشاريع المساجد التي هي في طور الإنجاز.

الجمعيات والمدارس الإسلاميّة الخاصّة. وفي قطاع التّعليم الحكومي، تُقَدَّمُ دروسٌ إلى الراغبين في تعلّم العربية من التلاميذ في جميع المستويات الدراسيّة: ابتدائي، إعدادي، ثانوي. وفي مرحلة الجامعة، يمكن للطلبة أن يتخصّصوا في العربيّة؛ إذ تتوافر الجامعات على أقسام خاصّة بالعربيّة في عدّة مدن كبرى، نذكر منها: جامعة ليون، جامعة غرونوبل، جامعة باريس ٨، جامعة السوربون ٣، جامعة تولوز، جامعة ران، جامعة بوردو، جامعة مارسيليا، جامعة ستراسبورغ، جامعة نانت، جامعة ليل، بالإضافة إلى المعاهد الخاصّة مثل معهد ابن سينا في ليل. و«تمنح الجامعات فرصا للدراسات العربيّة والإسلاميّة المتعمقة في العديد من الحقول المعرفيّة بتحضير مذكرات ماجستير ورسائل دكتوراه، ومراكز البحث متنوّعة فتعنى بالدراسات اللسانيّة بمختلف تفريعاتها وبقضايا المصطلح، بالجوانب الترجميّة والمعالجة الآليّة للغات، والدراسات المقارنة والنّقد الأدبيّ»[١]. ولم تُغفِل الحكومة الفرنسيّة وزن العربيّة في المشهد اللغويّ الفرنسيّ وفي العالم؛ فأنشأت معهد العالم العربيّ بباريس، وهو ثمرة تعاون مع دول جامعة الدول العربيّة، وقد دُشّن سنة ١٩٨٧م، ويقدّم نشاطات مختلفة عن الوطن العربي، كما يحتوي على مكتبة ثريّة، وتَنْصَبُّ انشغالاته حول قضايا العالم العربي الثقافيّة والحضاريّة والتّاريخيّة، وينظّم دوريا ملتقيات، وندوات، ومعارض حول الثقافة العربيّة الإسلاميّة، ويحتوي على مركز لتعليم اللغة العربيّة.

ومن دلائل الاهتمام الفرنسي بالعربيّة حجم المخطوطات العربيّة في المتاحف والمكتبات الفرنسيّة، «ويزيد عدد المخطوطات العربية اليوم في المكتبات الفرنسيّة المختلفة، التي جُمعت عبر المراحل التاريخية المختلفة [...] على سبعة آلاف مخطوطة»[٢]. وهذا ما ينمّ على تراكم جهود جلب المخطوطات من مختلف البلدان، كما يترجم مقدار العناية الفائقة بالمتون والمدونات العربيّة تبعا لأهميّة قيمتها العلميّة والتّاريخيّة والحضاريّة؛ «ولهذا اتجه الغربيون عامة والفرنسيون خاصّة إلى جمع أعداد من المخطوطات التي تتفاوت في قيمتها وموضوعاتها من فترة إلى أخرى. وقد جُنِّد لهذا الغرض رهبان مبشرون، وتجار، وجواسيس، وديبلوماسيون، وسفراء في العالم العربي

١- محمد بسناسي، "تعليميّة اللغة العربيّة لغير الناطقين بها في السياق الفرنسي" جسور المعرفة، مجلة دورية أكاديميّة محكّمة، مخبر تعليميّة اللغات وتحليل الخطاب، جامعة حسيبة بن بولعي، الشلف، العدد ٢، ٢٠١٥م، ص١١٠.

٢- محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص٥٦.

والإسلامي، ورحالة وسواح، ومستعربون كلّفوا خصيصا لهذا الغرض»[١]. وبذا؛ فالنشاط الاستشراقي سلّط الأضواء على ما له رابطة بالحضارة العربيّة الإسلاميّة، توسلاً بالتّرجمة من العربية إلى الفرنسية، وبالتّأليف في المسائل والشؤون التي تَـمتُّ بصلة إلى العربيّة وثقافتها. وبالمقابل، نلفي حضورا بارزا للعربية على مستوى وسائل الإعلام، من خلال محطّات إذاعيّة نذكر منها: إذاعة الشرق بباريس، راديو السلام بمدينة ليون، زيادة على قناة فرنسا ٢٤ التلفزيونيّة، التي تقدّم برامج بالعربيّة حول فرنسا والعالم، وهي قناة إخباريّة دوليّة، شرعت في البثّ سنة ٢٠٠٦م.

٥, ٢. ماليزيا:

لقد أشرق الإسلام على ماليزيا مثل العديد من المناطق الآسيوية من طريق التجّار؛ فارتاح السكان آنذاك لمعاملة المسلمين وأخلاقهم، وطفق القوم يدخلون في دين الإسلام أفواجا، وشدّوا عليه بالنواجذ، حتّى أيامنا هذه. وقد ذكر ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) في رحلته أحوال جاوة حيث وجد أهلها على المذهب الشافعي، وقال في شأن سلطانهم: «وهو السلطان الملك الظاهر، من فضلاء الملوك وكرمائهم، شافعي المذهب، محب للفقهاء، يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة»[٢]، ومن الناحيّة اللغوية، فإنّ «اللغة العامة في شبه جزيرة ماليزيا هي الملايوية، يتحدّث بها أغلب السكان بأشكال مختلفة من اللهجات من حيث كونها لغة أولى أو ثانية لهم»[٣]، وقد بلغ التّأثير العربي والإسلامي مبلغهما في اللغة الملايوية، إذ تبلغ المقترضَات من العربية «ما يزيد على ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) كلمة»[٤]، وتأثّرت التقاليد الماليزيّة بالعربيّة كذلك؛ فتسميّة الأولاد بالعربية تلقى رواجا غير هيّن، وعملت الكتاتيب والمدارس القرآنية منذ القديم على تحفيظ القرآن والعربية ومبادئ الدين الإسلامي، ومنها ما هو قائم إلى الآن، لما تقدّمه من شيوع للعربيّة، ولنشر للإسلام، ينضاف إلى ذلك وجود المدارس الخاصّة

١- محمود المقداد، المرجع نفسه، ص٤٥.

٢- ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ)، مهذّب رحلة ابن بطوطة: تحفة النظّار في غريب الأمصار، وعجائب الأسفار، تحقيق أحمد العوامري بك ومحمد أحمد جاد المولى بك، ج٢، المطبعة الأميرية بولاق، القاهرة، ١٩٣٤م، ص٢٣٨.

3- Christopher Moseley & R. E. Asher، Op. Cit.، p. 59.

4- http://learning.aljazeera.net/blogs/pages/b3198412-ec02-407a-846c-89bcfdf4bdbe (انظر موقع الجزيرة)

بتعليم العربيّة، وقد كانت تستفيد من معونات حكوميّة إلى وقت غير بعيد. وقد حملت الحكومة الرّسميّة على عاتقها، منذ سنة ٢٠٠٥م، مهمّة ترسيخ برنامج طموح سمي بـ: (جي قاف) (JQAF)، وهو اختصار للكلمات التّاليّة: المالايوية، والقرآن، والعربية، وفرض العين، ويكمن مضمون هذا المشروع في تأسيس إسلام حضاري في المجتمع الماليزي، بتكوين شخصيّة ماليزية تنشأ، خلال مراحل التّعليم المختلفة، على مبادئ مستوحاة من الدّين الإسلاميّ. وأركان البرنامج تقوم على ربط ملامح الشخصيّة بالتراث الماليزي من خلال اللغة المحليّة، ووصلها بملامح الشخصيّة الاسلاميّة، وكتابة اللغة الجاوية (نسبة إلى جاوا) بالحرف العربي، وكذا تعليم القرآن الكريم، واللغة العربيّة، من أجل بناء الذّات الماليزية، بحيث تشدّها أواصر ووشائج بالماضي وتطلعات للمستقبل. وتوجد في ماليزيا جامعات ومعاهد إسلاميّة وعربيّة، وأبرزها الجامعة الإسلاميّة العالميّة، وجامعة العلوم الإسلاميّة، وجامعة مالايا، والمعهد العالي للفكر والحضارة الإسلاميتين، ومعظم الجامعات الحكوميّة والخاصّة، تفتح أقساما خاصّة باللغة العربيّة، وبذا فماليزيا من بين الدول التي أولت عناية لافتة للعربيّة، إذ تعكف على تدريسها في المستويات التّعليميّة، وتخصّص جامعات للدراسات الإسلاميّة، «وقد أنشأت بعض هذه الجامعات برامج للدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها كما يتّجه بعضها إلى إنشاء مثل هذه البرامج»[1]. وفضلا عن ذلك، يتجشّم القائمون على المساجد مَهَمَّة تعميم تعليم العربيّة، وشرح مبادئ الإسلام. وهذه الرعاية التي تُحَفُّ بها العربية في ماليزيا، تجد تفسيرا لها في عراقة تمسّك الماليزيين بالدين الإسلاميّ، وفي وجود جمهور متعطّش للغة الضاد، ومهووس بفهم آي القرآن الكريم، ومقتضيات الإسلام، إذ لـمّا يتوافر جمهور راغب في التعلّم والتفقّه؛ فلا محالة أنّ آفاق العربيّة تلقى أرضا خصبة، وفضاءات واعدة.

٥,٣. الأرجنتين:

تقع الأرجنتين في أمريكا الجنوبيّة واللغة السائدة فيها هي الإسبانيّة الموروثة من حقبة الاحتلال الإسباني. ولعلّه من المفيد التّذكير ههنا بأن استكشاف العالم الجديد أسهم فيه المورسكيون الذين كانت يد عونهم عظيمة لرحلات كريستوف كولومبوس.

---

١ - نهاد الموسى، مرجع مذكور، ص١٤.

ومنهم من استقرّ منذ ذلك الحين في العالم الجديد، بيد أنّ الهجرات العربيّة إلى الأرجنتين بدأت مع القرن التاسع عشر، «ولقد كان أول وصول عربي سنة ١٨٦٤م»[١]، وكان معظمها منطلقا من سوريا ولبنان. والتركيبة العربيّة اليوم تشمل القادمين «من الاثنتين وعشرين دولة المكوِّنة للعالم العربي كالمغرب. وعرب الأرجنتين من أكبر مجموعات الشتات العربي في العالم»[٢]، لذلك فليس من الغريب أن تحتّل العربية بلهجاتها الشاميّة المرتبة الثالثة، من حيث الناطقون بها في الأرجنتين بعد الإيطاليّة التي تتموقع ثانيّا[٣]. ويمثّل العنصر العربي حوالي ثلاثة ملايين ونصف نسمة، ومعظمهم من ديانة مسيحيّة، لكنّهم مرتبطون بالثقافة العربية وبلغة الضاد، يبلغ عدد المسلمين منهم حوالي سبع مئة وخمسين ألفا، وهذا ما يجعل الإسلام الديانة الثانيّة في الأرجنتين بعد الكاثوليكيّة[٤]. وتقدِّم المراكز الإسلاميّة والمساجد دروسا لتعليم العربيّة، إذ «يوجد أكثر من ١٥٠ مركزا إسلاميا في أنحاء الأرجنتين، كما يوجد الكثير من الجامعات والمدارس، منها: المدرسة العربية في توكمان، جامعة فهد في بيونس آيريس، جامعة الأرجنتين الإسلاميّة في غاروبا، مدرسة عمر بن الخطاب الأساسية في بيونس آيريس»[٥]. ومن مشكلات انتشار العربية في الأرجنتين خصوصا وأمريكا اللاتينيّة عموما، قلّة التواصل مع الوطن العربي، وغياب تلك الوشائج الحميميّة، التي من شأنها أن تحافظ أكثر على مركزية لغة الضاد لدى الجاليات العربية، تبعا للبعد الجغرافي، ولغياب قنوات ووسائل اتصال مخصّصة لمثل هذه الجاليات العربية الموجودة في بيئة لغويّة إسبانيّة، والحقّ، عدم الاهتمام العربي الكافي بمآل هذه الجاليات هو تخلٍّ عن جزء إنساني من الذاكرة العربية المشتركة، وبات من اللازم تعهدّها بما تحتاج إليه من كتب معدّة خصيصا لأبنائها بغية تعلّم وحذق العربيّة.

١- ويكيبيديا، عرب الأرجنتين، الرابط: عرب_الأرجنتين /https://ar.wikipedia.org/wiki

٢- ويكيبيديا، عرب الأرجنتين، الرابط السابق نفسه.

٣- ويكيبيديا، لغات الأرجنتين، الرابط: لغات_الأرجنتين /https://ar.wikipedia.org/wiki

٤- إسلام واب، المسلمون في الأرجنتين، الرابط:
http://articles.islamweb.net/Media/index.php?page=article&lang=A&id=184263

٥- إسلام واب، المسلمون في الأرجنتين، الرابط السابق نفسه.

٦. سبل تعزيز تداول العربيّة عالميّا:

لا غرو أنّ اللغة العربيّة تحتّل اليوم مكانة مشرّفة بين بقيّة اللغات العالميّة، خاصّة إذا ما أخذنا بعين النظر عراقتها، وأصالتها، وحضورها الدولي من جهة، والهزّات التي اعترضت مسيرتها جرّاء ما سعى إليه العنصر الأجنبي قديما وحديثا من محاولة إلغائها أو استبدالها من جهة أخرى. والعربيّة أتحفت البشريّة بعطاءات مشهودة، وما زال حظّها وافراً في الأطلس اللغويّ العالميّ، لا سيّما أنّنا في زمن عولمة استعصت حتّى على ألسنة وُسِمَتْ بلغات العلم والتقانة.

وتنطوي العربيّة على مجال حيويّ ذي نطاق واسع، واللسان العربي يمثّل همزة وصل بين المسلمين لأنّ به نزل نصّ القرآن الكريم؛ فالمسلم يجد نفسه ينطق بالعربيّة ولئن لم يكن يحذق اللسان العربيّ بإتقان، وعدد المتدينين بالإسلام يربو عن المليار والنّصف، وينمُّ هذا على آفاق رحبة للعربيّة وعن فرص كبيرة لإمكانيّة انتشارها، وغير خافٍ زيادة على ذلك أن الدين الإسلامي يُعَدّ، في دول غير قليلة في الغرب، الديانةَ الثانيّة؛ وهذا الـمُعْطَى، يشي برحابة الفضاءات الممكنة، كي تتفتّق تعليميّة العربيّة خارج النطاق الإسلامي.

واللغة أيُّ لغة تحتاج من لدن أبنائها إلى رعاية متواصلة بتدريسها لأهلها ولغيرهم، وتستدعي عناية فائقة بمعجمها، وتتطلّب تدبيرا مُحْكَمًا يرقب سلامة الأساليب والتراكيب، وبالاجتهاد الدؤوب في الحفاظ على مكانتها في شتّى مجالات الحيّاة، وهذا جرجي زيدان يضع مؤَلفا عن العربيّة وسمه: **(اللغة العربية: كائن حيّ)**؛ ويخلص في نهاية بحثه قائلا: «أما اللغة العربية فلا بدّ من المحافظة على سلامتها والاهتمام باستبقائها على بلاغتها وفصاحتها، وخاصّة بعد أن أخذت تنهض إلى أرقى ما بلغته إليه في إبّان شبابها ... فلا يستحسن الاستكثار فيها من الدخيل والمولدّ، وإنّما يؤخذ منها بقدر الحاجة، على أن نعدّ ذلك من الاقتباس نموّا وارتقاء، لا فسادا وانحطاطا»[1]، وبذا، فينبغي أن تتعايش اللغة مع روح العصر بسلاسة متناهيّة، وما يتيح ذلك هو ذكاء وفطنة أهل اللسان، لـمّا يتكئوا على سُبل التّدبير اللغوي، ومفهوم «التّخطيط اللغوي هو البحث عن الوسائل الضروريّة لتطبيق سياسة لغوية وعن وضع هذه الوسائل

١- جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حيّ، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٨٦.

موضع التّنفيذ»[1]، وتكمن ضرورة التّخطيط المحكم للغة في تلافي الاستلاب الثقافي والاغتراب اللغوي، وحتّى لا تطغى عولمة المقترَضات على معجم العربيّة، إذ تنفرد العربيّة بنظام لسانيّ يكفل لها طائفة من آليّات التّوليد المصطلحي، بحيث يغنيها مغبّة استسهال الاقتراض المجّاني. واللغة نظام رمزي تتوارثه الأجيال، ومن ضروريات بقاء النظام: بعث الحياة في صلبه، وتغذية معجمه، وتحديث أساليبه، حتّى ينطق بروح العصر، وكي يعبّر عن مقتضيات الحياة المستجدّة؛ لذلك فعلى عاتق أهل اللغة تعهّد ما يمت بصلة إلى اللغة من جميع المستويات، و«لا [يليق] بنا ولا بالأجيال اللاحقة أن نجمد عن إبداع جديد، وتوليد طريف، وارتجال مفيد»[2]. وفي عجالة، سنسوق فيما يلي شذرات ممّا قد يفيد في ترويج العربيّة، بحيث تتعزّز رتبتها المرموقة التي أحرزتها بين قريناتها من اللغات، في عالم يَـحْكُمه التغيّر، وتضبطه أكثر من قبل تقلبّاتُ موازين القوى اللسانيّة.

٦, ١. فضاء الشابكة: مجال حيوي:

لقد أفادت الثّورة الرّقميّة كثيرا العربيّةَ، بما منحتها من فضاءات تواصل وقنوات حضور؛ فالقارئ العربي يلفي لا محالة ضالته بين صفحات الشابكة في إشباع رغباته الفضوليّة حول مسألة من مسائل العربيّة اللغويّة أو الأدبيّة أو النّقديّة، وفي التعلّم عامة، وفي مطالعة النصوص والكتب، وتحميل الجرائد والمصنفات والمجلّدات، وحتّى المخطوطات. ينضاف إلى هذا ما يوفره الفضاء الرّقمي من منتديات تفاعل وتحاور، ومن شبكات التّواصل الاجتماعيّة، ومن مدوّنات أدبية وعلميّة، ومعرفيّة، ودينيّة. ولذا؛ فالاعتناء بالجانب الرّقمي، وما يكتنفه من إيجابيات في تهيئة قنوات خصبة لكلّ ما يتعلّق بالعربية كمّا وكيفا، بات شغلا ضروريّا لا ينبغي التّفريط فيه، أو التغافل عنه. وأصبح ممكنا حتّى تقديم دروس بفضل الشابكة؛ إذ إنّ إتاحة التّعليم أصبح الآن على نطاق واسع عبر الشابكة، و«تفسح الدروس المفتوحة عبر الإنترنت المجال أمام أعداد

١– جان لويس كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغويّة، ترجمة حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م، ص٢٢١.

٢– عبدالله أيت الأعشير، اللغة العربية الفصحى : نظرات في قوانين تطوّرها وبلى المهجور من ألفاظها، الوعي الإسلامي، الكويت، ط١، ٢٠١٤م، ص١١.

كبيرة من الطلاب للتعلّم »[1].

٦, ٢. تحفيز الإبداع الأدبي والفكري والعلمي والتقني بالعربية:

ينبغي لأهل العربية ألّا يتوسلوا فقط بديناميّة انتشار الإسلام فقط لرؤية تزايد متعلّمي لغة الضاد، فقد بات من الضروري التبصّر في كيفيّة تطوير الحضور العلمي والمعرفي للإنتاج والبحث المعرفيين بالعربية، بغية توسيع فضاءات شيوع اللسان العربيّ؛ ومن الجدير التّنويه بأهميّة تجسير سبل التقارب في تخيّر المصطلح العلميّ بين أقطار الفضاء العربيّ، حتّى يتّسم الخطاب العلميّ بالدقة والصرامة والوضوح، وكي يسود الفهم والتفاهم، «وإنّ إعداد العربيّة من حيث كونها لغة قوميّة وافيّة، لا يضيرها مطلقا إذا كانت جماعة الاختصاص تتفق عالميا على ألفاظ علميّة بعينها...فهذا شيء يحدث في جميع اللغات الحيّة»[2]. وليس ضربا من المحال نيل وفاق حول تقريب المصطلحات بين الباحثين؛ ذلك إنّ المصطلحات مفاتيح العلوم وعماد الخطاب العلميّ والتقني. والعربيّة أبانت طيلة تاريخها عن حيويّة متدفقة في صوغ المفردات وتوليد المصطلحات، فصارت بهذا ذات نفس طويل؛ فتكيّفت مع الأوضاع والأحوال، وسافرت في الزمان والمكان، ومع قصور النتاج العربيّ العلميّ، فإنّه لا يليق في هذا السياق نكران أنّ التّأليف في العلوم الإنسانيّة، قد بلغ أشواطاً متقدمة بالعربيّة. ومن البواعث التي تدفع بالباحثين إلى الكتابة بالعربيّة جملة الحوافز الماديّة والمعنويّة من جوائز وتكريمات دوريّة؛ إذ من شأنها أن تحثّ الباحثين والكتّاب على إبداع ذي جودة رفيعة وراقيّة بلغة الضاد، ولقد تفطّنت الكثير من المؤسسات الأهليّة والحكوميّة إلى هذه المسألة. بيد أنّه لا ينبغي أن نقصي فئة الكتّاب غير العرب أو أولئك الذين لا تكون العربيّة لغتهم الأم، وينبغي تحفيزهم على ما يقدّمون من إضافات إلى البحث والإبداع بالعربيّة، وهذا ما يُضْفِي صفة العالميّة على الجوائز الممنوحة لما هو مُنْجَزٌ بالعربيّة. ولقد رأينا فرنسا مثلا تكرّم مَنْ يكتبون بلسانها؛ فتمنح لهم الجوائز الأدبيّة، والمكافآت الماديّة، وتنشر مصنفّاتهم، وتذيعها عبر وسائل الإعلام الثقيلة، وتقدّم لهم الأوسمة الوطنيّة، وترشّحهم للمناصب الرفيعة وبخاصّة

١- تقرير التّنميّة البشريّة ٥١٠٢، برنامج الأمم المتحدّة الإنمائي، نيو يورك، ٥١٠٢م، ص٤٢.

٢- عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، ط٢، ١٩٨٨م، ص٢٢٠.

الأكاديميّة منها. وهذا تقليد يجازي تضحيات التّدوين والإبداع بلسان أجنبيّ، سارت عليه فرنسا في الاعتراف بمن يخدم الفكر، ويتعاطى الإبداع بلسانها.

٦, ٣. تحفيز التّرجمة إلى العربية:

تزدهر جاذبيّة العربيّة، وتزداد ثراء بما يُترجَم إليها من جديد معارف وافدة من حضارات وأفاق أخرى، ولقد لعبتْ التّرجمة في تاريخ العربيّة دورا محوريّا في تفتيق التّفكير، وتوسيع التلاقح المعرفيّ، وإغناء اللغة مصطلحيّا، وتسعى التّرجمة في الأوقات الرّاهنة إلى مواكبة ما يستجدّ في ميادين العلوم والآداب والفلسفة، ومن شأن هذا أن يجعل لغة الضاد تزاحم في حلبة عولمةٍ مسّت كلّ شيء تقريبا، والتّرجمة نشاط ديناميّ يغذّي اللغة بما يَنْقُصها من مستحدثات فكريّة ومفاهيميّة؛ إذ لا يخفى أنّ الفكر البشريّ خاضع لإكراهات التّجديد، وما ينبغي البتّة البقاء على هامش ما يُنتَج في الحضارات الأخرى، التي تنزع أكثر من ذي قبل إلى التفاعل الخصيب، والتثاقف الإيجابي. وعلى المستوى العالمي، وبحسب عدد المصنفات المترجَمة إلى العربية، فلا نجد العربية إلا في المرتبة التاسعة والعشرين[1]، وبات من الضروري الآن رسم سياسة ترجمة واضحة المعالم، بحيث تكون جماعيّة وتشاوريّة بين الأقطار العربيّة، كي تحصل منفعة عامة، ويغتنم أهل العربيّة غنيمة وفيرة ووافرة.

٦, ٤. تحفيز التّرجمة من العربيّة إلى اللغات الأخريات:

لا يمكن الركون إلى الأفكار التشبيطيّة التي مؤدّاها غياب تام للإنتاج الفكريّ والثقافيّ والفلسفيّ والبحثيّ في العلوم الإنسانيّة بالعربيّة، ولئن أقررنا بضعف مستوى البحث في حقول علميّة وتقنيّة هيمنت عليها لغات محدّدة عالميّا: (الإنجليزيّة والفرنسية)؛ فالوطن العربي أنجب شخصيّات فذّة، ومفكّرين، وفلاسفة، وباحثين، وألسنيين، ومختّصين في حقول معرفيّة مختلفة، لكن غالبا لا يذيع صيتهم، وفكرهم النيّر بدافع عدم الالتفات إلى ترجمة منجزاتهم واجتهاداتهم إلى اللغات الواسعة الانتشار؛ فعندما نتحدّث عن قيمة ومكانة العربيّة عالميّا، يجب ألّا نفصل هذا عن إسهام الفكر العربيّ في النّهضة والتّفكير الإنسانيين، فكما يقال: اللغة وعاء الفكر، لكن الفكر يَقْدِرُ

1- Jean-Louis Calvet، Op. Cit.، p. 271.

أن يجاوز الحدود ويتلاقح مع مناخات أخريات، وقد أبانت التّرجمة قديما من العربيّة إلى اللاتينيّة عن أداءٍ مفصليّ، جعل العلوم تنتقل إلى الفضاء الأوربيّ، بما رفدته من فكر نيّر، وعلم رصين، وفلسفة مشرقة، والتّرجمة تحفظ أحيانا الفكر، إذ لـمّا سقطت بغداد وأُحرِقَت المكتبات إبّان غزو المغول، «كان قد بدأ الشروع منذ قرن بالتّقريب في ترجمة النصوص العلميّة العربية إلى اللاتينيّة، وكان يُنجَزُ ذلك غالبا من طريق اللغة الإسبانيّة»[1].

وتحتّل العربيّة بوصفها لغة يُترجَم منها إلى بقيّة اللغات العالميّة المرتبة الخامسة عشرة، بحسب تقديرات فهرس التّرجمة لليونسكو، الذي يُعَد مرجعا أساسيّا في رصد حجم التّرجمة بين اللغات[2]، وهذا ما يدلّ على أهميّة ما يُنجَزُ عربيّا في مختلف المعارف والآداب والدراسات العلميّة، على الرّغم ممّا ترسّخ في الأذهان من فكرة مفادها أنّ أهل العربيّة يسترفدون من الفكر الغربيّ حدّ الإدمان. بطبيعة الحال لا نذهب إلى القول إلى أن ما يُنتج من المعرفة عربيّا كافٍ، لكن نريد الإشارة إلى أن هناك مجهودات في كلّ البلاد العربيّة تستحق التّنويه والتّقدير، وينبغي تثمينها بتفعيل تّرجمتها إلى اللغات الأخريات، وإلّا لانحصر تأثير الفكر العربيّ، وتضاءلت نفعيته؛ لذلك من اللازم التفطّن إلى التّحسيس بفضائل التّرجمة من اللغة العربية إلى غيرها من اللغات الفاعلة، حتّى لا يبقى الفكر العربي ومنجزه المعرفي هامشيّا ورهين حدودٍ ضيّقة، وعلى أيّ حال، فلما تتّسع فجوة تصدير ما يُنتَج بالعربيّة؛ فإنّ طائفة لا بأس بها من الكتّاب ستهرع إلى التّدوين باللغات الفرنسيّة والإنجليزيّة، بغية الوصول إلى القارئ الأجنبي بما يتداوله مباشرة من لسان، وهذه الممارسة لا تخدم البتّة الإبداع بالعربيّة.

٦ , ٥ . الجهاز الديبلوماسي ودوره في النهوض بتعليم العربية:

من البائس حقّا أن تبقى المباني الديبلوماسيّة العربيّة الفخمة تنهمك في دوّامة الإجراءات البيروقراطيّة، ناسيّة أنّها تمثّل أمّة عظيمة، بكل ما في هذا من معنى، لذا؛ يتحتّم على الملحقات الثقافيّة التّابعة للدول العربيّة القيام بأدوار رائدة في التّعريف بمعالم الثقافة العربيّة، وحضارتها ولغتها، بقدر ما يتهيأ لها من تنظيم الأيام الثقافيّة،

1- Ibid.، pp. 265-266.

2- Ibid.، p. 270.

والمعارض، ومن إقامة دورات تعليم العربيّة لغير الناطقين بها، تحت إشراف أساتذة يتمتّعون بكفاءات رفيعة، وبمهارات تربويّة عاليّة.

الخاتمة:

تحرّى هذا البحث تتبّع مكانة العربيّة، بمحاولة إبراز قيمتها في العالم، وأتينا وإنْ لماما على ذكر أرقام وإحصاءات، تشير إلى تراتبيتها بين غيرها من الألسنة، وتبيّن أنّها لغة حاضرة على الرّغم من إكراهات العولمة، والمنافسة الضاريّة التي تفرضها اللغات الأجنبيّة. ويمكن القول: إنّ مرتبة العربيّة مشرّفة جدّا بالنظر إلى نهضتها الحديثة، والاستقلال السياسي المتأخّر لمعظم الدول المشكّلة لخارطة الوطن العربي. وتتميّز العربيّة بديناميّة كبيرة من حيث الشيوع والانتشار، تبعا للحيوية السكانيّة، ولتوافرها على فضاءات انطلاق وآفاق توسّع هائلة، ولشساعة العالم الإسلامي، وللأعداد المتناميّة للمهاجرين العرب في مختلف القارات. وتبدّى لنا أنّ لغة الضاد ما انفكّت تُحسِّن من مرتبتها العالميّة طيلة السنين المتأخرة، وليس من الغرابة في شيء أنّ بعض التوقعات تذهب إلى ترشيح العربيّة كي تحتّل المرتبة الثانيّة عالميا مناصفة مع الأرديّة وذلك بعد خمسين سنة فقط من الآن. وغير خافٍ لما للتّأليف، والتّرجمة، ووسائل الإعلام، والوسائط الإلكترونيّة، والشابكة، من وزن ثقيل في تعزيز مجالات تداول العربيّة، وبغية النهوض بالعربيّة لكي تزداد ألقا على ألقٍ، يبدو من الأفيد بمكان تسليط الضّوء على مركزيّة مهنة المدقّق اللغويّ، وما هو خليق بتأديته من أدوار إيجابيّة في مجال الصحافة بمختلف ضروبها؛ لأنّ خطاب وسائل الإعلام بالغ التّأثير في عالم اليوم، كما يُستحسَن تجويد الصفحات الإلكترونية والمواقع العنكبوتيّة العربيّة وتحيينها.

وقد تجلّى أنّ العربيّة أثرّت تأثيراً فاعلاً في مسار الحضارة الإنسانيّة، ويكفي قولا ما تزخر به مكتبات العالم من مصنفّات ومخطوطات عربيّة؛ إذ حسب تقدير أستاذ التّاريخ الإسلامي في جامعة الأزهر أيمن محمود السيّد، «يُقَدَّرُ عدد المخطوطات العربية والإسلاميّة الأصيلة المنتشرة في مكتبات العالم بأربعة ملايين مخطوطة»[1]. وقد تركت العربيّة أثرا كبيرا في معاجم اللغات التي دخلت في اتصال مباشر معها أو من طريق التّرجمة، لكن العربيّة قد أخذت كذلك قديما وحديثا قسطا من المفردات الأجنبيّة،

١ – الألوكة، حوار مع أيمن محمود السيّد، الرابط: https://majles.alukah.net/t14423/

وأدمجتها في معجمها؛ فهناك تأثير وتأثر بين اللغات بعضها مع بعض.

وعندما نتحدّث عن مكانة العربيّة في العالم، ينبغي ألا نُغفِل مسألة الاعتناء بالعربيّة في المناطق البعيدة التي تتهيأ فيها فرص تعليمها بوصفها لغة أجنبيّة، وصار لزاما مرافقة ومعونة الدول التي تميل إلى استعمال العربيّة في التّعليم والتّدريس ماديّا وبشريّا. فتعليم العربيّة في غير بيئتها يحتاج إلى مقاربات منهجيّة ناجعة، واستحداث برامج سهلة وفعالة تتلاءم وطبيعة المتعلمين، بالتّعويل على الوسائط الإلكترونية؛ فمن غير السهل البتّة إتقان لسان وبلوغ الغاية فيه ما لم تتهيّأ شروط النجاح وأساسياته. ولذا؛ فلا بدّ من عقد الملتقيات حول أوضاع العربية وحول تعليميّة العربية لغير الناطقين بها، وتقديم منح دراسيّة للراغبين في تعميق معارفهم اللغويّة والثقافيّة في العربيّة. وبات من المهّم الالتفات إلى تنظيم دورات لغوية لغير الناطقين بالعربيّة، بحيث تكون مفتوحة للطلبة ولغيرهم، لا سيما في فترات العطل الفصليّة والسنويّة، كي يتسنّى للمسافر قضاء عطلة، وتطوير الكفاءات اللغويّة في أحد البلدان العربيّة، إذ هذه سنّة يُعمَل في الكثير من الدول؛ فيضرب السائح عصفورين بحجر من خلال قضاء عطلة، وتلقّي دروس في لغة البلد الذي يزوره، بيد أنّ الكثير من الأجانب يصطدمون بغياب مراكز ومدارس خاصّة تقدّم هذا النّوع من الخدمات في البلاد العربيّة. والاعتناء بالعنصر غير العربي، تقتضي إطلاق قنوات تلفزيونيّة مُعَدَّة خصيصا لغير العرب، وذلك بتقديم برامج، في الآن نفسه، بالعربيّة وباللغات الأجنبيّة. ومن المحفّز رصد جوائز تقديريّة تحتفي بالإبداع بالعربية في كل الميادين، وتخصيص جوائز أخرى لغير العرب، ممن يخدمون العربية خدمات جليلة للرّفع من قيمة العربيّة خارج أوطانها، واستقطاب الاهتمام الأجنبي بها.

توصلنا في نهاية البحث إلى حاجة العربيّة الماسة إلى أطلس لغوي، يعنى بشؤون العربيّة، بحيث يعالج كلّ القضايا التي تخصّها، من حيث النشأة، والتطوّر والانتشار في الزمان والمكان، وواقعها الرّاهن، وأفاق توسّعها، ومناطق تدريسها، واللغات المتأثرة بها معجميّا، والألسنة المتداخلة مع العربيّة، وتوزيع الأقليات العربيّة عالميّا، ونسب توزيع الناطقين بها بوصفها لغة أولى وثانيّة وحتّى ثالثة، ومكانتها من حيث الاستعمال والحضور في الشابكة؛ ذلك أنّنا وجدنا أنّ الأطلس اللغويّ ينقص المكتبة العربيّة، وهذا الضرب من المراجع لا يقتصر على كشف مسحيّ لمناطق تداول اللغة، بل أصبح مرجعا

شاملا يأتي على كلّ ما له علاقة بسياق اللغة المدروسة، من تضمين خرائط متنوّعة، وإحصاءات وجداول، وبيانات، وذكر للتحدّيات المطروحة أمام اللغة، أضف أنّه يعالج ويستشرف مآلاتها المستقبليّة، ومن المصادر المرجعيّة التي وجدناها أيضا ناقصة طائفة القواميس التي تضبط المفردات العربية المسافرة في معاجم الألسنة الأجنبيّة التي أخذت عن العربيّة.

وصفوة القول، لا غرو أنّ اللغة العربيّة بلغت مرتبة مرموقة عالميّا، بيد أنّ أهل العربيّة مطالبون أكثر من أيّ وقت مضى إلى تقديم التّضحيات والجهود لكي ترقى لغة الضاد وتنتشر؛ فورشة خدمة العربيّة هي من أنبل الورشات البحثيّة، لأنّ العولمة اللغويّة لا ترحم الضعاف، ولا تقيم وزنا إلّا للكبار.

ثبت المصادر والمراجع

بالعربيّة:

١. ابن خلدون، المقدمة، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١، (دون تاريخ).
٢. ابن بطوطة، مهذّب رحلة ابن بطوطة: تحفة النظّار في غريب الأمصار، وعجائب الأسفار، تحقيق أحمد العوامري بك ومحمد أحمد جاد المولى بك، ج٢، المطبعة الأميرية بولاق، القاهرة، ١٩٣٤م.
٣. تقرير التّنميّة البشريّة ٢٠١٥، برنامج الأمم المتحدّة الإنمائي، نيو يورك، ٢٠١٥م.
٤. جان لويس كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغويّة، ترجمة حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
٥. جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حيّ، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.
٦. عبدالفتاح كيليطو، أتكلم جميع اللغات لكن بالعربية، ترجمة عبدالسلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط١، ٢٠١٣م.
٧. عبدالله أيت الأعشير، اللغة العربية الفصحى: نظرات في قوانين تطوّرها وبلى المهجور من ألفاظها، الوعي الإسلامي، الكويت، ط١، ٢٠١٤م.
٨. عبدالكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، الأردن، ط٢، ١٩٨٨م.

٩. فولفديتريش فيشر وآخرون، دراسات في العربية، ترجمة سعيد حسن بحيرى، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
١٠. فيليب دي طرازي، اللغة العربية في أوربا، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م. –
١١. قناة دزاير تيفي، الإسلام في البرازيل، حصّة تلفزيونيّة بث بتاريخ: ١٦/ ١٠/ ٢٠١٦م، الجزائر، إنتاج ٢٠١٤م.
١٢. كيس فرستيغ، اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، ترجمة محمد الشرقاوي، المشروع القومي للتّرجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
١٣. محمد بسناسي، «تعليميّة اللغة العربيّة لغير الناطقين بها في السياق الفرنسي» جسور المعرفة، مجلة دورية أكاديميّة محكّمة، مخبر تعليميّة اللغات وتحليل الخطاب، صص (١٠٦-١٢٨)، جامعة حسيبة بن بولعي، الشلف، العدد ٢، ٢٠١٥م.
١٤. محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م.
١٥. نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث: قيّم الثبوت وقيّم التحوّل، دار الشروق، عمان، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

باللغة الأجنبية:

- Ariane POISSONNIER & Gérard SOURNIA، Atlas mondial de la francophonie، Editions Autrement، Paris، 2006.
- Benjamin STORA، Histoire de l’Algérie depuis l’indépendance : 1962-1988، La Découverte، Paris، 4eme édition، 2004.
- Bernard COMRIE &t al (dir)، Atlas des langues : l’origine et le développement des langues dans le monde، Editions Acropole، Paris، 2004.
- Christopher MOSELEY & R. E.ASHER، Atlas of the World’s Languages، Routledge، London، 1994.
- Claude HAGEGE، Le souffle de la langue : voies et destins des

parlers d’Europe، Editions Odile Jacob، Paris، 1992.
- Claude HAGEGE، Halte à la mort des langues، Editions Odile Jacob، Paris، 2000. -
- Djamel Eddine KOULOUGHLI، L’arabe، PUF، collection : « Que sais-je ? »، Paris، 2007.
- Henriette WALTER & Bassam BARAKÉ، Arabesques : l’aventure de la langue arabe en Occident، Robert Laffont، Editions du Temps، collection : « Le goût des mots »، Paris، 2007.
- Jean-Louis CALVET، La Méditerranée : mer de nos langues، CNRS éditions، Paris، 2016.
- Le grand Larousse encyclopédique، volume 1، Larousse، Paris، 2007.
- Mahboubi MOUSSAOUI، L’extraordinaire histoire de la langue arabe، Editions Sabil، Union Européenne، 1re édition، 2012.
- Michel MALHERBE، Les langues de l’humanité، Robert Laffont، Paris، 2001.
- Nicholas OSTLER، Empires of the Word: A Language History of the World، Harper Collins Publishers، Great Britain، 2005.
- Roland BRETON، Atlas des langues du monde : une pluralité fragile، Editions Autrement، collection : Atlas/Monde، Paris، 2003.
- Roland BRETON، Atlas des minorités dans le monde، Editions Autrement، Paris، 2008.
- Sophie SARRAZIN، « Observations sur le a (l) du Castillan »، pp. (163-171)، in : Langues، histoires et usages dans l’aire méditerranéenne، Teddy Arnavielle (ed)، l’Harmattan، Paris، 2005.

الموارد الإلكترونية:

- إحصاءات الشابكة العالميّة، أكبر اللغات المستعملة في الشابكة، الرابط:
http://www.internetworldstats.com/stats7.htm
- إسلام واب، المسلمون في الأرجنتين، الرابط:
http://articles.islamweb.net/Media/index.php?page=article&lang=A&id=184263
- أشواق كنالي، الثقافة العربية في اللغة الملايوية، موقع الجزيرة، الرابط:
http://learning.aljazeera.net/blogs/pages/b3198412-ec02-407a-846c-89bcfdf4bdbe
- الألوكة، حوار مع أيمن محمود السيد، الرابط:
https://majles.alukah.net/t144232/
- ويكيبيديا، قائمة اللغات الرّسمية، الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/قائمة_اللغات_الرسمية
- ويكيبيديا، قائمة اللغات حسب العدد الكلي للمتحدثين، الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/قائمة_اللغات_حسب_العدد_الكلي_للمتحدثين
- ويكيبيديا، عرب الأرجنتين، الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/عرب_الأرجنتين
- ويكيبيديا، لغات الأرجنتين، الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/لغات_الارجنتين
- ويكيبيديا، قائمة اللغات حسب المتحدثين الأصليين، الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/قائمة_اللغات_حسب_عدد_متحدثيها_الأصليين

الأبعاد الروحية والدينية للغة العربية

سعود بن سليمان اليوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

عندما بدأت الفتوح الإسلامية تأخذ مجراها في أنحاء المعمورة، وتبسط الخلافة الإسلامية نفوذها على تلك الأنحاء؛ كان من الطبيعي أن تلتهم بعض تلك اللغات اللغةَ العربيةَ، وخاصةً في المناطق التي لسان أهلها غير عربي، إلا أننا وجدنا أن اللغة العربية لم تتأثر بذلك تأثّراً يمكن أن يكون يشكّل ظاهرة، بل حافظت على قوّتها، واستطاعت بفضل مرونتها أن تستوعب تلك اللغات، وتستعير منها ما يزيدها قوة واتساعاً، سواءٌ أكان هذا التوسّع من حيث استعارة المفردات، أم كان من جهة حمْل العلوم والفلسفات التي نبغت فيها الأمم الأخرى[1]، قال البيروني: «وإلى لسان العربي نُقلت العلوم من أقطار العالم، فازدانت وحلت في الأفئدة، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة»[2].

---

١ – يُنظر: أ.د. محمود السيد، اللغة العربية واقعاً وارتقاءً، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠١٠م، ص١٢

٢ – البيروني، الصّيدنة في الطب، تحقيق: محمد سعيد ورانا إحسان إلهي، مؤسسة همدد الوطنية، باكستان، د.ط، ١٩٧٣م، ص١٢ .

وعلاوة على استعارتها الألفاظ من اللغات الأخرى، وتحوّلها إلى وعاء حامل للعلوم والفلسفات التي برزت فيها الأمم الأخرى فقد ذكر ابن تيمية أن المسلمين لما سكنوا أرض الشام ومصر كانت لغة أهلها رومية، وأرض العراق وخراسان كانت لغة أهلها فارسية، وكانت لغة أهل المغرب بربريةً = عوّدوا أهل هذه البلاد اللغة العربية وغلبت على أهلها: مسلمهم وكافرهم[١].

فما الذي هيّأ اللغة العربية لكي تصمد في حفاظها على قوتها، ولكي تصبح هُويةً من هُويات الأمة العربية؟

لقد ناقش برنارد لويس أستاذ تاريخ الشرقَيْن الأدنى والأوسط في جامعة لندن جانباً من هذا الانتماء، وأورد تحديداً للعربيِّ تبنّاه اجتماع لبعض الزعماء العرب، نصُّه أن « كل من يعيش في بلادنا، ويتكلم لغتنا، وينشأ على ثقافتنا، ويعتز بأمجادنا فهو منّا»[٢]، وأورد برنارد لويس كذلك تحديداً لمفهوم العربي جاء في مرجع أوروبي لـ(جب) الأستاذ في جامعة أكسفورد، قال: «إن العرب هم الذين يعدّون رسالة محمد وذكرى الدولة العربية نقطة الارتكاز في التاريخ، والذين بالإضافة إلى ذلك يرون اللغةَ العربية وتراثَها الثقافي ملْكَهم المشترك»[٣].

وإذا تدبّرنا هذين الحدّين أو التعريفين؛ وجدنا أنهما ينطويان على أبعاد روحية ودينية، وأبعاد ثقافية، وخاصة أن التعريف الذي اعتمده الزعماء العرب يُدخِل في العرب مَن ربما لا تكون أصوله عربية، إلا أنه نشأ في تلك البلاد العربية، وتحدّث اللغة العربية، وتشرّب الثقافة العربية، وكل هذا لا يمكن أن يكون إلا إذا وجدَ إرثاً حضارياً يدفعه إلى ذلك، وقد جاء في الحديث الشريف: «يا أيها الناس إن الربَّ ربٌّ واحدٌ وإن الأبَ أبٌ واحدٌ وإن الدِّينَ دينٌ واحدٌ، ألا وإن العربية ليست لكم بأبٍ ولا أمٍّ إنما هي لسانٌ فمن تكلّم بالعربيةِ فهو عربيٌّ»[٤].

١- يُنظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق وتعليق: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، مج١، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٦، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٥٢٦.

٢- برنارد لويس، العرب في التاريخ، تعريب: نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، دار العلم للملايين، د.ط، ١٩٥٤م، ص٨.

٣- المرجع السابق، نفسه.

٤- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العَمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص٢٢٥. وجاء في المصدر نفسه أن هذا الحديث مرسل، وهو مع إرساله غريب.

أما التعريف الثاني للأستاذ جب فإنه يضيف إلى البعد الثقافي بعداً آخرَ روحيّاً ودينيّاً، وهو بُعد واضح حين ربطه برسالة النبي محمد ﷺ، وهي رسالة أنزلها الله تعالى بلسان عربي، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[1].

ثناء الله -تعالى- على اللغة العربية

يرى كلُّ قوم أن لسانهم هو أفضل الألسن، ولغتهم هي أجلُّ اللغات، وأجملها، وأكثرها استيعاباً لمتطلبات التواصل والاستعمال، إلا أن كثيراً من هذه الدعاوى لا يستند على دليل يمكن الاطمئنان إليه والاعتماد عليه، وخاصة أنها صادرة عن عاطفة تنحاز إلى نفسها، وكل فتاة بأبيها معجَبة. أما اللغة العربية فقد وردَ تفضيلها في غير موضع من كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومجيء هذا التفضيل في المصدر الذي حفظه الله من التحريف والزيادة والنقصان يجعله مستنداً على دليل شرعي، ويجعل أفضلية اللغة العربية وتقديمها بمنأى عن الميل إلى الذات والانحياز إليها.

في هذا السياق عقد ابن فارس باباً سمّاه: باب القول في أن لغة العرب أفضلُ اللغات وأوسعها، جاء فيه: «قال جلّ ثناؤه ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[2] فوصَفَه جلّ ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان.

وقال جلّ ثناؤه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾[3] فقدّم جلّ ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرّد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحْكمة والنشايا المتقنة. فلما خصّ جل ثناؤه اللسانَ العربيَّ بالبيان عُلِم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه»[4]، وقد ساق ابن فارس بعض الحجج دليلاً على كلامه.

١- سورة الشعراء.

٢- سورة الشعراء.

٣- سورة الرحمن.

٤- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسُنن كلام العرب في كلامها، حققه وضبط نصوصه وقدّم له: د. عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٤٣-٤٤.

وحين ذكر الله تعالى اللسان العربي في كتابه الكريم أثنى على هذا اللسان وهذه اللغة العربية، وذكر ما تمتعت به اللغة العربية من خصوصية ليست في غيرها من اللغات، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[(١)]، وكلمة (عربي) في الآية هي صفة للغة أو اللسان الذي نزل القرآن به، إلا أن الله وصف هذا اللسان بأنه مُبين. أما غيره من الأنبياء فقد قال الله عنهم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[(٢)]، والتبيين إنما هو وصف لفعل الأنبياء مع قومه، وليس وصفاً للسانهم ولغتهم[(٣)]، وقد ذكر الطبري في تفسيره ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ أن المراد: «لتنذر قومك بلسان عربي مبين، يبين لمن سمعه أنه عربي، وبلسان العرب نزل»[(٤)].

كما وصف الله -جلّ ثناوه- القرآن الكريم بأنه غير ذي عوج، قال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[(٥)]، واللغة العربية هي الوعاء الذي حمل القرآن الكريم، فهذا من ثنائه عليها؛ لأن العربية هي اللغة الأنسب لحمل القرآن الكريم الذي لا عوج فيه.

ومن ثناء الله على اللغة العربية وصفها بالتفصيل، قال -تبارك وتعالى-: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[(٦)].

وإن ثناء الله تبارك وتعالى على اللغة العربية لَدليلٌ ساطعٌ على أفضلية هذه اللغة على سائر اللغات.

وفي الحديث الشريف نجد عبارات سارت أمثالاً، كقول المصطفى ﷺ : «إن من

١- سورة الشعراء.

٢- سورة إبراهيم: ٤.

٣- يُنظر: عبدالرحمن أحمد البوريني، اللغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٣٤.

٤- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، مج١٩، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ط، د.ت، ص٣٩٦، وللاستزادة من هذا الأمر يُنظر: أبو بكر الأنباري، كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، ج١، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، د.ط، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، ص١٢.

٥- سورة الزمر: ٢٨.

٦- سورة فصلت: ٣، وينظر لمزيد من التفصيل في ثناء الله على اللغة العربية: عبدالرحمن أحمد البوريني، اللغة العربية أصل اللغات كلها، ص٣٤-٣٦.

الشعر لحكمةً، وإن من البيان لسحراً»[1]، وإذا تأملنا قوله هذا وجدنا أطلقه على عبارات قِيلت باللغة العربية، ولولا أن هذه اللغة قادرة على البيان بثرائها، وجمالها؛ لَـما وصف الشعرَ بالحكمة، ولَـما وصف البيانَ بالسحر.

اللغة العربية، أتوقيف أم اصطلاح؟

وقد اختلف العلماء في هذه القضية اختلافاً واسعاً، قدّم فيه كل فريق حُججه وأدلته، والرأي الذي يميل إلى أن اللغة العربية توقيفٌ هو رأيٌ له وجاهته، إلا أن هذا الموضع ليس مجالاً لنقل الاختلاف بين الفريقين، فإنه طويل.

وقد عضد الفريق المؤيد لكونها توقيفيةً رأيَه بأدلة من القرآن الكريم، أُوجِزها ببعض ما ورد في كتاب الصاحبي في فقه اللغة العربية، وهو قول المؤلف: «إن لغة العرب توقيف، ودليل ذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[2]، فكان ابن عباس يقول: علّمه الأسماء كلها وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى خُصيف عن مجاهد قال: علمه اسم كل شيء.

وقال غيرهما: إنما علّمه أسماء الملائكة.

وقال آخرون: علّمه أسماء ذريته أجمعين.

والذي نذهب إليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس. فإن قال قائل: لو كان ذلك كما تذهب إليه لقال: «ثم عرضهن، أو عرضها»، فلما قال: «عرضهم» عُلم أن ذلك لأعيان بني آدم أو الملائكة؛ لأن موضوع الكناية في كلام العرب يُقال لِما يَعقل: «عرضهم»، ولِـما لا يَعقل: «عرضها أو عرضهن»= قيل له: إنما قال ذلك -والله أعلم- لأنه جَمَع ما يَعقل

1- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبدالمجيد قطامش، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1384هـ/ 1964م، 1/ 13، والحديث في: صحيح البخاري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1424هـ/ 2003م، ورقم الحديث (5146، 5767، 5145) مع اختلاف في اللفظ، ويُنظر: د. محمد العلواني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، مكتبة المؤيد، الرياض، ط1، 1414هـ/ 1993م، ص307.

2- سورة البقرة: 31.

وما لا يَعقل فغلّب ما يَعقل، وهي سنّة من سنن العرب، أعني (باب التغليب)»[١]، ومما لا شك فيه أن ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم أقدسِ كتاب هو ما جعل قارئ القرآن الكريم يحس في نفسه قداسة للغة العربية التي نزل بها، كما أن شعور المرء بأن اللغة العربية ذات علاقة بالدين؛ إذ بها يتوصل إلى فهمه، لاشك أن هذا الشعور هو ما هيأ ذهنه لأن يرى أنها لغة توقيفية.

البعد الديني للغة العربية

تشكل اللغة بكافة أبعادها صوراً متعددةً من صور الهوية، وجانباً من جوانب الانتماء، ولعل أكثر ما يميز شعباً ما من غيره من الشعوب هي اللغة التي يتكلمها، ويتواصل مع الآخرين بها؛ لأن هذه اللغة ليست مجرد رموز صوتية أو مكتوبة للتواصل فحسب، بل هي وعاء لتراكمات حضارية ممتدة عبر عمر هذه اللغة، طال هذا العمر أم قصر، ومتسعةٍ باتساع عدد الذين يتكلمونها، وهذه التراكمات وجوه متعددة من وجوه الانتماءات، فمنها الانتماء الاجتماعي، ومنها كذلك الانتماء السياسي، ومنها الانتماء العِرقي أيضاً، إلا أن أقواها على الإطلاق الانتماء الديني.

وإذا تأملنا كثيراً من الأديان وجدنا أنه لا رابط لغوياً يجمع بين ينتمون إلى هذا الدين، فيمكن أن يكون النصراني مثلاً يتحدث اللغة الإنجليزية، ويكون نصراني آخر يتحدث الفرنسية. أما اللغة العربية فإن القرآن الكريم كلامَ الله عَزَّوَجَلَّ الذي نزل به الروح الأمين جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو مصدر الشريعة الإسلامية، وقد اختصّ اللهُ العربَ بمزية لم يَـخصَّ بها غيرَهم، هي أن القرآن الكريم مصدرَ الشريعة الإسلامية الأوّلَ قد نزل باللغة العربية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[٢]، ونزوله باللغة العربية إنما هو تشريف لها، ومدٌّ لها بجانب ديني وروحي، كما أنه جعل العربية

١- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ص٣٦، ولمزيد من مناقشة هذه القضية يُنظر: ابن جني، الخصائص، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٤٠، والسيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط٤، ١٣٨٧هـ/ ١٩٥٨م، ص٨-١٤، ولمزيد من النقاش حول هذه القضية يُنظر: الشيخ أحمد رضا، مولد اللغة، قدّم له وعلق عليه: د. نزار رضا، دار الرائد العربي، بيروت، د.ط، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٢٨-٤٦، ومقالة د. عبدالرزاق الصاعدي، هل يصح التفاضل بين اللغات١، صحيفة الجزيرة، العدد ١٦٠٣٢، السبت ١٧ ذو القعدة ١٤٣٧هـ.

٢- سورة يوسف، الآية: ٢.

رابطةً أو عاملاً مشتركاً يجمع كل من ينتمون إلى هذه الدين.

فاللغة العربية هي وسيلة الدين الإسلامي لتحقيق هذه الهُوية، وجعْلِ أبنائها يستشعرون هذا الرباط الروحي الذي يجمعهم، حيث ربط أبناء هذا الزمان المعاصر بسلسلة من الأجيال حتى عصر النبوة.

العربية لغة الدين

إن من أهمّ ما تعتدّ به الأمم من تراث هو لغتها ودينها؛ لأنها بهذين الأمرين تستطيع أن تكوّن ذاتها، وتبني شخصيتها، فهل بين اللغة العربية وبين الدين تلازم؟

إن اختصاص الله اللغة العربية بكونها لغةَ القرآن قد جعل بينها وبين الدين تلازماً منحها جانباً من الحصانة الخاصة، والمناعة الطبيعية؛ لأنها لغة كتابه ومعجزةِ رسوله ﷺ، وهو كتاب باقٍ إلى قيام الساعة كما وعد الله بذلك، قال -تعالى-: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1]. أما غيره من الأنبياء فمعجزته لم تقم على اللغة بوصفها حجة ومعجزة، بل قام بعضها على الإعجاز الطبي، والطب لا يحتاج إلى لغة بيانية، بل يمكن أن يؤدى بأي لغة أو اصطلاح يُتّفق عليه، ومن معجزات الأنبياء ما قام على الإعجاز الحركي، كعصا موسى عليه السلام، فقد كانت من جنس ما برع به قومه من علم السحر، وهذه كلها معجزات وقتية زالت بزوال أسبابها وملابساتها التي وُجدت فيها، إلا أن القرآن الكريم معجزة بيانية جعل الله له من البقاء والخلود ما لهذا الدين[2].

إن أول الشروط التي تتحقق بها العبادة هي المعرفة، وأول مصادر المعرفة للشريعة الإسلامية هو القرآن الكريم، ولئن كانت اللغة العربية ليست وحدها هي اللغة التي يُتعبّد اللهُ -تعالى- بوساطتها؛ إذ يمكن أن يدعو المسلم ربه عز وجل بأي لغة مثلاً؛ فإن من العبادات ما لا يكون إلا باللغة العربية، كتلاوة القرآن الكريم مثلاً فإنها لا تكون إلا باللغة العربية التي نزل بها، ومثل الصلاة، وغيرها من العبادات التي لا تؤدى إلا باللغة العربية.

ولكون الشريعة قد نزل مصدرها الأول القرآن الكريم باللغة العربية، وأن هذا المصدر مما يُتعبَّد اللهُ عز وجل بقراءته وتدبّره؛ فقد صار على كل من أراد من غير العرب قراءة

١- سورة الحجر: ٩.

٢- يُنظر: د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك، في سبيل لغة القرآن، د.ن، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٥-١٨.

القرآن الكريم أن يعرف اللغة العربية، قال السيوطي عن معرفة آداب اللغوي: «أول ما يلزمه الإخلاص وتصحيح النية، ثم التحرّي في الأخذ عن الثقات؛ لقوله ﷺ : «إن العلم دِين فانظروا عمن تأخذون دينكم»[١]. ولا شك أن علم اللغة من الدِّين؛ لأنه من فرض الكفايات، وبه تُعرَف معاني ألفاظ الكتاب والسنة»[٢].

ولئن ربط السيوطي بين العربية والدين بكون العربية وسيلة لمعرفة الدين وفهم دقائقه؛ فإن الثعالبي قد لمس فيها جانباً روحياً تجلّى في مقدمة كتابه «فقه اللغة وسرّ العربية»، قال: «من أحب اللهَ -تعالى- أحب رسوله محمداً، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية، ومن أحب العربية عُني بها وثابر عليها، وصرف همته إليها»[٣]، وهذا جانب روحي جعله سبباً يمت بين اللغة والدين، فقد وصل محبة العربية بمحبة العرب، ووصل حب العرب بحب النبي العربي، وجعل محبة النبي موصولة بحب الله. ثم ذكر بعد ذلك ضرورة معرفة العربية لمعرفة الدين، قال: «ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حُسن سريرة فيه؛ اعتقد أن محمداً ﷺ خير الرسل، والإسلامَ خير الـمِلل، والعربَ خير الأمم، والعربيةَ خير اللغات والألسنة، والإقبالَ على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقّه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ...، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحّر في جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان؛ لكفى بهما فضلاً يَحسُن أثره، ويطيب في الدارين ثمره»[٤].

أحاديث وآثار تحض على تعلّم اللغة العربية

وبسبب كون اللغة العربية وسيلة لفهم الدين، ومعرفة أوامره ونواهيه، بحكم نزول

١- الصحيح أن هذا ليس حديثاً للرسول ﷺ، بل هو قول ابن سيرين. يُنظر: الإمام الحافظ محمد بن طاهر المقدسي، ذخيرة الحفّاظ المخرّج على الحروف والألفاظ، رتّبه وحققه وخرّج أحاديثه: د. عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريَوائي، مج٢، دار السلف، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٩٨٢-٩٨٣.

٢- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص٣٠٢.

٣- الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية، ضبطه وعلّق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢٩.

٤- المصدر السابق، ص٢٩.

القرآن باللغة العربية، ومجيء أحاديث الرسول ﷺ بها أيضا؛ فقد وردَت أحاديث وآثار تدل على فضل اللغة العربية، وارتباطها بالدين، وخاصة بالقرآن الكريم، ومن ذلك ما أورد أبو بكر الأنباري قال: حدثني أبي قال: حدثنا أبو منصور قال: حدثنا أبو عبيد قال: حدثنا نُعيم بن حمّاد عن بقيّة بن الوليد عن الوليد بن محمد قال: سمعت أبا جعفر يقول: قال رسول الله ﷺ : «أعربوا الكلامَ كي تعربوا القرآن»[1].

وهذا حديث صريح الدلالة على الارتباط الوثيق بين اللغة وبين القرآن الكريم، وأن إجادة الكلام/ اللغة/ ضرورة للتمكن بها من قراءة كتاب الله، ولمعرفة ما يتضمنه من تشريع.

ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يرون أن اللغة العربية من الأمور التي ينبغي تعلمها؛ ورُوي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: «تعلّموا العربية في القرآن كما تتعلمون حفظه»[2].

وأورد الأنباري كذلك أنه «قيل للحسن في قوم يتعلمون اللغة العربية، فقال: أحسَنوا، يتعلمون لغة نبيهم ﷺ »[3].

ومن الآثار التي تحض على تعلم العربية أنه «كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنْ تعلّموا الفرائض والسنة واللحن كما تَعلّمون القرآن»[4]، قال أبو بكر الأنباري: وحدّث يزيد بن هارون بهذا الحديث، فقيل له: ما اللحن؟ فقال: النحو[5].

وما أمْرُ عمر بن الخطاب بهذا إلا لخطورة العربية، وأثرها في فهم كتاب الله تعالى الذي هو أهم مصادر الشريعة الإسلامية.

ولئن وردت آثار تحض على تعلّم اللغة العربية، لما لها من صلة بالدين؛ فقد حفلت مصادر التراث الإسلامي بآثار أخرى تنطوي على توبيخ من يخطئ في اللغة العربية، وترى أن هذا مما يعاب على المتكلم، ويؤاخَذ عليه.

قال الأنباري: «حدثني أبي قال: حدثنا أبو منصور الصاغاني قال: حدثنا يحيى بن هاشم الغسّاني قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن مصعب بن سعد قال: مرّ

١- أبو بكر الأنباري، كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، ١/ ٢٢.

٢- المصدر السابق، ١/ ٢٣.

٣- المصدر السابق، ١/ ٢٩.

٤- المصدر السابق، ١/ ١٥-١٦.

٥- المصدر السابق، نفسه.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوم يرمون نَبلاً فعاب عليهم رميهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنّا قوم متعلمين. فقال: لحنُكم أشدُّ عليّ من سوء رميكم»[١].

وإن صحّ هذا الأثر فإنه يقفنا على دلالة مهمة، ونظرة إكبار يراها العربي في لغته، بلغت منها أنه يرى أن الحماية اللغوية أهمّ وأجل خطراً من الحماية العسكرية، أو أن إجادة اللغة أولى من إجادة الرمي.

بل لقد ذهب عمر بن الخطاب إلى أن الخطأ اللغوي جُنحةٌ يستحق مرتكبها أن يؤدَّب بالسوط، فكأن اللغة بلغت من القداسة مستوى لا يُتسامح فيه مع المخطئ فيها، وخاصة إذا كان اللاحن فيها في مسؤولاً في الدولة. جاء في بعض مصادر الأدب أنه «كتب الحُصين بن أبي الحُرِّ إلى عُمرَ كتاباً، فلحن في حرفٍ منه، فكتب إليه عمر: أن قنِّعْ كاتبَك سَوطاً»[٢].

وهذه النظرة إلى اللغة العربية هي ما جعل مجاهداً يقول: «لأن أخطئ في الآية أحب إليّ من أنْ ألحن في كتاب الله تعالى»[٣]؛ لأن الخطأ في الآية بنسيان أو غيره لن يغير المعنى كما يغيره اللحن في اللغة.

اللغة العربية هي السبيل إلى فهم القرآن

وللقرآن الكريم فضل كبير في حفظ اللغة العربية من الاندثار والضياع، ويتبدّى هذا حين نعدّد اللغات السامية الأخرى فلا نكاد نجد لغة حيةً على نطاق واسع إلا اللغة العربية، أما اللغات السامية الأخرى فاندثرت، أو نزل بها الضعف إلى دركاتٍ أصبحت معها عسيرة الفهم، أو منقرضة[٤]، أما العربية فهي محفوظة بحفظ الله لكتابه.

ومما لا شك فيه أن اللغة العربية هي التي حملَتْ إلينا الشريعة الإسلامية؛ ولهذا فالأمة الإسلامية بعربها وعجمها لا يسعها أن تفرّط في هذه اللغة؛ لأنها هي لغة العبادة من جهة، وهي من جهة أخرى اللغة الحاملة لحجة الله على خلقه إلى يوم القيامة، فبقاؤها

١- المصدر السابق، ١/ ٢١-٢٢.

٢- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، ج٢، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، ٣٤٤.

٣- أبو بكر الأنباري، كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ١/ ٢٦.

٤- يُنظر: د. تنيضب الفايدي، شواهد من اللغة العربية في ضوء الاهتمام العالمي بها، إصدارات نادي حائل الأدبي الثقافي، حائل، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص١٧.

مرهون ببقاء الدين[١].

ولكونها هي الوسيلة لفهم القرآن الكريم؛ قال الإمام الشاطبي في سياق حديثه عن فهم القرآن الكريم: «ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة؛ فبه يوصل إلى علم ما أُودِع من الأحكام الشرعية، فمَن طلبه بغير ما هو أداة له ضلّ عن فهمه، وتقوّل على الله ورسوله فيه»[٢]، وقال كذلك: «الاجتهاد إن تعلق بالاستنباط من النصوص فلا بد من العلم بالعربية»[٣].

وقال الإمام الشاطبي كذلك: «إنه لا بدّ في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين -وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم-، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثَـم عرف فلا يصح أن يُجرَى في فهمها على ما لا تعرفه»[٤].

إذاً نحن إزاء نصوص وآراء ترى أن تعلّم العربية والتفقّه فيها وفي أساليب العرب وطرائق كلامهم ضروري لفهم القرآن الكريم، ومعرفة الشريعة، بل هو واجب، وهذا ما صرح به ابن تيمية إذ قال: «إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[٥].

إن خطر اللغة من حيث علاقتها بالقرآن الكريم خاصة، وبالدين على وجه عام يمنحها من القداسة ما يحمل ولي أمر المسلمين على أن يصدر قراراً بألا يُعهد إقراء القرآن الكريم إلا إلى عالم باللغة؛ لأن إقراءه إذا أُسند إلى غير عارف باللغة فقد يحرف معانيه، ويجعلها ملتبسة.

روى ابن أبي مليكة أنه قال: «قدِم أعرابي في زمان عمر فقال: من يُقرئني مما أنزل

١- يُنظر: د. عدنان حسن باحارث، التربية اللغوية العربية: بحث نظري في العلاقة بين الإنسان واللغة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٥.

٢- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي، مج١، دار الغد الجديد، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ٢/ ٦٣

٣- المصدر السابق، مج١، ٢/ ١٢٧.

٤- المصدر السابق، مج١، ٢/ ٦٣، (بتصرف).

٥- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، مج١، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٦، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٥٢٧.

الله على محمد؟ قال: فأقرأه رجل «براءة»، فقال: (إن الله بريء من المشركين ورسولِه) بالجر، فقال الأعرابي: أوَقد برئ الله من رسوله، إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه؟ فبلغ عمرَ مقالةُ الأعرابي فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت: من يُقرئني؟ فأقرأني هذا سورة براءة فقال: (إن الله بريء من المشركين ورسولِه) فقلت: أوَقد برئ الله من رسوله، إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه؟ فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي. قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن الله بريء من المشركين ورسولُه، فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسولُه منه. فأمر عمرُ بن الخطاب ألا يُقرئ القرآنَ إلا عالم باللغة»[1].

ومفهوم اللغة العربية مفهوم واسع، يتعدى النحو والصرف إلى الأدب عامةً. يُنسب إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «أيها الناس تمسّكوا بديوان شعركم؛ فإن فيه تفسير كتابكم»[2].

وهذا العلاقة المتينة بين اللغة العربية والقرآن الكريم هو ما حدا كثيراً من اللغويين والأدباء أن ينهدُوا إلى تأليف كتب اللغة والأدب، ومن قرأ خُطب كتبهم ومقدماتها استبان له ذلك، فهم كثيراً ما ينصّون على أن دافعهم إلى تأليف هذا الكتاب اللغوي وذلك الكتاب الأدبي إنما هو بسبب ما بين اللغة والشريعة من اتصال وثيق. ومن الأمثلة على ذلك ما نص عليه الفارابي في خطبة كتابه ديوان الأدب، قال عن القرآن الكريم: «وهو كلام الله، وقول الله، وتنزيل الله، مفصِّلاً فيه مصالح العباد في معادهم ومعاشهم، مما يأتون وما يذرون. ولا سبيل إلى علمه وإدراك معانيه إلا بالتبحّر في عِلم هذه اللغة»[3].

وقد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن الرطانة بـ»كراهة أن يتعود الرجل النطق بغير العربية، فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون، ولهذا كان كثير من الفقهاء أو أكثرهم يكرهون في الأدعية التي في الصلاة والذكر: أن يُدعى الله أو يذكر بغير العربية.

١- أبو بكر الأنباري، كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ١/ ٣٨-٣٩.

٢- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، مج١، ٢/ ٦٨.

٣- ديوان الأدب، الفارابي، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، ج١، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د.ط، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص٧٣.

واختلف الفقهاء في أذكار الصلوات: هل تقال بغير العربية؟ وهي ثلاث درجات: أعلاها القرآن، ثم الذكر الواجب غير القرآن، كالتحريمة بالإجماع، وكالتحليل والتشهد عند من أوجبهما، ثم الذكر غير الواجب، من دعاء أو تسبيح أو تكبير أو غير ذلك.

فأما القرآن فلا يقرؤه بغير العربية، سواء قدر عليها أم لم يقدر عند الجمهور، وهو الصواب الذي لا ريب فيه، بل قال غير واحد: إنه يمتنع أن يترجم سورة، أو ما يقوم به الإعجاز»[١].

ومن هذه الآراء والنصوص يستبين لنا أن العربية لغة لكثير من العبادات القولية التي لا تؤدَّى إلا بها، فارتباطها بالقرآن الكريم، وعلاقتها بتأدية كثير من العبادات جعلها لغة الإسلام، نقل ابن تيمية أن «محمد بن سعد بن أبي وقاص سمع قوماً يتحدثون بالفارسية فقال: ما بال المجوسية بعد الحنيفية؟»[٢]؛ وتعبيره عن اللغة العربية بالحنيفية ذو دلالة ظاهرة على أن العربية أصبحت كأنها جزء من الإسلام.

أُهمّيّة اللغة العربية

حينما توسّعت رقعة بلاد المسلمين وأخذت تمتد في مشارق الأرض ومغاربها تفتّقت العلوم والمعارف، وانتشر التأليف والتعريب، وصار الكتاب من أهم القنوات التي تنقل تلك المعارف والثقافات، إن لم يكن أهمها على الإطلاق.

وبعد أن اختلط العرب بغيرهم من الأمم بسبب الفتوحات الإسلامية، وأصبح غير العرب يتكلمون اللغة العربية، خِيف على العربية مما يتسرب إليها من لكنات الأعاجم، فرأى بعض العلماء والغيورين على اللغة أن ينبروا لهذا الأمر، وبدؤوا يستنبطون قواعد اللغة العربية ويدوّنونها؛ حفظاً لها، وخوفاً عليها من الضياع، بَيْدَ أن اللافت للانتباه في هذا الأمر أن كثيراً من العلماء الذين تصدروا للتأليف في علوم العربية هم من غير العرب، أو أن أصولهم ليست عربية، ومن أبرزهم على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر والاستقصاء سيبويه، فهو رجل فارسي الأصل[٣]،

١- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، ١/ ٥١٩-٥٢٠.

٢- المصدر السابق، ١/ ٥٢٣.

٣- يُنظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٣٤٦، وبغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٢، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت، ص٢٢٩.

وعثمان بن جني[١]، وجار الله الزمخشري[٢]، وغيرهم كثير ممن تصدر للتأليف في علم اللغة العربية، أو العلوم المتصلة بها كعلوم الدين ونحوها، مثل جمع الأحاديث الشريفة ونحوها؛ إذ يطالعنا الاسمان الأبرز في هذا وهما: البخاري ومسلم.

وإن وجود هذه الأسماء ذات الأصل غير العربي في تاريخ اللغة العربية ومسيرة تدوين قواعدها وأحكامها يؤكد أن العربية لغة أمة متنوعة الأجناس، فمن عرب وغير عرب، وليست لساناً للعرب وحدهم، فهي بهذه الحال صارت رَحِماً يجمع كل من انتمى إلى الأمة الإسلامية من العرب ومن غير العرب.

أثر الإسلام في اللغة العربية

لم يكن ظهور الإسلام عادياً في حياة العرب، فقد «كانت العرب في جاهليتها على إرثٍ من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم. فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوالٌ، ونُسخت ديانات، وأُبطلت أمور، ونُقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أُخَر بزيادات زِيدت، وشرائع شُرعت، وشرائط شُرطت، فعفّى الآخرُ الأول»[٣].

والحديث عن أثر الإسلام في اللغة العربية يصعب إيجازه في مطلب، وذلك أنه واسع متفتّق الآفاق؛ فحين نزل القرآن الكريم نزل معجزةً للعرب قاطبة، وهذا الإعجاز كان من أسباب تأثيره في اللغة العربية.

وقد كانت حياة العرب حافلةً بالتنافس في فنون القول شعراً ونثراً، فانصرفت همّة العرب وعنايتهم إلى الفنون القولية لتجويدها وتحسينها، وهم في ذلك أهل نظر وتأمل في الكون والحياة والإنسان، فأسبغوا على تأملاتهم تلك ألفاظاً حِسَاناً وصوراً بديعة، وتراكيبَ أخّاذة، ثم نزل القرآن الكريم يدعوهم إلى التفكّر والتأمّل والتدبّر فجاءت دعوته تحدّياً معنوياً، وتحدّياً لفظياً؛ إذ كان التأمل مدعاةً إلى إيجاد كثير من الإيمانيات في هذا الأدب الذي ينشئونه، وانصبّت على اللغة العربية ألفاظ بمعانٍ جديدة أحدثت

١- يُنظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي، ٢/ ٣٤٦، وبغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة، السيوطي، ٢/ ٢٢٩.

٢- يُنظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين القفطي، ٢/ ٣٣٥، وبغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة، السيوطي، ٢/ ٢٧٩.

٣- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية، ص٧٧، ويُنظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ١/ ٢٩٤.

توسيعاً للدلالات اللغوية فيها، وتغييراً لدلالات بعض الألفاظ.

والأدب جزء من اللغة العربية، وهو حامل لها، وشاهد على مراحل التطور والتغيّر التي تمرّ بها اللغة. ويمكن الحديث عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية من خلال المحاور الآتية:

١- الألفاظ والتراكيب، فقد استعمل القرآن الكريم ألفاظاً وتراكيب هي من صميم اللغة العربية، إلا أنها في قالب أدبي جديد، من قبيل قول الله -تعالى-: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾[١]، وكذا قوله -جل ثناؤه-: ﴿أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِ﴾[٢].

ومن الألفاظ التي استجدت بفضل نزول القرآن الكريم لفظ: القرآن، وهو لفظ له من الجلالة والقداسة ما لَه، وقد فشا هذا اللفظ في الحياة عامةً؛ لأن ارتبط بكلام الله الذي نتعبّده بتلاوته، ونستمد منه شريعتنا في الحياة، كما أن أثره في الحياة الأدبية بدأ من العصر الذي نزل القرآن فيه، ولهذا نجده في قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

كفرتم بالقُران وقد أَبيتم ... بتصديقِ الذي قال النذيرُ[٣]

وقال نابغة بني شيبان:

فيه المثاني وآياتٌ مفصَّلةٌ ... فيهنّ من ربِّنا وعدٌ وتخويفُ[٤]

ولقد امتدّ حضور هذا اللفظ وغيره من أسماء القرآن الكريم وما يتصل به، أو أجزاء منه حتى عصرنا الحاضر، كالوحي، والفرقان، والسورة، والآية، والمثاني، ...[٥].

وأَثَرُ القرآن الكريم ألفاظاً وتراكيبَ في الشعر قديمِه وحديثِه لا يمكن حصره، إلا أن شواهده قريبة لمن أراد الاستشهاد، فعلى سبيل المثال كانت جُلّ العناوين لدواوين

١- سورة الإسراء: ٢٤.

٢- سورة البقرة: ٢٠٦.

٣- حسان بن ثابت، ديوانه، تحقيق: د. سيد حنفي حسنين وحسن كامل الصيرفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٤م، ص٢٥٣.

٤- نابغة بني شيبان، ديوانه، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٣٢م، ص٥٤.

٥- يُنظر: د. ابتسام مرهون الصفار، أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري، جهينة للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠١٢م، ص١٩-٥٢.

أسامة عبدالرحمن الشاعر المعاصر متأثرةً بتراكيب القرآن الكريم، مثل: واستوت على الجودي[١]، وغِيض الماء[٢]، فأصبحت كالصريم[٣]، عينان نضاختان[٤]، لا عاصم[٥]، الحب ذو العصف[٦].

وإلى جانب الألفاظ التي نشأت في اللغة العربية، فقد تراجعت ألفاظ وتراكيب أُخَرُ، من قبيل: عِم صباحاً، وعِم ظلاماً، وصرورة[٧].

٢- توسيع دلالات بعض الألفاظ والمصطلحات، فلفظ الصلاة مثلاً كان يعني الدعاء، وكان لفظ الزكاة يعني النماء أو الطهارة، وهكذا، إلا أن الإسلام أضاف إلى هذه الألفاظ معانيَ أُخَرَ، فالصلاة أصبحت تعني عبادة مخصوصة لها أركانها وواجباتها وشروطها وسننها، وهي ركن من أركان الإسلام وذات تأثير بالغ الأهمية في حياة المسلم، والزكاة صارت تعني عبادة أخرى معلومة الصفات ...، ونجد كذلك ألفاظاً قرآنيةً عامةً أصبحت ألصق بالإسلام، مثل: الشرع، والسنّة، ونلمس ألفاظاً اكتسبت بُعداً روحيّاً؛ لكونها صارت من الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلم، والعبادات التي يؤجر عليها، كالبرّ، والتقوى، ونحوهما[٨]، وهكذا كان القرآن الكريم والحديث الشريف رافدين جديدين استمدت منهما اللغة العربية ألفاظاً جديدة، أو دلالات حديثة لألفاظ موجودة من قبلُ، وهو ما أطلق عليه «الألفاظ الإسلامية»[٩].

٣- توسيع النواحي الفكرية الثقافية، مثل فكرة التوحيد، والألوهية، والعقيدة،

١- المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢- منشورات دار السلاسل، الكويت، د.ط، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣- شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٧م.

٤- دار الشباب للنشر والتوزيع، قبرص، ط١، ١٩٨٨م، وقد كتبت: نضاحتان بالحاء المهملة، وهو سهو.

٥- شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٨م.

٦- دار الشباب للنشر والتوزيع، قبرص، ط١، ١٩٨٩م.

٧- يُنظر: القرآن والشعر، أ.د. دلال عباس، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٩٠٠م، ص٢٧.

٨- يُنظر: د. ابتسام مرهون الصفار، أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري، ص٥٢.

٩- يُنظر: الجاحظ، الحيوان، ١/ ٣٤٧، والسيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ١/ ٢٩٤، وابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص٢٨، و د. أحمد مطلوب، اللغة العربية والوحدة، ضمن (اللغة العربية والنهضة القومية)، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، د.ط، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٦١-٦٢.

والموت، والبعث، والفتنة، والروح، والهدى، وكذلك حقيقة الإنسان والموت، وحقيقة الحياة الدنيا والآخرة[1]، وهذه النواحي الفكرية إنما يعبر عنها المسلمون بلغة عربية تستمد كثيراً من ألفاظها وتراكيبها في هذا الشأن من القرآن الكريم والحديث الشريف.

إن نزول القرآن الكريم شكّل منعطفاً مهمّاً في مسيرة اللغة العربية، وأحدث فيها تحوّلاً يمكن أن نلمسه في تأثر العرب به، وهو تأثر ظهر واضحاً في أدبهم، و«لم تعرف الإنسانية على طول تاريخها لغةً خلّدها كتاب إلا اللغة العربية»[1].

ومن أهم آثار القرآن الكريم في اللغة العربية أنه نزل بلغة قريش، تلك القبيلة التي كان لها في الجاهلية نفوذ ديني، ونفوذ اقتصادي، فأيّد بنزوله لغتَها، وأضاف لها نفوذاً لغوياً، وأصبح كثير من العرب يتحدثون بلغة قريش، وشيئاً فشيئاً حتى صارت للغة قريش السيادة والغلبة.

وإسهام القرآن الكريم في الوحدة اللغوية للعرب قد جاء في إهاب ديني؛ لأنه مرتبط بنزول القرآن الكريم بهذه اللغة[2]، وهيأت هذه الوحدةُ اللغوية العربَ ليكونوا أمةً أكثر توحّداً وتقارباً وتلاحماً.

الحضارة العربية حضارة إسلامية

أكّد صموئيل هنتنجتون صاحب كتاب صراع الحضارات أن اللغة والدين هما العنصران المركزيان لأي ثقافة أو حضارة، ومن هنا فإنه إذا ما تحقق الانتصار في هذين العنصرين أصبح من السهل الهيمنة على الحضارة المعادية والسيطرة عليها وجعلها تابعة[3].

ومن محاسن اللغة العربية أنها عنصرٌ جامعٌ لأمة الإسلام؛ وهذا ما منحها قوةً؛ إذ تضافرت مع العنصر الآخر/ الإسلام فصارا كأنهما عنصر واحد، وشكّلا هوية واحدة

١- عبدالصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة، ط٢، ١٤٠٦هـ، ص٤٤

٢- يُنظر: أ.د. دلال عباس، القرآن والشعر، ص٢٥.

٣- يُنظر: د. محمود أحمد السيد، النهوض باللغة العربية والتمكين لها، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ص١٩، و د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك، في سبيل لغة القرآن، د.ن، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص١٥.

لأمة واحدة هي الأمة الإسلامية التي تستند على إرث ضخم من الحضارة يمتد إلى أكثر من أربعة عشر قرناً تراكمت فيها الحضارة والعلوم والمعارف والآداب.

ويتحدث الدارسون لعلم النفس عن النزعات الفطرية العامة في حياة المجتمعات، ويؤكدون ثلاثاً منها، وهي: المشاركة الوجدانية، والاستهواء، والتقليد[1].

ولقد قام الإسلام وانتشر في أنحاء واسعة من المعمورة، وصاحب توسُّعَه معاركُ خالدةٌ استطاعت أن تشكِّل منعطفاً مهمّاً في مسيرة الأحداث، وأن تغيّر وجه التاريخ، كما أن الرسول ﷺ كان قدوةً ومثالاً ومعلّماً وموّجهاً للمسلمين، وما يزال، وقبل هذا كله كان ناقلاً للوحي، ثم صار الصحابة رضي الله عنهم من بعده مقصداً يستنير به الناس ليأخذوا عنهم علوم الشريعة، وخاصة أنهم قد شافهوا الرسول ﷺ ، وأخذوا عنه، ورافقوه في حلّه وفي ترحاله، وهذه الأمور كلها قد أصبحت تراثاً حضارياً ممتداً تناقلته عبر تلك العصور الطويلة باللغة العربية، وشغلَتْ حيزاً كبيراً من الذاكرة الاجتماعية للعرب خاصة، وللمسلمين عامةً. وأصبح الشعر -وهو جزء من اللغة- عنصراً فاعلاً في هذه الحياة التي شهدت نشوء الإسلام وانتشاره، بل هو سلاح لا يقل عن الأسلحة التقليدية أثراً، وقد خلّد هذا الشعر تلك المآثر، ثم انصهر في الذاكرة الجمعية للأمة، وشكّل جزءاً من رصيدها الأدبي اللغوي، كقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

عـدِمنـا خيـلَنـا إن لم تـروهـا ... تُثـيرُ النـقعَ موعـدُهـا كِـدَاءُ
يبـاريـن الأسنّـة مُصغِيـاتٍ ... عـلى أكتافِـها الأسـلُ الظِـمـاءُ
تـظـلُّ جيـادُنـا متـمطّـراتٍ ... تُلـطِّـمهنّ بـالخُـمُـرِ النسـاءُ
فـإمـا تُعرضـوا عنّـا اعتـمرْنـا ... وكـان الفتـحُ وانكشف الغِطـاءُ
وإلا فـاصـبروا لجِـلادِ يـومٍ ... يُـعـينُ اللهُ فيـه مَـن يشـاءُ
وقـال الله: قـد يسّـرتُ جنـداً ... هـمُ الأنصـارُ عُرضتُـهـا اللقـاءُ
لنـا في كـل يـومٍ مـن مَعَـدٍّ ... قِتـالٌ أو سِبـابٌ أو هِجـاءُ

1 – يُنظر: د. إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٧٠م، ص١٠٠.

فنُحــكِم بالـقــوافي مـن هجـانــا   ونضــربُ حيث تختلــطُ الدمــاءُ[1]

وليست هذه القصيدة إلا نموذجاً من قائمة طويلة من النماذج تدل على علاقة الشعر ببداية الحضارة الإسلامية.

ولقد «نمت خلال مدة الأوج الذي بلغته الإمبراطوريات العربية والإسلامية في الشرقين الأدنى والأوسط حضارةٌ زاهرة تُعرَف بالحضارة العربية. ولم يأتِ بها العرب معهم من الصحراء جاهزة، لكنْ خلَقها بعد الفتوح تعاونُ أمم عديدة من عرب وفُرس ومصريين وغيرهم، بل لم تكن إسلامية خالصةً؛ إذْ كان بين مبدعيها نصارى ويهود وزرادشتيون كثيرون. إلا أن أداة التعبير الرئيسة فيها كانت اللغة العربية، كما أن الإسلام ونظرته إلى الحياة سيطرا عليها. وكان هذان الشيئان، أي: اللغة والدين، أعظمَ ما قدم العرب الفاتحون إلى الحضارة الجديدة الأصلية التي نمت تحت لوائهم»[2].

وعندما استمرت الفتوح الإسلامية صار المزيد من الناس يتكلمون اللغة العربية حتى ولو لم تكن دماؤهم عربية، إلا أنها أصبحت لغتهم الأصلية[3].

وصارت هذه الحضارة، وهذه الأخبار التي حفلت بها مصادر التراث الإسلامي والعربي، وتراجم الرجال وسِيَــرُهم، وأدبهم، وإنجازاتهم التي نقلتها لنا العربية، صارت مادةً غزيرةً لا تنضب، ما فتئ الأدباء العربُ يستلهمون منها أدبهم، ويشاركونهم هذه الحضارة مشاركة وجدانية.

واللغة واحد من أهم مغذيات العقل والخُلُق، ولها تأثير قويٌّ بيّنٌ في روح المتحدث بها، وقد ذهبت الدراسات الفسيولوجية إلى أن النفس من طبعها أن تتّحد بالطاقة الروحية للكلمة لتصبح قوة فاعلة عند صاحبها[4]، واعتياد اللغة العربية يجعل المتحدث بها يتأثر ببعدها الروحي والديني، وله أثر قويٌّ في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة

١- حسان بن ثابت، ديوانه، تحقيق: د. سيد حنفي حسنين وحسن كامل الصيرفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٤م، ص٧٣-٧٤.

٢- برنارد لويس، العرب في التاريخ، ص١٨٦.

٣- يُنظر: هيو كينيدي، الفتوح الإسلامية: كيف غيّر انتشار الإسلام العالم الذي نعيش فيه، ترجمة وتقديم وتعليق: د. قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ص١٧.

٤- يُنظر: د. عبدالله الجبوري، اللغة والنهوض العربي، ضمن (اللغة العربية والنهضة القومية)، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، د.ط، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص١١١.

والتابعين، ولا شك أن مشابهتهم تزيد في العقل والدين والخُلُق[١]؛ ولهذا نظر كثير من العلماء غير العرب أن خدمتهم للغة العربية إنما هي خدمة للإسلام نفسه بوصف اللغة العربية وسيلة لفهم النصوص الدينية، وأنها لغة مرتبطة دينياً بالإسلام، فالعلماء الأكراد على سبيل المثال إنما خدموا اللغة العربية لأنهم رأوا في هذا خدمة للكتاب والسنة[٢].

ولكونها أداة لنقل الدين، ووعاء لحمْل الحضارة فقد جاء في كتاب الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل «أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى أبي موسى الأشعري: أنْ مُرْ من قِبَلك بتعلّم العربية؛ فإنها تدل على صواب الكلام، ومُرْهم برواية الشعر؛ فإنه يدل على معالي الأخلاق»[٣]، وقال كذلك أبو منصور الثعالبي: «والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة للعلم، ثم هي إحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب»[٤].

وروي عن العباس رضي الله عنه في سند طويل أنه «أقبل العباس بن عبدالمطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة، وله ضفيرتان وهو أبيض، فلما رآه سول الله صلى الله عليه وسلم تبسّم، فقال العباس: يا رسول الله ما أضحكك أضحك الله سنّك؟ فقال: أعجبني جمال عمّ النبي، فقال العباس: ما الجمال في الرجال؟ قال: اللسان»[٥].

وجمال اللسان إن هو إلا البلاغة المتأتية بالعربية؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عربي، لم يتكلم إلا بالعربية، والعرب إذا أرادوا العربية فإنما يطلقونها على مجمل الأدب، وهو اللسان الوارد في الحديث، فهو أدب عربي.

وقال عُمر كذلك: «تعلّموا العربية؛ فإنها تثبّت العقلَ وتزيد في المروءة»[٦]، كما قال أيضاً: «عليكم بالتفقه في الدين، والتفهم في العربية، وحسن العبارة»[٧]ن ووصايا

١– يُنظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ١/ ٥٢٧.

٢– يُنظر: د. سعيد محمد أحمد المحمد، إسهامات العلماء الكرد في خدمة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، دائرة البحوث والدراسات، العراق، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م، ص٨.

٣– أبو بكر الأنباري، كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ١/ ٣١.

٤– الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ١/ ٣.

٥– ابن الملقن، البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير، تحقيق: الشيخ سلطان الخميس، ج٢٠، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٤٦٣. والحديث مرسل وفي إسناده ضعف.

٦– أبو بكر الأنباري، كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، ١/ ٣١.

٧– المصدر السابق، ج١، ص٤٩.

الصحابة والخلفاء والأدباء في هذا كثيرة، منها قول مسلمة بن عبدالملك: «مروءتان ظاهرتان: الرياش والفصاحة»[1]، وقول ابن شُبْرُمة: «إذا سَرّك أن تَعْظُم في عين مَن كنتَ في عينه صغيراً، ويصغُر في عينك من كان في عينك عظيماً فتعلم العربية، فإنها تُجْرِيك على الـمنطِق وتُدْنِيك من السلطان»[2].

خاتمة

أظهرت الدراسة لهذا الموضوع أن اللغة العربية لها سمة لم تتأتَّ لغيرها من اللغات؛ إذ إنها اللغة التي نزل كتاب الله تعالى، فمنحها حظاً من التبجيل، وقَدْراً من الحفظ والصون، وجعل منها وسيلة للتعبد؛ لأن كثيراً من العبادات لا تكون إلا باللغة العربية كقراءة القرآن.

كما أنها بسبب اتصالها بالوحي وبالرسول ﷺ قد لبست لبوساً من الحضارة الفكرية، ثم اكتست كساء من الحضارة الخلقية والفكرية والأدبية؛ وذلك لما احتوته الآداب العربية من تراكمات خلقية وفكرية وأدبية مستندٍ أكثرُها إلى تراث ديني، فكانت بذلك لغة أُمـميّة انضوى تحت ظلالها كثير من الشعوب غير العربية؛ لأنهم رأوا فيها قناة يعبرون من خلالها إلى معرفة دينهم، وتراث هذه الأمة التي حملت بفضل لغتها لواء الإسلام، وبذلك أصبحت هوية لغوية للإسلام.

ثبت المصادر والمراجع:

١. ابتسام مرهون الصفار، أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري، جهينة للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠١٢م.
٢. إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٧٠م.
٣. ابن الملقن، البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير، تحقيق: الشيخ سلطان الخميس، ج٢٠، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
٤. ابن جني، الخصائص.

١- الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٣٨٦، والبيهقي، المحاسن والمساوئ، ٢/ ١٥٦.

٢- ابن قتيبة، عيون الأخبار، تحقيق: منذر أبو شعر، ج٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٨٠.

٥. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢٤، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العَمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٦. ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسُنن كلام العرب في كلامها، حققه وضبط نصوصه وقدّم له: د. عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٧. ابن قتيبة، تفسير غريب القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
٨. ابن قتيبة، عيون الأخبار، تحقيق: منذر أبو شعر، ج٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
٩. أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي، مج١، دار الغد الجديد، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
١٠. أبو بكر الأنباري، كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ج١، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، د.ط، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.
١١. أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبدالمجيد قطامش، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م
١٢. أحمد مطلوب، اللغة العربية والوحدة، ضمن (اللغة العربية والنهضة القومية)، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، د.ط، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
١٣. أسامة عبدالرحمن، الحب ذو العصف، دار الشباب للنشر والتوزيع، قبرص، ط١، ١٩٨٩م.
١٤. أسامة عبدالرحمن، عينان نضاختان، دار الشباب للنشر والتوزيع، قبرص، ط١، ١٩٨٨م.
١٥. أسامة عبدالرحمن، فأصبحت كالصريم، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٧م.
١٦. أسامة عبدالرحمن، لا عاصم، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٨م.

١٧. أسامة عبدالرحمن، واستوت على الجودي، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
١٨. أسامة عبدالرحمن، وغيض الماء، منشورات دار السلاسل، الكويت، د.ط، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
١٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، مج١، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٦، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٢٠. البخاري، صحيح البخاري، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م
٢١. برنارد لويس، العرب في التاريخ، تعريب: نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، دار العلم للملايين، د.ط، ١٩٥٤م.
٢٢. البيروني، الصّيدنة في الطب، تحقيق: محمد سعيد ورانا إحسان إلهي، مؤسسة همدد الوطنية، باكستان، د.ط، ١٩٧٣م.
٢٣. البيهقي، المحاسن والمساوئ، ٢/ ١٥٦.
٢٤. تنيضب الفايدي، شواهد من اللغة العربية في ضوء الاهتمام العالمي بها، إصدارات نادي حائل الأدبي الثقافي، حائل، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
٢٥. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، ج٢، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، ٣٤٤.
٢٦. الجاحظ، الحيوان،
٢٧. جمال الدين القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م
٢٨. حسان بن ثابت، ديوانه، تحقيق: د. سيد حنفي حسنين وحسن كامل الصيرفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٤م.
٢٩. دلال عباس، القرآن والشعر، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٧.
٣٠. سعيد محمد أحمد المحمد، إسهامات العلماء الكرد في خدمة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، دائرة البحوث والدراسات، العراق، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م.
٣١. السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنون

موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط٤، ١٣٨٧هـ/ ١٩٥٨م

٣٢. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٢، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت.

٣٣. الشيخ أحمد رضا، مولد اللغة، قدّم له وعلق عليه: د. نزار رضا، دار الرائد العربي، بيروت، د.ط، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

٣٤. الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، مج١٩، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ط، د.ت.

٣٥. عبدالرحمن أحمد البوريني، اللغة العربية أصل اللغات كلها، دار الحسن للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٣٦. عبدالرزاق الصاعدي، هل يصح التفاضل بين اللغات١، صحيفة الجزيرة، العدد ١٦٠٣٢، السبت ١٧ ذو القعدة ١٤٣٧ه.

٣٧. عبدالصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام، القاهرة، ط٢، ١٤٠٦هـ، ص٤٤

٣٨. عبدالله الجبوري، اللغة والنهوض العربي، ضمن (اللغة العربية والنهضة القومية)، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، د.ط، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٣٩. عدنان حسن باحارث، التربية اللغوية العربية: بحث نظري في العلاقة بين الإنسان واللغة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٠. الفارابي، ديوان الأدب، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، ج١، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، د.ط، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٤١. الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية، ضبطه وعلّق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه: د. ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

٤٢. محمد العلواني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، مكتبة المؤيد، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٤٣. محمد بن طاهر المقدسي، ذخيرة الحفّاظ المخرّج على الحروف والألفاظ، رتّبه وحققه وخرّج أحاديثه: د. عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريَوائي، مج٢، دار السلف، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٤٤. محمود أحمد السيد، النهوض باللغة العربية والتمكين لها، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
٤٥. محمود أحمد السيد، اللغة العربية واقعاً وارتقاءً، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠١٠م.
٤٦. محمود حسين الزهيري، الأدب الراشدي والأموي: رؤية ومنهج، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمّان، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
٤٧. مرزوق بن صنيتان بن تنباك، في سبيل لغة القرآن، د.ن، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٤٨. نابغة بني شيبان، ديوانه، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٣٢م، ص٥٤.
٤٩. هيو كينيدي، الفتوح الإسلامية: كيف غيّر انتشار الإسلام العالم الذي نعيش فيه، ترجمة وتقديم وتعليق: د. قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

القيمة الحضارية للغة العربية

د. ظافر بن غرمان العمري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اختلف تعريف الحضارة من ثقافة إلى أخرى، بل في إطار ثقافي واحد، والحضارة في أصلها مأخوذة من مادة «حضر» التي تقابل «بدا»، وفي اللسان: «الحضر خلاف البدو، والحاضر خلاف البادي... والحاضر المقيم في القرى، والبادي المقيم في البادية»[1]. فمقابل الحضارة هو البداوة، فيظهر معنى الحضارة أن فيه مخالفة لمفهوم الحياة البدوية التي تتميز بالغربة، والجفوة، وانعدام العمران، فتكون الحضارة ذات قيم إنسانية، ومكانية، وأخلاقية. ويفضل التويجري من التعريفات المتعددة أنها «تعبير عن منظومة العقائد، والقيم والمبادئ، وجماع النشاط البشري في شتى حقول الفكر، العلوم، والآداب، والفنون، لا فرق بين فن وآخر، وما يتولد عن ذلك من ميول، ومشارب، وأذواق تصوغ نمطا للسلوك، وأسلوبا للحياة، ومنهجا للتفكير، ومثالا يحتذى»[2].

١ – لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، مادة (ح ض ر).

٢ – خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، عبدالعزيز ين عثمان التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة– إيسيسكو، الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ، ص١١.

وحين يكون الحديث عن الحضارة العربية، وقيمها، ومكوناتها فإن اللغة العربية ستكون حاضرة بقوة في عمق تلك العناصر والمكونات، لما يقوم به اللسان من وظيفة في التواصل والتفكير والنشاط الإنساني عموما روحيا كان أو ماديا، ولا يخفى صلة اللسان العربي بالجانب الروحي في حياة الإنسان، وليست الشخصية الحضارية إلا مجموعة من التعاليم الدينية، والفضائل الأخلاقية، والعادات والتقاليد الاجتماعية، ولا ريب أن الحضارة العربية في تاريخها السابق للإسلام، وتاريخها المصاحب للإسلام، قد اتخذت صورا متباينة في عصور وأزمنة كونت شخصيتها، ولو ذهبنا نعزل القيم الحضارية العربية المتعلقة بالإسلام فإن ذلك لا يتأتى في دراسة تعنى بالقيم الحضارية اللغوية؛ ذلك أن اللسان العربي له قيمته الحضارية التي أظهرها نزول القرآن حين أُنزل عربيا، ولذلك فمن الواضح في البحث أن يتطرق للقيم العربية التي اختزلها اللسان العربي في أدبه، وفي نظامه المثالي الذي أصبح بعد ذلك علما، ليس مخترعا بل هو علم قام على استقراء علماء العربية للسان العربي في عصري الجاهلية وصدر الإسلام؛ لذلك فهذه الدراسة تعنى بالجانب التراثي للسان العربي، وما فيه من قيم مودعة، وتعنى بالجانب الأدبي لذلك اللسان لما فيه من مضامين تشير إلى القيم الحضارية، سواء في العصر الجاهلي، أو في عصور الإسلام المختلفة، وذلك حسب ما تسعف به مساحة البحث.

وهذا البحث سيتناول التاريخ الحضاري للسان العربي، والقيم الحضارية في الشعر، واللغة العربية وحضارة الإسلام، ويخصص مبحثا للقيم الحضارية للغة العربية في العصر الحديث.

التاريخ الحضاري للسان العربي

يرجع تاريخ اللغة العربية المبينة إلى عهد إسماعيل عليه السلام، الذي فتقت اللغة على لسانه وهو ابن أربع عشرة سنة، كما ورد في الحديث المرفوع بإسناد حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل)، وفي البخاريّ عن ابن عباس أنه تعلم العربية من جرهم[1]. وعربية جرهم ليست فصيحة كعربية إسماعيل، فالذي يُفهم من الحديثين أن إسماعيل تعلم العربية من جرهم، ثم فتق الله العربية البينة على لسانه، وعلى هذا فإن العربية المبينة لغة القرآن هي التي تكلم بها إسماعيل عليه السلام، فهي

١- صحيح البخاري، الحديث ذو الرقم (٣٣٦٤)

تمتد إلى الألف الثاني قبل الميلاد[1]. وهو سابق لعهد مملكة سبأ اليمنية التي وافقت عهد سليمان عليه السلام؛ إذ يتزامن عهد إسماعيل مع عهد جرهم العربية التي خرجت من اليمن، وكان إسماعيل رسولا نبيا كما في التنزيل الحكيم: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[2].

والذي يظهر أن العربية التي تكلم بها إسماعيل وبدأت في مكة، انتشرت مع انتشار بني إسماعيل في جزيرة العرب؛ لأن رسالته النبوية سارت في أنحاء الجزيرة العربية، ولتوافد الناس إلى البيت الحرام؛ إذ ليس من المنطقي أن تكون رسالته لأهل مكة دون غيرهم، والحج بعض من رسالته، وهو ركن مأمور به الناس من غير أهل مكة، فهم يتوافدون إليه من كل فج عميق من أطراف الجزيرة؛ ولذلك بقي الحج شعيرة دينية في العرب منذ عهد إبراهيم عليه السلام إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن الرسالة التي جاء بها إبراهيم، وأكملها ابنه إسماعيل كانت رسالة لأهل جزيرة العرب وليست خاصة بأهل مكة، فاكتسب الناس اللسان المبين من بني إسماعيل، وصححوا العربية التي في ألسنتهم على وفق عربية إسماعيل ضرورة أن رسالته ستمتد في أنحاء جزيرة العرب، فكان لزاما أن تنقل الرسالة لسانه ولسان بنيه الذي هو اللسان المبين، في أنحاء جزيرة العرب وما جاورها كالعراق والشام.

فالعربية المبينة هي لسان ذرية إسماعيل منذ عهد أبيهم الذي يتزامن مع عهد أخيه إسحاق، وهو زمن سابق لليهودية التي جاء بها موسى بعدهما بقرون طويلة، وسابق للتوراة التي تمثل إحدى فروع اللغة السرياني في حضارة الأمم المجاورة لجزيرة العرب شمالا[3]، ثم استمرت اللغة المبينة إلى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم في العرب، ولا ريب أنها أخذت تتسع باتساع الأماكن التي يتجه إليها أصحابها، وتذكر الكتب المقدسة صلة بني إسماعيل بالحضارة القائمة في بيت المقدس، عن طريق التجارة[4]، وهو ما يؤكد أن اللسان العربي

١- الساميون ولغاتهم، دكتور حسن ظاظا، ص١٠٦، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ، دار القلم، دمشق.

٢- مريم: ٥٤.

٣- يذكر غوستاف لوبون أن كتب العبريين تعترف بأسبقية العرب للعبريين. حضارة العرب، ص٩٤. وهذا لا يكفي للاستدلال على أقدمية الجنس العربي، أو اللسان العربي بقسميه المبين والسابق له، فاللسان المبين الذي نزل به القرآن هو لسان إسماعيل وذريته الذين لم يبرحوا جزيرة العرب، وعمر اللسان المبين يتجاوز ألفي عام قبل الميلاد.

٤- الساميون ولغاتهم، ص١٠٧.

المبين لسان إسماعيل كان حاضرا بثقافته في تلك الأزمنة متنقلا بين بيت المقدس، وبلاد الرافدين، وما قام عليهما من حضارات خلال أكثر من ألفي عام سابقة للميلاد، وهذا التاريخ لا يدخل فيه العرب الجرهميون ومن زامنهم أو سبقهم من العرب؛ إذ المقصود هنا هو إسماعيل ومن بعده؛ لأنّ عربية من سبقوا إسماعيل ليست عربية مبينة، ولا هي مناط البحث هنا.

وعلماء الحضارات يستدلون بآثار لغات الشعوب من نقوش، وأصول لسانية مشتركة بين مجموعات اللغات، ومن ألفاظ دخلت من لسان إلى لسان آخر، يستدلون بذلك على معالم الحضارات الإنسانية، وهو ما يجعل للغة قيمة حضارية وأهمية تاريخية تسهم في كشف شيء من تاريخ البشرية وحضارتها.

ولا ريب أن اللغة العربية كانت مشاركة في حضارات الأمم التي سكنت الرافدين خلال الألفي عام السابقة للميلاد، وأسهمت في وجود طرف من النبوة الإسماعيلية في الشام، واليمن، على الرغم من الديانة اليهودية التي كانت هي الديانة الرئيسة في بيت المقدس، وإلى زمن البعثة النبوية كانت التجارة المكية تتنقل بين الشام واليمن، فهي تسير هناك باللسان العربي، وهذا ما يؤكد ضرورة التواصل بين الشعوب، خارج جزيرة العرب، في الشام، وإلى اليمن حيث تتصل تجارة العرب في اليمن ببحر العرب، وهو ما يشير إلى أن العرب ركبوا البحر والتقوا حضارات الأمم هناك، ويحتمل مع هذا الأمر وصول الثقافة العربية القديمة إلى ما وراء تلك البحار، وإذا كنا لا نملك الأدلة الكافية على مقدار تلك المثاقفة ونوعها، فإن علماء التاريخ يؤكدون اتصال العرب بالشعوب المجاورة لجزيرة العرب، بله الشعوب التي يتصلون بها عبر البحار التجارية، إلا أن هذا الاتصال لم يكن ليؤثر على بيانية العربية في قلب جزيرتهم، فلم ينزل القرآن الكريم إلا بأصح الألسنة وأفصحها وهو لسان قوم (تباعدوا عن لخلخانيّة الفرات، وتيامنوا عن عنعنة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليست لهم غمغمة قضاعة، ولا طمطانية حمير)[1]. لأن العرب كانوا يخرجون للتجارة، ولم يفد إليهم العجم، للاختلاط بهم، فاستقامة اللسان إنما كان في العرب الذين لم تتصل ديارهم بالبحار أو بأطراف الجزيرة، وهي من اكتفائها بألفاظها ونظامها ما جعلها صالحة للرسالة والوحي. وكذلك فإن

---

١ - الجاحظ، البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت، د.ط، ١٤٢٣هـ، ٣/ ١٤٦.

كون العرب هم الذين يتاجرون خارج جزيتهم وأن الشعوب الأخرى لا حاجة لها بالدخول لجزيرة العرب، فلا دين يربط تلك الشعوب بمكة، ولا تجارة تدعوهم لدخول الجزيرة، فبقي التواصل خارج الجزيرة بين تجار العرب والشعوب الأخرى فيتأكد سلامة اللسان العربي من خليط الأعاجم قبل البعثة النبوية ودخول الأمم في الإسلام، ووفودهم إلى مكة، والمدينة للعبادة، ثم الإقامة.

لقد كان لسان العرب بيّناً يعبّر عن العقل العربي أيما تعبير، فالفصاحة والبيان، وخاصّية الإعراب، وسعة المفردات، وسلاستها، ووضوح الحروف العربية، وسعة مخارجها، وتناسب بنية الكلمة، وسهولة النطق بها، جعل اللسان العربي في مكانة تؤهله لنقل الرسالة السماوية التي نزل بها القرآن، وجعل مناط الإعجاز في نزول القرآن على وفق بلاغة ذلك اللسان وفصاحته، وهو أمر يوضح مقدار عظمة تلك اللغة.

إن اللسان العربي ببيانه ونظامه النحوي ونظامه الصرفي، والاشتقاقي؛ يؤكد ما كان عليه العقل العربي من صفاء، وما يتصف به الذهن العربي من توقد وفطنة، يشير إلى ذلك علم النحو العربي الذي وصف اللسان العربي في نظام لا تكاد لغة تتصف بما يشبه ذلك النظام أو يدانيه، ويبين ذلك بلاغة لسان العرب، ومنطقية أسلوبهم في الخطابي، ودقة عباراتهم، على وجه لا يقع إلا من أمة لها حضارة، وإذا كان المؤرخون وعلماء الاجتماع يربطون الحضارة بعمران الأرض، وازدهار المدنية، والاجتماع السكاني الحضري، فإن ذلك لا يعني انعدام نوع من الحضارة في المجتمع العرب في جزيرتهم، ألا وهو المكون المعرفي الذي يختزنه العقل العربي في لغته، فقد كان العقل العربي وعاء لمعارف إنسانية، وقوانين أخلاقية، ونظم اجتماعية، أظهرها اللسان العربي في شعره، ونثره.

والحضارة التي حفظها ديوان العرب، وحفظها النظام اللساني، حضارة مختلفة نوعا ما عن مفهوم الحضارة المرتبطة بالمدنية والعمران، فهي حضارة تتمثل في تكوين العقل العربي، في الأخلاق، والآداب اللسانية، والمعارف والنظم الاجتماعية، فاللسان العربي في حقيقته مخزون حضاري أخلاقي، وأدبي، حوى فقه الحياة الاجتماعية، وما تتطلبه من قوانين تحفظ للإنسان حقوقه الخاصة، ولن تجد لحضارة العرب قبل الإسلام مدونة قضائية، أو تنظيمية، أو لوائح، ومواثيق موثّقة كما في صحف الأمم الأخرى، بل ترى اللغة بمنطقها البلاغي هي القانون المدون، واللوائح المنظمة، فالشعر فيه قدر كبير من تلك الأنظمة، والقوانين الاجتماعية، والقضائية، وحين سمع عمر بن الخطاب قول زهير:

فـإن الحــق مقـطعــه ثـــلاث   يـمـــين أو نـفـــار أو جـــلاء

قال: لو أدركت زهيرا لوليته القضاء لمعرفته[١]. ففي الشعر حكم وأمثال، ووصايا، أنتجها العقل البشري في مستواه الجمعي، وهذه الحكم والأمثال تكتسب السيرورة في المجتمع، وتأخذ الصبغة التنظيمية، فتصبح قواعد عامة، تحضر عند الحوادث والمواقف لاستحضار مكنونها المعرف، هي أشبه بالنظم الاجتماعية التي يحتكم إليها، ويرجع لها؛ إذ توافق صحة العقل، ولها سيرورة بين الناس، فقد يقف بيت أو بيتان حكما في قضية، وهي وإن كانت من إنتاج فرد واحد من المجتمع، فإنها تعبر عن لسان الجمع، فهي مجازة من المجتمع بالتداول والقبول والسيرورة.

الكتابة العربية

تمثل الكتابة العربية أحد معالم الحضارة القديمة للعربي في جزيرته، فمن النقوش المسمارية إلى الحرف العربي، تطور على مراحل اختلفت الآراء حول بدايته، وقد كثرت الأقوال التي تنسب هذا الحرف إلى إسماعيل، وذريته[٢]، إذ يذكر ابن فارس أن الخط العربي وضعه إسماعيل النبي[٣]، فهو أول من كتب به، ولا يمتنع مثل هذا القول إذا علمنا أن العربية المبينة التي تكلمت بها العرب الفصحاء هي لسان إسماعيل التي فتقها الله على لسانه، وأجراها في منطقه، فمن المعقول أن يكون قد عرف رموزا يكتب بها حروف ذلك اللسان. على أن من المؤرخين من يراه مشتقا من الكتابة النبطية[٤]، وأن العرب العدنانيين أخذوا الخط العربي عن أبناء عمومتهم النبط أو الأنباط قبل الإسلام، والأنباط هم قبائل عربية نزحت من الجزيرة العربية وسكنوا في المناطق الآرامية في فلسطين وجنوب بلاد الشام والأردن، غير أن ابن فارس يرجح أن يكون إسماعيل هو الذي وضع الخط، أو ما يسميه بالكتابة، قال في الصاحبي: «كان ابن عباس يقول: أول

١- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، ص٣٤١.

٢- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: سيد أحمد صقر، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، د.ط، د.ت، ص١٠.

٣- المصدر السابق، نفسه.

٤- ابن عبدربه، العقد الفريد، حققه: الدكتور عبدالمجيد الترحيبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ٤/ ١٥٧. وصبح الأعشى، القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ١/ ٣٣٧.

من وضع الكتاب العربي إسماعيل ، وضعه على لفظه، ومنقطه»[1]. وهو منقول عن كلام السيوطي في المزهر[2].

الشعر وأسواق العرب:

كانت أسواق العرب التي يلتقون فيها للتجارة من أنحاء جزيرتهم، ملتقيات ثقافية يتعاورون فيها أشعارهم، وخطبهم، وأخبارهم، ويلتقي فيها الشعراء، والنقاد، وقصة النابغة الذبياني مع نفر من شعراء العرب للحكم بينهم مشهورة، وقد كان للشعر مكانة أولى في تلك الأسواق، إضافة إلى ما تجلبه القبائل إلى الأسواق من منتجات حرفية تمد الشعراء بمعارف الحياة العامة للقبائل وموروثاتهم الخاصة، فيتلقى الشاعر من الأسواق ما يزود به شعره من فنون الوصف؛ لذلك نجد الشاعر العربي ذا معرفة بشؤون الحياة العربية، ولذلك اعتُبر الشعر الجاهلي سجلا لتاريخ الإنسان العربي، وأحداث حياتهم، فكان حفظه وروايته أمرا متعارفا عليه لما له من أهمية معرفية قبل أن تكون مكانته جمالية إمتاعية.

والشعر الجاهلي هو أوضح صورة حملت لنا لسان العرب قبل الإسلام، في مستوياته الاتصالية، والجمالية، والثقافية، وفي الشعر الجاهلي تفكير العرب، وحياتهم، ومعاشهم، وخصائص لسانهم، ومجتمعهم الحضري والبدوي، وتنقل لنا كتب التاريخ الأدبي سيرورة الشعر في أطراف الجزيرة، وأهمتيه وما يحمله من مضامين معرفية، وثقافية، واجتماعية، ودينية، فضلا عن جماليات ذلك الشعر الذي يمثل صورة من أروع الصور للأدب الإنساني الخالد.

إن الشعر العربي الجاهلي، ببلاغته، وعلوّ بيانه، وأغراضه المتعددة، وبحوره المعبّرة، وموسيقاها الماتعة، وتناسب مقادير إيقاعاتها، صورة رائعة لجانب حيوي من حضارة الإنسان الذي عاش في جزيرته بين صحرائها وجبالها ووهادها، يتفاعل مع بيئته وما سُخّر له فيها، ويتنقل متتبعا مساقط الغيب ومنابت الكلأ، وهو في كل ذلك يدوّن حياته اليومية شعرا، فكان الشعر سجل حياته، ومرجع معارفه، وثقافته، وقد روي عن عمر

١- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص١٠.

٢- السيوطي، المزهر، ٢/ ٣٤٢.

بن الخطاب أنه قال: «الشعر ديوان العرب»[١]. وقد اتخذ العربي من الشعر صوتا يخاطب به من حوله، فهو يخاطب الكائنات المحيطة، ويبثها مشاعره، ويكسوها همومه، وآماله، وأفراح، وأحزانه. لقد كانت قصيدة الشاعر العربي تنتقل في أنحاء الجزيرة العربية لما فيها من فن إنساني، ومضامين، وحكم بالغة، وأمثال سائرة. وكالشعر الخطابة التي كانت تمثل صورة لشخصية العربي في مقامات

القيم الحضارية في الشعر:

الشعر العربي مدونة عظمى لحضارة العرب قبل الإسلام، ويكاد يفي بكل خصائص المجتمع الحضارية، فالقيم الأخلاقية، والدينية، والجمالية التي أظهرها الشعر الجاهلي كثيرة، وهي تصور أنماطا من السلوك الذي يصدر عن قيم اجتماعية يتحلى بها الإنسان العربي، وتعبر عن قيمة حضارية تجري في العقل الجمعي، ومن تلك القيم الصبر، والصدق، والوفاء، والشرف، والعفة، والتسامح، والإنصاف، والسخاء، والشجاعة، والإيثار، والحقيقة أنه من العسير حصر تلك القيم الأخلاقية التي عرفتها حضارة الإنسان العربي في مجتمعه الخالي من مكونات الحياة المدنية؛ إذ من المعلوم أن بين الحضارة والمدنية فوارق فقد يجتمعان في جوانب إلا أن التمييز بين كل منهما يرجع إلى ما يتضمنه مدلولهما فإن المدنية (تشمل جميع الخبرات العملية المتوارثة جيلا بعد جيل، في مجالات الطبيعة والكيمياء والطب، والفلك والعلوم التطبيقية)[٢]، ولا ريب أن الحضارة والمدنية بينهما علاقة إلا أنه لا يلزم من الحضارة أن تكون مشتملة على كل ما في المدنية من عناصر، فخصوصية الحضارة تقوم على «التراث التاريخي المتمثل في العقائد، والقيم التي ترسم للحياة غاية مثلى ومغزى عميقا متعاليا على متناقضات المكان والزمان»[٣]. لذلك فإن عناصر الحضارة الروحية والأخلاقية والقيم التي ظهرت في المجتمع الجاهلي كثيرة يدل عليها قول النبي ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[٤]. بما يدل على أن

١- القلقشندي، صبح الأعشى، ١/ ١٢٣.

٢- عفت الشرقاوي، في فلسفة الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ، ص١٨.

٣- المرجع السابق، ١٤.

٤- ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١/ ٤٦٤.

القيم الأخلاقية، التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي لا تخلو من قيم مثالية تخالطها روح حضارية من بقايا الحنفية، والحقيقة أن الوثنية التي كانت في العصر الجاهلي كانت وثنية في المعتقدات والعبادات، أما الجانب الخلقي في المجتمع فإن الشواهد تدل على أنه كان يحتفظ بكثير من بقايا الحنفية التي جاءت بها نبوة إبراهيم عليه السلام، وورثها إسماعيل، ولم تكن الوثنية المخالفة للتوحيد لتمنع القيم الأخلاقية من الاستمرار.

إن شعر المعلقات يفيض بقيم حضارية عرفها المجتمع، ودعا إليه العقل المتزن، واستحسنتها الفطرة، والمتأمل في المعلقات، أو في شعر قدماء الجاهليين، أو في القصائد المنصفات، يجد سجلا كرسه الإبداع الأدبي، وصورته جماليات اللغة تصويرا بديعا، فمعلقة زهير حافلة بالحكمة، والفضيلة التي تسمو بالمجتمع، وتعظم حقوق الإنسان، كما تظهر جمال العمل الإنساني الراقي منها قيم السلام، والعدل والتسامح، وفي القصيدة لمحات جمالية في وصف الحياة الكريمة التي تكفل للإنسان حسن التعايش، وفي القصيدة اللامية يبين خلق الرجل الحليم، والعفو، ولين الجانب، وكيف يعفو عفو المقتدر، وذلك لإشاعة روح التآخي، والتراحم في المجتمع. يقول عمرو بن الإطنابة، متحدثا عن القيم الأخلاقية التي تهذب النفس:

أَبَتْ لِي عِفَّتِي وأَبَى بَلائِي ... وأَخْذِي الحَمْدَ بالثَّمَنِ الرَّبِيحِ
وإِقْدامِي على المَكْرُوهِ نَفْسِي ... وضَرْبِي هامَةَ البَطَلِ المُشِيحِ
وَقَوْلِي كلَّما جَشَأَتْ وجاشَتْ ... مَكانَكِ، تُحْمَدِي أَو تَسْتَرِيحِي
لأُكْسِبَها مآثِرَ صالِحاتٍ ... وأَحْمِي بَعْدُ عن عِرْضٍ صَحِيحِ
بِذِي شُطَبٍ كمِثْلِ المِلْحِ صافٍ ... ونَفْسٍ ما تَقِرُّ على القَبِيحِ

ولابد من القول أن الطبع الإنساني لا يخلو من شيء من الخلق الذي تتطلبه الفطرة، وفيه من القيم الحضارية التي تسهم في بناء مجتمع متماسك، وما غرس فيه من خلال، لا يخلو من تلك القيم التي تظهر لنا بين قصيدة وأخرى، فإذا كانت الحنيفية قد أبقت بعض قيمها السامية في المجتمع الجاهلي، فإن واقع المجتمع الذي تنتظم فيه تلك القيم

التي تندرج تحت الوصف العام للمجتمع الجاهلي[1]؛ يؤكد أنها في معظم أحوالها ليست تمسكاً بالحنيفية بقدر ما هي استجابة لعادات أصبحت على مر الزمان خصالا قومية، وطريقة يسلكها كل من ينتسب إلى المجتمع نفسه، وإن كان أصلها الحنفية، يضاف إلى هذا ما ذكرناه من الجبلة التي جبل الناس عليها، ومواقف الحياة وحوادثها التي تخلق في النفس خلالا حسنة أحيانا مثلما تخلق فيها خلالا سيئة.

العربية وحضارة الإسلام

قامت الحضارة الإسلامية على مصادر من الرسالة النبوية، وهي تسمو بالإنسان عن وضيع المقاصد، وتحرره من عبودية البشر لتربطه بخالقه، وتجعل عبوديته لله وحده، وهذا المبدأ الراسخ رفع قيمة الإنسان، وأخرجه من رق الأبدان، إلى حرية العقل، وسمو الروح، وقد كانت هذه الحضارة بما يحيط بها من سياج عقيدة التوحيد، وتخلص الإنسان من سلطة البشر الظالمة، ومن قوانين الوضع، والنظم الإقطاعية، والطبقات الاستبدادية، فتنزهت العقول من براثن الجهل التعبدي، وارتفعت عن عقائد مشوهة لا يقبلها العقل، ولا تستقيم لها الفطرة، من عقائد التثليث، وتأليه البشر، وعبادة الأرواح.

وهذه الحضارة السامية التي قامت على سلامة الاعتقاد، وصلاح العبودية للخالق، كانت لغةُ مصدرها التشريعية، وتراثها الخالد، هي اللغة العربية، ويكاد يجد الباحث صعوبة في فصل معالم الحضارة الإسلامية عن الحضارة العربية، فالناظر في تطور الحضارة العربية بعد البعثة النبوية يجد تلازما قويا بين الحضارة في مكوناته الروحية التي أسسها الإسلام بعقيدة التوحيد، وتشريعات العبادات والسلوك، الأخلاق، وبين مكونات الحضارة العربية في عناصرها المتعددة كاللغة، والأخلاق العربية التي أقرها الإسلام، وطبائع الحياة العامة التي كانت بيئة أولى للدعوة، فالجانبان في نظر هذا البحث متكاملان لا ينفصلان، ولذلك نجد الباحثين من الشرق والغرب ينظرون إليهما على أنهما شيء واحد، فنجد قرونباوم[2] يدرسها في كتابه حضارة الإسلام، وهاملتون

١- تطلق الجاهلية على الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، من الجهل بالله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، مادة (ج ه ل).

٢- قرونباوم، حضارة الإسلام، ترجمة: عبدالعزيز توفيق، القاهرة، د.ط ١٩٧٠م، ص٢٦.

جب في كتابه دراسات في حضارة الإسلام[١]، وزيغريد هونكة[٢] تعدها عربية في كتابها الرائع شمس العرب تشرق على الغرب. وكذلك غوستاف لوبون[٣] في كتابه حضارة العرب، وما ذاك إلا لشدة الاتصال بين العربية والإسلام.

إن أبرز ما في الحضارة العربية التي نقلت من العقل العربي إلى الإسلام: اللسان العربي، فهو اللسان الذي نزل به القرآن، وهو الذي تؤدى به الشرائع والعبادات، وقد حفظ الله القرآن وبحفظه يُحفَظ اللسان العربي في الناس، فهذا اللسان بفصاحته وبما هو عليه منذ بزوغ الإسلام لم يتغير، ومن هنا فاللسان العربي اكتسب بعدا حضاريا آخر، إذ كان لسان الدين، ولسان الدولة الجديدة التي غطت جزءا كبيرا من العالم، واكتست بها الحضارات الأخرى، فهي أحد أركان الرسالة النبوية التي بعث بها النبي محمد ﷺ، وبها نزل القرآن الكريم فكان إعجازه في بلاغته أظهر وجوه ذلك الإعجاز، وقامت الدراسات الباحثة في إعجاز القرآن فنشأ منها علم البلاغة وهو من أكثر علوم العربية عمقا، وسعة، ويعد ثمرة علوم العربية.

احتاج العلماء إلى أن يضعوا قواعد للسان العربي ليحفظه من الضياع أو الاختلال بعد دخول أبناء الشعوب الإسلامية في الإسلام وتوافدهم إلى جزيرة العرب، وخروج العرب أجيالا إلى البلاد الإسلامية للدعوة والفتوحات، فكان لسان العرب هو الوعاء الذي يحمل تلك العلوم والمعارف، وهو الوسيلة التي تنتقل بها شرائع الدين الجديد بين تلك الأمم والشعوب التي دخلها الإسلام.

لم تكن اللغة العربية وسيلة جوفاء تحمل ما لا تؤثر فيه وتتأثر به، فاللغة العربية أسلمت، ودخلت في الإسلام منذ نزول القرآن فقد وجهها الإسلام، وضبطها وتممها، كما تممت بعثة النبي ﷺ مكارم الأخلاق، فجاء القرآن الكريم ليتمم محاسن اللغة العربية، ويظهر مزاياها، وتعاضدت أصول تلك اللغة المعرفية مع أصول هذا الدين الجديد، وجعل علماء الشريعة الفيصل في كثير من قضايا الدين وأدلة أحكامه جعلوا مرجعها إلى لغة العرب، فإذا كانت القواعد النحوية لم تتغير بنزول القرآن الكريم، ولم يبدل القرآن ما كان عليه لسان العرب من طريقة، فإنه أوجد معارف لغوية استحدثها

١- هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، تحقيق: إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، ١٩٧٩م.

٢- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، المكتب التجاري، بيروت، د.ط، ١٩٦٩م.

٣- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، د.ط، ٢٠١٢م.

القرآن لتحمل التشريع الذي جاء به، فدخلت اللغة في تشكيل جديد بما عمل فيها القرآن الكريم، فالحقيقة اللغوية التي كانت قسيمة للمجاز في لسان العرب، أدخل عليها القرآن الكريم الحقيقة الشرعية، فاكتسبت بعدا جديدا يتعلق بأحكام شرعية قرآنية، إذ سبك القرآن تلك الألفاظ سبكا جديدا لتحمل دلالة لغوية مضمنة حكما شرعيا، وهذا البعد الجديد في اللسان العربي كان له أثر في خطاب اللسان العربي بعد الإسلام، فالحقيقة اللغوية التي اتجهت لتدل على حقيقة شرعية، لا تخلو من حكم شرعي فدلالتها على معناها القرآني الجديد مرتبط بما يتضمنه من حكم شرعي يقتضي ثناء أو ذمّا، وبذلك اكتسبت اللغة شكلا جديدا، وحملت مضمونا جديدا في دلالاتها، لا يخلو من تغيير أحيانا في بناها، وأساليب أدائها.

فالبيان القرآني وسيلته اللسان العربي الذي هو لسان القوم الذين أنزل عليهم، وهو لسان نبيهم الذي أرسل إليهم، إلا أنه جاء بما لم يستطيعوه فكان معجزا، وإذا كان هذا اللسان العربي الشريف قادرا على استيعاب معجزة الرسالة النبوية؛ فإن في ذلك دليلا على قدرته وأهليته لنقل هذا الإعجاز إلى عقول الأمم الأخرى، وهو من خصائصه، ولـمّا توجه الإسـلام إلى الأمم الأخرى ممن عرفهم العرب باسم العجم، كان لزاما أن يتعلموا لسان العرب ليعرفوا تشريعات الدين الذي دخلوا فيه، إن الأمم التي تلقت القرآن الكريم، والسنة النبوية، اكتسبت اللسان العربي ضرورة، واعتنت به كاعتنائها بالدين الذي حمله ذلك اللسان، فكان من أبناء تلك الأمم من خدم هذا اللسان فاكتسب اللسان قوة وتوسعا وعمقا ليس من جهة أصوله المعرفية، ولكن من جهة استعماله ووظيفته، فالفن الإنساني يلتقي في العقل المشترك[1]، ويختلف في الطريقة اللسانية التعبيرية.

وانتقلت اللغة العربية إلى الآفاق خارج جزيرة العرب، وكان العراق مهدا للمراكز العلمية في الحديث، والفقه، وعلوم العربية، وانطلقت شرقا نحو بلاد فارس وما وراء النهرين لتؤسس اندماجا واسعا بين الثقافة العربية والثقافة الفارسية، وكان لسلطان اللغة العربية نفوذ واسع قوي، يدعمها في ذلك حب أبناء تلك الشعوب للإسلام، ودخولهم فيه بروح المشاركة في الحضارة العربية الإسلامية، فبرز عدد من العلماء الكبار

١- يشير عبدالقاهر إلى شيء من هذا عند حديثه عن التشبيه العقلي، ينظر لذلك: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، دار الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ، ص٨٨.

من الفرس، والأذربيجانيين وغيرهم، وكانت المجتمع العربي الجديد في تلك الأنحاء يتلقى علوم العربية وآدابها في المساجد، والمعاهد، ودور العلم المختلفة إذ اتضحت سيادة اللغة العربية على المجتمعات الإسلامية الجديدة، واتجه الداخلون في الإسلام من أبناء تلك الشعوب إلى اكتساب خصائص العربية، فبرز منهم العلماء والأدباء، والمفكرون الذين أسهموا في التصنيف والتأليف، وكان منهم الشاعر، والأديب، والخطيب، والكاتب، والوزير، وبلسان العرب، وثقافتهم التي

وأثّر النحو العربي في اللغة الفارسية فقد أسهم في وضع قواعد للغة الفارسية في ضوء النحو العربي، فلم تكن اللغة الفارسية لتندثر بسيطرة الثقافة العربية، ولغة القرآن على مظاهر الحياة الاجتماعية، وهي لغة السلطة، ولغة العلم والثقافة، ولغة التجارة، فقد كانت اللغة الفارسية تستقي نوعا من المعرفة التي اكسبتها إياها اللغة العربية، فظهر النحو الفارسي، وأخذ شعراء اللغة الفارسية بعض البحور الشعرية من لسان العرب.

وفي عهد عبدالملك بن مروان عربت الدواوين[١] واستطاع اللسان العربي أن يستوعب كل ما في تلك الدواوين من معطيات حضارية كان اللسان العربي قادرا على أن يضيف إليها طابعه العقلي، فديوان الرسائل لم يقف عند بعده الوظيفي بل أصبح فنا أدبيا يدرس وتصنف له الكتب لما حمله من خصائص أدبية وفنية أضافها اللسان العربي بذوقه المميز، وطابعه الجمالي.

وفي المغرب العربي كانت الثقافة العربية بلسان القرآن فخلال ما يقرب من ثمانين عاما بعد دخول المسلمين الأندلس تحولت أقاليمها إلى مراكز للعلم والمعرفة، باللسان العربي، وبرز العلماء والمصنفون الأدباء والخطباء بلسان العرب، ومن طريق الأندلس نشأ النحو العبري الذي تأثر بالنحو العربي، وذلك عند الحبر اليهودي سعيد الفيومي الذي تعلم النحو العربي في الأندلس، ثم أنشأ على غراره النحو العبري[٢]، كما دخل الحرف العربي كتابة، ونطقا في اللغة الفارسية، وبعض اللغات الهندية، وفي اللغة التركية حتى قبل الحرب العالمية وسقوط الدولة العثمانية.

وعن طريق اللغة العربية ترجم الغرب كثيرا من دواوين المعرفة التي دونت من تراثهم؛ إذ لم تكن اللغات الأوروبية المعاصرة ذات صلة بتراثها، فلغة شكسبير ١٦١٦م

١- السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ص١٧٥.

٢- ياسر سيد فرج، اللغة العبرية، قواعد ونصوص، دار المريخ للنشر، الرياض، د.ط، ١٩٩٣م، ص١٧.

الإنجليزية لم تعد مفهومة عند الإنجليز في العصر الحديث والفارق هو أربعة قرون فحسب، ولذلك فما سبقه من تراث يراه الأوروبيين تراثهم كالتراث الإغريقي، لم يكن ليصل إلى الغرب لولا اللسان العربي، فهو الذي حفظ لتلك الحضارات تراث أوروبا القديمة.

لم تقف اللغة العربية عند نقل العلوم اللغوية وآدابها من ثقافة العرب في جزيرتهم بل كانت وسيلة لنقل المعرفة الإنسانية في العلوم التجريبية كالطب، والكيمياء والنبات، وعلوم الفلك والجغرافيا والفلسفة، فالترجمة التي كانت في أوج قوتها في عصر الدولة العباسية كانت العربية لسانها لنقل علوم اليونان، فاستوعبت العربية تلك الثقافة وعلومها وفلسفتها، وأضافت إليها من قيمها اللسانية المنغرسة في عمق العقل الإسلامي، وتصوره المستمدّ من الوحيين، ومن تراث العربية المتصل ببيئتها، فاللغة العربية أشبه ما تكون باللغة الفطرية في أصواتها وبنى مفرداتها، وبناها التركيبية، فضلا عن خصائص أساليبها التي تتفنن وتتعدد ليكون الكلام أكثر ثراء، وأوسع قدرة وأغزر طاقة وإمدادا، فالعقل اللغوي العربي عقل فطري متمكن، ولم يكن النظام اللغوي للعربية لينشأ في بيئة ذات حضارة عمرانية ضعيفة، بيئة لم تكن للمدنية موقعا، بل كانت بيئة صحراء وقرى ظاهرة، على أن النظام اللغوي في الصحراء الخالية من العمران لم يختلف عنه في القرية ذات التنظيم العمراني، والقوانين المكانية للبيئة والإنسان، فالمكان لم يكن هو المؤثر الحقيقي في هذا النظام اللغوي، إنما كان نظاما عقليا مرتكزا على فطرة العقل، وأصوله المنطقية الفطرية، ولا يقصد هنا المنطق الصوري المعروف بل المراد المنطق اللغوي الفطري الذي يطابق صحة العقل، وسلامة البديهة، وصفاء التفكير.

إن النظام اللغوي العربي، كان نظاما فريدا في مستوياته المختلفة، فهو نظام كامل البنيان مستوي الأركان، ولم يكن نتاج حضارة مدنية، يتأسس فيها منظومات تجارية، واقتصادية، وصناعية، ومعها يتكون النظام اللغوي، بل كان هذا النظام اللغوي العربي نظاما عقليا فطريا، أدركه التدوين المعرفي بعد نزول القرآن الكريم على وفقه فاتضح علوّ قدره، وفي ظل تأسيس علوم التشريع الإسلامي احتاجت الأمة إلى رصد النظام اللغوي رصدا علميا، فجمعت لغة العرب، ودواوينها الشعرية، وخطبها، وأمثالها، واستقرأ العلماء خصائصها، فتشكل النظام المعرفي اللغوي في صورته المدونة العملية، وكان نظاما فطريا إنسانيا غفلا من التقعيد والتنظير المدوّن، ولم يسبق لهذا النظام تدوين

في الجاهلية ولا في صدر الإسلام، فإذا ما عدنا إلى العهد الجاهلي فإن هذا النظام الخالي من المعطيات الحضارية المدنية، ومكوناتها المادية لم يكن يحفظه مدونة، ولا مخطوطة، بل كان محفوظا في العقول الفطرية، التي اتخذتها نظاما اجتماعيا كما هو نظام لغوي عندها، ثم أصبح ذلك النظام اللغويّ نظاما اجتماعيا معياريا لكثير من الأنساق الاجتماعية، فهو معيار العقل، ومعيار التمييز والرشد، ومعيار الثقافة والمعرفة، ومعيار الأدب، ومعيار الأصالة، ومعيار الرجولة، ومعيار الفحولة، ومعيار القضاء، ومعيار الفصل في الخصومة.

وحين استحكم هذا النظام في أركان الحياة العامة في المجتمع الجاهلي، كانت العناية به هي الوسيلة التي يتعامل بها المجتمع في كلّ قضاياهم، حتى إن الأديب الشاعر يُعدّ لسان قومه، لأن لغته الأدبية هي الكلام الذي يفي بمقاصد القوم، والخطيب، والمجتمعات البدائية التي لا يحكمها سلطة نظامية سوى سلطة القبيلة، لن يكون لها نظام تعليمي ولا مدونات مدنية تحفظ قوانين المعاملات العامة، ولكن النظام اللغوي في المجتمع العربي يمثل النظام المدون في الذاكرة المجتمعية، ففيه دوائر المعرفة، ومنظومة العقل الاجتماعي، ومعهد السلوك الأخلاقي.

القيم الحضارية في أدب اللغة العربية

لقد كان الشعر الجاهلي صورة للقيم الأخلاقية التي تتمثل روح الحضارة للإنسان السوي الفطرة، كالصدق، والعدل، والوفاء، والصبر، الإقدام، وهي قيم أخلاقية أكملها دين الإسلام وأصبحت جزءا من ثقافته وحضارة من ينتمون إليها، وفي جملة تلك الأخلاق ما يدعو الشاعر العربي إلى تمثلها في شعره، وإذا كان الشاعر هو لسان المجتمع فإن تلك القيم الفاعلة في روح الجماعة المتجاورة، أو المتحالفة، فإن ما يقدمه الشعر هو صوت جماعي يتمثله الشاعر، مخاطبا نفسه، ومعبرا عن صفات الأفراد التي يؤمن بها الجمع، وتمثل قيما لا تغيب عن ثقافتهم.

فالصبر خلق كريم، وقيمة روحية عليا عند المجتمع يتناهى إليه الأمر عند الشدائد، وتلجأ إليه النفوس في محنها، ويراه النبلاء شريك نجاحهم ومدعاة فلاحهم، وهو ركن من أركان الشجاعة والإقدام، حتى إذا لم يكن بد من القتال رأيت الحصين بن الحمام المري، يمدح قومه بالصبر وأنه سجية فيهم:

ولمـا رأيت الـود ليـس بنافـعي وأن كـان يومـا ذا كـواكب مظلـما
صـبرنـا وكان الصبر فينا سجـيـة بأسيافنـا يقطعن كفّـاً ومعصـما[1]

ولذلك فإنهم يسمون المعركة ذاتها صبراً، ومنه قول راشد بن شهاب اليشكري:

من مـبلغ فتيـان يشكـر أنني أرى حقبـة تبدي أماكـن للصـبر
فأوصيكـم بـالحي شيبـان إنهـم هم أهـل أبنـاء العظائم والفـخر[2]

فهو يستحث أبناء قومه ويستنهض هممهم لاستقبال أحداث كثيرة تستدعي منهم الصبر.

والإنصاف سمة حميدة، وخلق حضاري، يعرف به الإنسان حق غيره، وينزله منزلته، ولا يعد ذلك استنقاصا لقدر نفسه، فلا ينكر بسالة خصمه، وقدرته على أن يقاومه ذلك الخصم ويقتص منه.

غير أن ذلك ليس لازماً فإن الصبر في القتال قد يطلق على الموت نفسه، وعلى أنه صفة محمودة فهو إذا أطلقه الشاعر على خصومهم دل على بسالة قومه وشجاعتهم، قال زفر بن الحارث الكلابي:

وكنـا حسبنـا كل بيضـاء شحـمة ليـالي قارعـنا جـذام وحمـيرا
فلمـا قرعنـا النبع بالنبـع بعـضـه ببعـض أبت عيدانـه أن تكـسرا
ولمـا لقيـنا عصبـة تغلبيـة يقـودون جـردا للمنيـة ضـمرا
سقينـاهمُ كأسـاً سقـونا بمـثـله ولكنـهم كانـوا على المـوت أصبرا[3]

والتبريزي يرى في المعنى أنه شهادة للخصم بالغلبة وإنصاف لهم، واعتراف بأنهم أصبر[4]، والصبر هو الذي يحمل الشجعان على إكراه نفوسهم بعد أن تجيش كما في قول

١- المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق: أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، دار المعارف، مصر، ط١٠، ١٩٩٢م، ص٦٥.

٢- المصدر السابق، ص٣١٠.

٣- شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين وعبدالسلام هارون، دار الجيل بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١/ ١٥٦.

٤- حاشية الناشرين من المصدر السابق.

عمرو بن معد يكرب:

فجــاشت إلي النفـــس أول مـــرة   وردت عـلى مكروههـا فاسـتقــرت

وقول عنترة:

إذ يتـقــون بي الأسـنــة لم أَخِـــم   عنهـا ولكـني تضــايـق مُقــدمي

وينقل المرزوقي أن ما ذكره عمرو وعنترة بيان حال النفس، ونفس الجبان والشجاع على طريقة واحدة فيما يدهمهما عند الوهلة الأولى، ثم يختلفان: فالجبان يركب نفرته، والشجاع يدفعها فيثبت)[1]، وهذا العامل الذي دعاهما إلى الثبات هو عامل أخلاقي يراه الإنسان الجاهلي من مقومات الرجولة، وكمال الاتصاف بالأخلاق الحسنة، ولذلك ما يحمل على التعفف والورع وعزة النفس، فالشاعر لا يتبرم ولا يتضجر من الحاجة والفاقة، قال شبيب بن البرصاء:

لعـــمر ابنة المــري مـا أنــا بالــذي   لــه أن تنـوب النائبــات ضجيـــج

وقال ربان بن سيار المري:

ثمـت أطعمـت زادي غـير مدخــر   أهـل المحــلة من جـار ومـن جـــاد
وقـــد دقعت، ولم أجـرر عـلى أحـــد   فتـق العشـيرة والأكفـــاء شهـــادي

والدقع هو سوء احتمال الفقر[2]، فلم يكن احتماله للفقر إلا لصبره؛ لذلك يفخر بأن صبره حماه من أن يجر على قومه جريرة.

ويقول عبد قيس بن خفاف، يوصي ابنه بالتمسك بالأدب الرفيع، والخلق العالي:

واستـغن مـا أغنـاك ربك بالغـــنى   وإذا تصبــك خصـاصـة فتجمـــل

والحلم من الأخلاق العربية التي نقلها الشعر في صورة كريمة، ومثالية وفضيلة. وهو ما يحمل على الصفح، والتجاوز عن الخصم، وعلى وجه الخصوص متى كان

١- المصدر السابق، ١/ ١٥٩.

٢- ابن منظور، لسان العرب، مادة (د ق ع).

الصفح والعفو مع المقدرة على الردّ، وإلاّ لم يكن صفحاً، وهو الذي جعل قوم شهل بن شيبان الزماني (الفند الزماني) يصفحون عن بني ذهل، إذ يصف ذلك بقوله:

صفحنا عن بني ذهل   وقلنا القوم إخوان
عسى الأيام أن يرجعـ   ن قوما كالذي كانوا
ولما صرح الشر   فأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا   ن دناهم كما دانوا[١]

ومن كرم الخلق أن الإنسان يحمل نفسه على أفضل القيم، ولا يتبع شهواتها وهواها، وهي قيمة إنسانية، وترفع وترقٍّ في رتبة البشرية إلى رتبة الإنسانية، ويترفع عن مساوئ الخلق، ومطامع النفس، وهومن مكارم الأخلاق.

والنفس راغبة إذا رغبتها   وإذا تُردّ إلى قليل تقنع[٢]

والشاعر العربي يصف حلمه، ويربط ذلك بالورع الذي ورثه في الديانة الحنفية، وفي ذلك يقل ذو الإصبع العدواني:

لولا أياصر قربى لست تحفظها   ورهبة الله فيمن لا يعاديني
إذاً بريتك برياً لا انجبار له   إني رأيتك لا تنفك تبريني[٣]

والشاعر العربي عفيف لا يسابق إلا مطمع النفس:

وإن مدت الأدي إلى الزاد لم أكن   بأعجلكم إذ أجشع القوم أعجل

وفي العصر الإسلامي اتجه الأدب ليتمثل القيم الروحية للإسلام، ويقدم صورة لتطور قيم المجتمع واختلاف الرؤية بدخولهم في الدين الجديد، فشاعر مثل حسان بن

١- أبو علي المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، حققه: أحمد أمين، وعبدالسلام هارون، دار الجيل بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١/ ٣٢.

٢- المفضل الضبي، المفضليات، ص٤٢٢.

٣- المصدر السابق، ص١٦٢.

ثابت يصبح شعره بعد الإسلام مطبوعا بطابع الرسالة النبوية، بعد أن كان شعرا للقبيلة يفخر بأيامها وينافح عن مقامها، وكان يتصل بملوك غسان في الشام، ويفاخر بهم فهم قومه نسبا، فتحول إلى الدفاع عن الدعوة الإسلامية، ونظم شعره للدفاع عن النبي ﷺ وللحث على الجهاد كما تعلن ذلك همزيته المشهورة:

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء

وهذه القيم التي دخلت الشعر لم تكن خاصة بشعراء الرسول كحسان، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة، بل نجد الشاعر المخضرم النابغة الجعدي يقول:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا

ولما سأله النبي ﷺ إلى أين يا أبا ليلى قال: إلى الجنة بك يا رسول الله، والحقيقة أن القيم الوجدانية التي أدخلها الإسلام على المجتمع العربي كانت بسبب قوي من القيم الأخلاقية الاجتماعية، واستحسن الأديب القيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام فنطق بها شعره، واستوحى منها حكمته.

ومن خصائص اللسان العربي أنه ينقل ثقافة البيئة العربية وآدابها وأخلاقها إلى البيئات التي اكتسبت اللسان، فما إن ترى قصيدة لشعراء من بلدان العجم ينظم قصيدة عربية إلا وتلمس فيها خصائص البيئة العربية، وأساليب بناء القصيدة، ومضامينها وصورها تتقلب في شعره، على أننا لا نعدم أن نرى مزجا بين خصائص القصيدة العربية، وخصائص البيئات التي انتقلت إليها القصيدة العربية كالأندلس، فإن الشاعر الأندلسي أخذ الفن الشعري بطابعه العربي، ثم مزجه بوحي الطبيعة الأندلسية فأنتج صورا جمالية بديعة، تقول حمدونة الأندلسية في وصف الطبيعة في الأندلس:

أباح الدمع أسراري بوادي له في الحسن آثار بَوادِ

فمن نهرٍ يطوف بكل روضٍ ومن روض يرف بكل وادِ

ومن بين الظباء مهاة أنس سبت لبي وقد ملكت فؤادي

لها لحظ ترقده لأمرٍ وذاك الأمر يمنعني رقادي

إذا سدلت ذوائبها عليها رأيت البدر في أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيق فمن حزن تسربل بالسواد

وفي هذا التصوير امتزج جمال التصوير الأدبي بجمال الطبيعة الأندلسية، وأضاف لحسن الإبداع العربي حسنا، ولجماله جمالا، ثم إن الشعر العربي في الأندلس أخذ يتشكل بصور إيقاعية جديدة، ويكتسب خصائص فنية مختلفة عن بيئته العربية الأولى، وهو ما عرف بالموشحات الأندلسية، وهي وليدة البيئة الأندلسية على أنه يحتمل أن تكون المسمطات والرباعيات، والخماسيات التي نشأت في المشرق توحي بأن لهذا الشكل الجديد من الشعر أصلا مشرقيا، ومهما يكن فإن القصيدة العربية في الأندلس لم يكن التجديد في شكلها فحسب، فالشكل الشعري غالبا ما يكون وليد المضمون، والنسيج الفني يسهم في تشكيل بنية الإيقاع اللفظي، والإيقاع التناسبي المعنوي.

لقد أسهم الشعر العربي في عصوره المختلفة خاصة في العصر العباسي في إنتاج مدونة نقدية ضخمة كتبت في سياق حوار اجتماعي ثقافي واسع حول تفاضل الشعراء، ووفائهم بالقيم الاجتماعية التي تشكل أركان الحضارة الروحية، وهي أركان أخلاقية، فأنتجت تلك الحوارات كتبا نقدية، وأدبية، ونظريات تحدد مقومات الحسن والكمال في العمل الشعري، كما فعل المرزوقي في تقنين عمود الشعر، ليضع به مواصفات لما ينبغي أن يلتزم به الشاعر، والمتأمل في عناصر عمود الشعر يجدها صورة لرؤية المجتمع تجاه القيم المثلى في الشعر، وهي قيم تتصل بالجانب الجمالي، والجانب الأخلاقي، الذين يتصلان بمكون حضاري هو ما يتطلبه روح الجماعة فيما يقوم به الخطاب الشعري، وما يؤديه الشاعر من رسالة تمثل الخطاب الجمعي بلغة الشعر.

القيم الحضارية للغة العربية في العصر الحديث:

لا يُتصوّر الحديث عن القيم الحضارية المعاصرة للغة العربية بعيدا عن التصور الإسلامي لتلك القيم، خاصة أن اللغة العربية اكتسبت من الامتداد الإسلامي خارج حدود الوطن العربي أبعادا حضارية كما اكتسبت تلك الشعوب كثيرا من خصائص القيم الإسلامية التي نقلتها اللغة العربية بثقافتها الإسلامية، وخصائص حضارتها الروحية.

وإذا نظرنا إلى واقع اللغة العربية في العصر الحديث يتبين لنا أمران: أحدهما أهميتها للحياة المعاصرة، وقوانين التعايش بين الناس، في محيط الناطقين بها، وخارج ذلك المحيط. والأمر الآخر: حقيقة واقعها الذي تتحرك فيها مع غيرها من لغات العالم بحكم اتصال الناطقين بالعربية بغيرهم من الأمم حضاريا، بكل ما تحمله الحضارة من ثقافة، وتعليم، وصناعة، وسياسة، وفي ظل هذين الأمرين، ويشكل الدين الإسلامي في العصر الحديث واحدا من أكبر الأديان العالمية انتشارا في الأرض، والإسلام والعربية متعاضدان حيثما حَلّ أحدهما وُجد الآخر، لذلك فالبلدان العربية التي فيها ديانة غير الإسلام كالمسيحية في لبنان نجد اهتمام المسيحيين بالقرآن، وثقافة الإسلام لشدة اتصالها بالعربية، وهو مصدر التشريع الإسلامي الأول، والإسلام في دول غير عربية في الشرق والغرب يتعلم أبناؤه العربية، فضلا عن أن العربية تتغلغل داخل.

أما في الواقع السياسي فقد اعتمدت اللغة العربية لغة رسمية في الجمعية العامة للأمم المتحدة، في ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٣، بموجب قرارها ٣١٩٠ في دورتها الـ ٢٨. لتكون بذلك إحدى اللغات الرسمية الست في الجمعية العامة والهيئات الفرعية التابعة لها[1]. وهذا القرار يجعل من اللغة العربية لغة ضرورية للدول الأعضاء للاهتمام بها في التعامل مع الأمم المتحدة فيما يخص العالم العربي، وفي علاقات تلك الدول مع الدول العربية.

وفي المجال الثقافي يحضر الأدب العربي بصفته أحد الفنون الإنسانية الخالدة، فما زال صدى القصيدة الجاهلية يتردد في أروقة المراكز العلمية والأكاديمية في بلدان الغرب، لما يحمله من مضامين فكرية ومعرفية، وصور جمالية، وقضايا اجتماعية، وما ذاك إلا أن هذه اللغة الخالدة خلدت معها الأدب العربي الأصيل.

إن الأدب حاجة إنسانية، وليس ترفا قوليا، ولذلك تتأثر رسالة الأدب بحاجات الإنسان النفسية، والاجتماعية والثقافية، والحضارية، وقد أثر ذلك في وظيفة الأدب وأخذت الاتجاهات الفكرية تنازع الأدب وظيفته، ولكن الأدب العربي لم يخل في مسيرته التاريخية من وظيفته الفنية التي تحمل مضامين في الأخلاق والآداب والحكم، والمعارف، والتاريخ.

لقد كان لشعر الحكمة في الأدب العربية أثر واضح في تاريخ الأدب العربي، فقد

1- http://www.un.org/ar/events/languageday/ARinUN.shtml

عرف شعراء بأنهم شعراء الحكمة كزهير في الجاهلية وأبي العتاهية، وابن الرومي، وأبي تمام، والمتنبي والمعري في عهد الإسلام، واتخذ شعر الحكمة صفة خاصة في فنه، وأساليبه، ومنهج بناء القصيدة، حتى وصف بعض الشعراء بأنه حكيم لا شاعر؛ وذلك لما في شعره من قوانين العقل التي هي أحد آثار الحضارة الإنسانية في بعدها الأخلاقي.

القيم الحضارية التي تمثلها اللغة في مستوياتها المتعددة ترجع إلى قيم تتصل بالفرد، وبالمجتمع، وبالعالم الخارجي للمجتمع. وأهم ما يميز القيمة الحضارية للغة داخل نفوس الأفراد هو الشعور بالانتماء الثقافي، أما المجتمع فإن التواصل اللغوي والأدبي والثقافي قيمة عالية في تماسك الحضارة وسموها، وعلى الصعيد الخارجي تشكل اللغة عنصرا مهما في المثاقفة المعرفية والأدبية، والإبداعية، والفنية، والاتصال العلمي من تعريب، وترجمة، ودراسات وبحوث.

الانتماء الثقافي والحضاري:

تمتاز العربية بأنها هوية لمن ينتمي إليها، فلغة العرب لها امتداد تراثي راسخ، وكل من ينتمي إلى العروبة والإسلام يشعر بانتمائه لهذه اللغة، وليس ذلك في العرب وحدهم، بل الشعوب الإسلامية تشعر بهذا الانتماء والاعتزاز بالعربية، ثم إن الأمة العربية من محيطها إلى خليجها تلتف حول هذه اللغة باعتبارها لحمة تراثية ثقافية، حفظت تاريخ الأمة، واحتفظت بخصائصها المشتركة بين الشعوب العربية في مواطنها على تباعد أراضيها، وهي لغة الدين الذي يغطي العالم العربي.

إن الانتماء الذي ظهر في العصر الحديث، تعددت مظاهره، واختلفت دواعيه، وهي لا شك مظاهر لها مبرراتها في حضارة أصحابها، واللغة العربية ينتمي إليها كل من كانت لسانا له، بل ينتمي إليها كل من كان الإسلام دينا له، وهذا المظهر الحضاري الذي تتوفر عليه اللغة العربية، لا يوازيه انتماء سياسي أو اقتصادي، أو فكري يجمع طوائف الناطقين بهذا اللسان، ولن تكون تلك الانتماءات قائمة مقام اللسان العربي في تعزيز الانتماء، إذ تتغير السياسات الدولية، وتتبدل الولاءات، والظروف الاقتصادية والمناهج الفكرية بين الشعوب، ولا يتبدل الانتماء للغة العربية، بل هي قادرة على أن توجد قدرا من التقارب في الجوانب الفكرية، والسياسية، فضلا عن غيرها.

التواصل:

الأصل في وظيفة اللغة أنها للتواصل منذ عصور البشرية الأولى، والتواصل البشري يؤمن للإنسان قيما حضارية كالتعارف، والأُنس، والأمن، وتبادل المنافع، وهذه القيم الحضارية راسخة في المجتمعات الأولى، فهي مع اللغة أيا كانت تلك اللغة، وأيا كان زمانها ومكانها، إلا أن اللغات تختلف في أساليب التواصل التي تنتجها، فإذا عرفنا أن من أساليب العربية، التعريض والكناية، مما يستخدمه العرب في خطاباتهم منذ القدم، لما في هذه الأساليب من حفظ للآداب وابتعاد عن ابتذال ماء الوجه، أو إكراه المخاطب على أمر لا يحب سماعه مباشرة، فإن ذلك يشير إلى مقدار ما في العربية من احترام لمقام الخطاب، واحترام للمخاطبين، وفي ذلك سلوك حضاري راق أنشأته العربية في نظامها.

واللغة العربية بخصائصها الاشتقاقية، وطرائقها في التركيب، وتفننها في الأساليب تكاد تبلغ حدّ الأعجاز، فهي واسعة المعجم، منطقية المباني النحوية، بارعة في دقة التعبير، ثرية باشتقاقاتها، سهلة بخفة ألفاظها، عذبة بتناغم أصواتها، فهي لغة علم كما هي لغة جمال وأدب، بل هي من أجدر اللغات بحمل العلم بشتى فنونه، إنشاء، ونقلا، وتعريبا، وتطبيقا، فقدرتها على استيعاب العلوم وطاقتها في حمل صنوف المعرفة تفوق الوصف النظري هنا، وقد تكون بعض هذه الصفات أو شيء منها كائنة في غيرها من اللغات، إلا أن العربية بخصائصها المعجمية، وتراكيبها، وبناها الصرفية، تتوفر على مزايا ليست في غيرها من اللغات، فضلا عن قدرتها على النحت والاشتقاق وقوانينها اللفظية، والنحوية.

إن العربية لغة عقل ومنطق، وكل حضارة لها نصيب من العلوم سواء اكتسبتها من حضارات أخرى، أو أنشأتها بنفسها، والعربية على مدى تاريخها العلمي منذ عصر النبوة، أنشأت إرثا عليما حضاريا في كل من الدين، والأخلاق، والآداب، والفلسفة، وعلوم الطبيعة، والطب، والفلك، وقد عدها الثعالبي أداة العلم[١].

يقول المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون: «استطاعت العربية أن تبرز طاقة الساميين في معالجة التعبير عن أدق خلجات الفكر سواء كان ذلك في الاكتشافات العلمية والحسابية أو وصف المشاهدات أو خيالات النفس وأسرارها. واللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي، والعربية من أنقى اللغات، فقد تفرّدت

١ – فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت د.ط، د.ت، ص٢١.

بتفرّدها في طرق التعبير العلمي والفني والصوفي، إنّ التعبير العلمي الذي كان مستعملاً في القرون الوسطى لم يتناوله القدم ولكنه وقف أمام تقدّم القوى المادية فلم يتطوّر.

أما الألفاظ المعبّرة عن المعاني الجدلية والنفسانية والصوفية فإنها لم تحتفظ بقيمتها فحسب بل تستطيع أن تؤثر في الفكر الغربي وتنشّطه.-

ثمّ ذلك الإيجاز الذي تتسم به اللغة العربية والذي لا شبيه له في سائر لغات العالم والذي يُعدّ معجزةً لغويةً كما قال البيروني»[1].

كما نقلت العربية علوم الأمم السابقة كاليونان والفرس، وصبغتها بصبغتها الخاصة، وفق رؤيتها الإسلامية للكون والحياة، وإلى عهد قريب كانت الجامعات والمعاهد العالمية في كثير من البلدان تعتمد كتب العلماء المسلمين بلغتها العربية في الطب، والفلك، والرياضيات وغيرها.

وتتسم الحضارة المعاصرة بأنها حضارة صناعية وهي ذات مقومات متعددة يتداخل فيها المادي بالروحي، ويتحول فيها الجانب الثقافي إلى سلع مادية، ولا ريب أن اللغة في كل زمان هي العنصر التواصلي الأول، وهي مكوّن حضاري أولي، وقد استطاعت العربية أن تستعيد مكانتها في المجال المعرفي بعد أن كانت متراجعة خلال قرنين أو أكثر أمام سلطان القوى المادية والعمل النفوذ الاستعماري الذي سعى إلى طمسها في بلدان عربية، ومحاولة إزاحتها من تصدر المجال المعرفي بها.

لقد كانت اللغة العربية أحد العوامل القوية المؤثرة في وحدة الأمة وترابطها، والحضارة المعاصرة تغلّب على مقوماتها العنصر التقني المادي الذي بزر فيه العالم المتقدم صناعيا بلغاته المتعددة، وربما لقي اللسان العربي مشقة في مقاومة المدّ اللغوي المرتبط بالتقنية المعاصرة الذي دخل المجتمع العربي مع دخول تلك التقنية.

وإذا عدنا إلى مكامن قوة العربية فإن أهمها هو أنها لغة الدين، وبها تؤدى شعائره فهي لغة حية في كل زمان ومكان، وفي العالم الإسلامي وغيره، وأمّا التعليم الذي تعتمد مناهجه اللسان العربي، والإعلام، والخطاب السياسي، والواقع أن اللسان العربي يجد إقبالا من أطراف الأرض رغبة في تعلمه، إما لهدف معرفي، أو سياسي، أودنيي، واقتصادي، أو ثقافي، فالدواعي كثيرة للإقبال على تعلمه. وكل هذا يجعل من اللسان العربي ركنا في حضارة اليوم، مدنية عمرانية، أو روحية ثقافية.

---

١ – الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، ١٤٠٢هـ، ص٣٠١.

المثاقفة:

المثاقفة ظاهرة حضارية تعاورتها الشعوب منذ القدم، وفي هذا العصر أصبحت المثاقفة أكبر فاعلية من ذي قبل، لتعدد وسائل التواصل بين الثقافات، ولاريب أن العربية في آدابها وفنونها أثرت وتأثرت ثقافيا باتصالها بالثقافات المختلفة، فالترجمة نقلت للأدب العربي فنونا أدبية لم تكن في الأدب العربي، كالمسرحية والرواية، وأسهمت اللغة العربية من طريق الأدب العربي في نقل هذه الفنون إلى المتلقي العربي، والمبدع، ويبرز الأدب العربي الحديث قدرة العربية على إنتاج النماذج الإبداعية الراقية، كمسرحيات علي باكثير، وأباضة، وشوقي، كما أن الشعر الملحمي المعاصر يعد صورة واضحة لاقتباس العربية أشكالا أدبية، من ثقافات أخرى وقدرتها على تقديمها وإخراجها بطابع عربي خالص، في لغته، أسلوبه، وتراكيبه، وروحه الفنية.

والنقد الحديث بمدارسه المتعددة حاورته اللغة العربية فاكتسبت المناهج النقدية العربية أبعادا أخرى تضاف إلى الرصيد النقدي العربي التراثي، فما نقلته العربية وفقا لسمتها وخصائصها لقي عناية واستمرارا، وإضافة من المتلقي العربي، والمبدع، وربما كان بعض ما نقل إلى العربية من اللغات الأخرى راجعا في بعض أصوله إلى الأدب العربي، وعلوم اللغة العربية، ويؤكد تشومسكي تأثره بالنحو العربي فقد قرأ كتاب سيبويه، ويغلب بعض الباحثين المعاصرين أن نظرية النحو التوليدي متأثرة بكتاب سيبويه[1]. وهذا الجانب حضاري للغة العربية، وقيمة عليا للغة حين تكون قادرة على التأثير في ثقافات الأمم المعاصرة، أما التأثر فإن العربية حين نقلت شيئا من العلوم المعاصرة لم تنقض شيئا من أصولها المعرفية، ولم تغير في معجمها الدلالي، ولا في نظامها الاجتماعي، بل لديها القدرة على أن تأخذ الحكمة أو الفكرة اللغوية فتصوغها بطابعها العربي، وتزيل عنها عجمتها، وذلك راجع إلى قدرتها الاشتقاقية، وغناها المعجمي.

لقد أقرت الجامعات العالمية بأهمية اللغة العربية في الدرس الأكاديمي، فلا تكاد تجد جامعة كبرى في دول أوروبا إلا وفيها قسم أو برنامج أو مسار للغة العربية، فضلا عن دول آسيا التي اتجهت نحو الانفتاح المعرفي تجاه اللغة العربية وفنونها وتراثها الإبداعي،

١- جاسم علي الجاسم، تأثير الخليل بن أحمد، وسيبويه في نظرية تشومسكي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، بدمشق، ع١١٦، ذو الحجة ١٤٣٠هـ، السنة التاسعة والعشرون، ص٧١.

وفي كثير من تلك الجامعات تُدرس علوم اللغة المقارنة وهي من أهم وجوه التقابل الثقافي في البحث العلمي في اللغات.

أما الاستشراق الذي عمل على تحقيق كثير من كتب التراث العربي، فلا أدل على القيمة الحضارية التي تمثلها العربية من ذلك القدر الضخم من الكتب العربية التي أخرجها المستشرقون بطريق التحقيق، وإخراج نصوصها.

ودراسة المستشرقين لتراث العربية باللغة العربية نفسها، أو بلغات المستشرقين أنفسهم، يسهم في نقل حضارة العربية إلى تلك الشعوب، وثقافاتها، فكتاب تاريخ الأدب العربي لبروكلمان[1] باللغة الألمانية ينقل صورة حضارية لتراثنا الأدبي الخالد، وفنونه السامية العريقة، و«يعد المرجع الأساسي والوحيد في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها»[2]. وكتاب كشف الظنون لحاجي خليفة رصد فيه تراث العربية، وقدم للشعوب الإسلامية رصيدا مهما من المصادر عن لغة العرب، وعلوم الإسلام في العقائد، التشريعات، والسير، والتراجم، والعلوم التطبيقية والنظرية.

التعريب:

اتصلت الحضارة العربية بحضارات الأمم المجاورة كالفارسية، وانتقل إلى لغة العرب إرث يونان عن طريق الترجمة، فأسهمت العربية في حفظ تراث فلاسفة اليونان، وحكمائهم، فحين اندثرت لغات الأمم التي ذات الحضارات القديمة حفظت العربية لتلك الأمم تراثها. وحضارة اليوم اتسعت عناصرها وتعددت مصادرها ومقوماتها، وامتدت رقعة الحضارة الصناعية فلم تعد حكرا على أمة كما كانت في القديم، فالحضارة الغربية التي هي مبعث التقنية والصناعة، لم تحتكر مقوماتها، بل أصبح الشرق ينافس هذه الحضارة الصناعية، ولقد صاحب حضارة العصر ألسنة نقلت علوم العصر، وإن من الواضح أن تراجع حضارة العرب والمسلمين لا يرجع لقيمة حضارتهم، وأهميتها للإنسان وللبشرية فهي حضارة رسالة سماوية، موجهة للناس أجمعين، ولكن الذي ملأ الآفاق في عصرنا هو العلم الصناعي وتقنياته، وتبعته لغاته، وخاصة اللغة الإنجليزية التي تكاد تصاحب كل تقنية واكتشاف علمي.

١-كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبدالحليم النجار، دار المعارف، مصر، ط٥، د.ت.

٢- د. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين. دار العلم للملايين، بيروت، د.ط، ١٩٩٣م، ص٩٨.

ولا ريب أن الشعوب التي تتخذ من الإنجليزية لغة للعلم لم تهمل لغاتها الأصلية، فتعامل مع العلوم المعاصرة، والتقنية والكشوف، هو تعامل تجاري، أو إشهاري فحسب، أما لغة العلم في تلك البلدان فهي لغاته الاصلية فالصين، واليابان، وسنغافورة، وفرنسا، وألمانيا، لم تكن لغة العلم سوى لغاتهم الأصلية، إلا أن اللغة الإنجليزية يستعان بها في مرحلة التسويق والإشهار.

أما البلدان العربية فإن لغة العلوم هي اللغة الإنجليزية، ولم تعن الجامعات والمراكز البحثية، في نقل العلوم والمعارف المعاصرة إلى اللغة العربية ليتمكن الدارس والباحث والمبتكر من تناول العلم والخوض فيه بلغته الأصلية؛ لأن العقل المعرفي مرتكز في شخصية الفرد، واللغة الأم أقدر على تمثيل المعرفة في عقل الإنسان، والعربية بعد ذلك أقدر على استيعاب المعرفة لما فيها من خصائص تمكن صاحبها الناطق بها من تصور العلم بعقله المتكون في شخصيته، والعربية من أقدر اللغات وأجدرها ولها طاقة فريدة في نقل المعرفة، والعقل اللغوي العربي له منطق من التصورات، والإدراكات لا يضاهيه سواه.

من هنا فإن العربية جديرة بأن تقدم العلم لأبنائها، وأن تعرب عن كشوفات العصر، وما وصلت إليه البحوث التطبيقية، والنظرية، وأن تكون هي الوسيلة الأولى في تصوير المعرفة، فالعالم اليوم هو عالم المعرفة، والسباق الحضاري يصور لنا كيف أن الشعوب بلغاتها التي لا تبلغ مبلغ العربية استطاعت أن تنقل العلوم، وتستوعبها، وتلحق بركب العالم المتقدم كما نرى في شعوب آسيا التي تنحصر لغاتها في حدود الوطن نفسه.

إن داعية الحضارة اليوم تنادي بتعريب العلوم، والإفادة من العربية وطاقتها التي تتعرض للهدر، والإهمال، إذ يتوجه الباحث والدارس إلى لغة ثانية يكتسب بها المعرفة، وفضلا عن أن تكون اللغة الأم مصدر قوة وتمكين، فإن العربية خاصة لها من القدرة ما يستلزم أن تكون لغة العلوم المعاصرة، فكل حضارة قامت بمعونة لغتها استطاعت أن تطاول الحضارات المنافسة، ولا يتصور أن تقوم حضارة لأمة بلسان غيرها، ولن يعقل الإنسان علما كما يعقله بلغته الأم.

الجماليات:

اللغة وعلم الجمال بينهما صلة من جهات عدة، وفلسفة الجمال لم تكن معاييرها خالية من الذاتية التي تؤثر في رؤية، لأن الإحساس بالجمال يعتمد على التجربة الذاتية، أو على الحواس البشرية، وما تتأثر به الحواس الفردية، وجمال اللغة يقع في مملكة الحواس الإنسانية لكنه يتجاوز ذلك إلى ما هو أكبر وهو العقل الذي يحتاجه الإنسان في تمييز صحة الكلام، أو جودته، والحكم على جمال صورته اللفظية التركيبية، إما بطريق الفهم الظاهر أو بطريق التأول والتدبر وعلى جمال قيمه، ومضامينه المعنوية، على حد ما بينه عبدالقاهر في إدراك الخصائص الجمالية في الصورة أو التركيب[1]. وكل ذلك راجع لقدرة اللغة وطاقتها الكامنة في واقعها التعبيري الاتصالي أو الإبداعي، وما تتشكل فيه من تصور ذهني لدى أصحاب اللسان الواحد، أو من يتخاطب بذلك اللسان من غير أهله.

والعربية عرفت بأنها لغة جمالية، والأدب العربي شهد له الدارسون والباحثون من العرب وغيرهم بجماله، قديمه وحديثه، وذلك لما للغة العربية من خصائص جمالية في مكوناتها من أصغر وحدة صوتية إلى الجملة التي يتكون من العمل الإبداعي، والعقاد يؤثر تسميتها اللغة الشاعرة[2].

والأدب تعبير عن المجتمع، ووسيلة الأدب هو اللغة، وإذا كان الأديب صوت المجتمع فإن القيم الاجتماعية، هي القيم التي يصورها الأديب بفنه، ولغته، فاللغة هنا تتمثل القيم الاجتماعية الحضارية في قالب الجمالية الأدبية، ومن المؤكد أن الأديب يعالج قضايا الحياة بلغة الحياة، وبذلك لن يتجافى عن لغة المجتمع لسانا، وعقلا، وشعورا، واللغة بطبيعتها التداولية، وقيمها الدلالية، والشعورية، تضفي للأدب إيحاءاتها التي يسبغها المجتمع، لذلك فالقيم الحضارية التي تكون في مجتمع العربية، كالفضائل، والشرف، والعزة، والرحمة، والعدل، والمساواة، والكرم، والصدق، والشجاعة، كلها هذه القيم والفضائل سيكتسبها الإبداع في تمثيله فنيا للمجتمع بصفته صورة له، وهذا

١- أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، دار الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ، ص٩٧. وانظر: دلائل الإعجاز، للمؤلف نفسه، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، دار الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ، ص١٠٠. وما ذكره هنالك من أهمية التمييز بين مصدر الاستحسان للجمع بين الصورة التركيبية والصورة البيانية، وكيف تقدر اللغة على التأثير في النفس حين يكون نظمها وتركيبها وتصويرها على الوجه الذي يستدعيه النظم.

٢- اللغة الشاعرة، كتاب للأديب الكبير عباس العقاد، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

من أهم ما يدعم الجمال اللغوي، والجمال الإبداعي الذي هو أحد القيم الحضارية التي تبرزها اللغة.

إن اللغة التي وظيفتها في الأدب نقل إحساس المبدع في تصوره للحياة من حوله، وفي نظرته للكون والوجود، والعدم، تقدم رؤية حضارية لمخزون العقل الجمعي الذي تحفظه اللغة باعتبارها نشاطا اجتماعيا، وعطاء عقليا، فالمعاجم وحدها لن تقدم اللغة في صورتها الحضارية كما تقدمها في صورتها الإبداعية، لأن الإبداع يعطي اللغة قدرا جديدا، وطاقات متجددة تمكن المبدع من إبراز صوت الضمير الجمعي في شكل فني أدبي يكون له من السيرورة ما يسمو بالنفوس ويطهرها، كما هو فعل الأدب الخالد الذي يسعى لتطهير النفس والرقي بمقاصدها.

وأخيرا فاللغة الأدبية هي مستوى جمالي للغة، وعطاء ثري تقدم فيه اللغة ذخائر مخزونها، فالجمال الظاهر الذي يقدمه الإبداع، أما الجمال الباطن الذي تختزنه النفوس المكتسبة للحس الحضاري فإن اللسان القويم هو علامتها الفارقة، وملامحها الدالة، فكم كان اللسان ميزانا للعقل، ومسبارا لاستقامة النفس، ودليلا على استقامة الفطرة.

إن الأدب العربي المعاصر له أثره الظاهر في ظهور قيم العربية، فإن احتفاظ الأدب بالعربية المبينة لغة له هو في ذاته قيمة حضارية عليا، فأدب اللسان العربي الذي يمتد تراثه منذ أكثر من خمسة عشر قرنا، ما زال غضاً طريا يلتقي فيه جمال الحس الإنساني على فطرته بجمال الحس الإنساني المعاصر، والأديب العربي، برغم ما حوله من معالم حضارية كبرى أثرت في الحياة بمختلف شؤونها لم يزل أدبه ينتمي لأصالة اللسان العربي.

هذه الأصالة لم ترفض قيم الحضارة المعاصرة، فالأدب العربي المعاصرة استطاع أن يواكب الحياة المعاصرة بنظامها الحضاري المركب، فالأدب العربي يملك مقومات الجمال في لغته وفنونه وموضوعاته، فالأدب فن، وقيم، وتواصل، وتعبير عن الحياة بلغة جماعية، وإن اختص الأديب بمزجها برؤيته إلا أنه يبقى صورة لمجتمعه.

إن الجمال الذي تنقله اللغة لا يتوقف عند الإبداع الأدبي، فالجمال الأسلوبي في الإخبار، والاستخبار، واللطف، وترقيق الحوار، وحسن المطالع في المقال، سواء كان ذلك مكتوبا أو منطوقا، كل ذلك من القيم الجمالية التي تبرز عظم حضارة هذه اللسان الشريف، وما زال الأسلوب المهذب واللسان المؤدب وسيلة العقل لبلوغ الحاجات، ودرء المذمة والمساءة.

والجانب التربوي في اللسان العربي هو من الجماليات التي عُرفت عنه، فإن تخير اللفظ، ولطف القول، وسماحة العبارة، هي من التربية الجمالية للسلوك الإنساني على اختلاف المعني بالخطاب، فالخطاب الجمالي له أثره في النفس توجيها وتصحيحا، وتقويما، وما زال اللطف حليفه القبول في كل موقف، حتى كان مشروعا تعبديا، ذا قيمة حضارية غرست في اللسان العربي منذ بعثة النبي ﷺ، ومنذ حث القرآن على حسن القول، ولينه ولطفه، حتى مع الخصم العنيد، والعدو اللدود، فإنه من أعجب ما تلين به النفوس وتنقاد.

اللغة العربية ومواكبة العلوم والمعارف الإنسانية والتطبيقية المعاصرة

أ.د. منصور بن محمد الغامدي

المقدمة:

يثار الجدل من وقت لآخر عن اللغة ودورها في تقدم المجتمع وازدهاره العلمي والتقني والاقتصادي. ولأن المجتمع العربي أفاق على تأخر لم يعهده بعد أن كان رائدا للمعرفة والعلوم لقرون عديدة ولعدم قدرته على اللحاق بركب الأمم الأخرى التي سبقته لعقود من المحاولات والتجارب السياسية والاقتصادية والفكرية، فقد أخذ مفكروه ومثقفوه وكتابه في البحث عن الأسباب. رآها البعض في الثالوث: الجهل والجوع والمرض، ورآها آخرون في العقلية العربية، وذهب البعض إلى أن السبب ربما في اللغة. وبدأ تعليم اللغات الأجنبية في المراحل المبكرة من الدراسة واقتصار التعليم في بعض التخصصات الجامعية على اللغات الأجنبية. وأصبح ينظر أحيانا إلى من لا يجيد لغات أجنبية بقلة الاطلاع والمعرفة، وينظر خلاف ذلك إلى الحاصلين على شهادات من جامعات لغاتها غير العربية. فهل يمكن أن تكون اللغة حاجزا أمام التقدم العلمي والتقني؟ وهل هناك ارتباط بين التقدم العلمي واللغة؟

لم تشهد البشرية ثورة في معلوماتها ومعارفها كالذي تشهده في هذا العصر. إذ يرى «فولر» Fuller أن معرفة الإنسان كانت تتضاعف كل قرن من الزمن حتى عام ١٩٠٠م،

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥م كانت تتضاعف كل ٢٥ سنة، والآن تتضاعف كل ١٣ شهر، ومن المتوقع أن تتضاعف كل ١٢ ساعة في المستقبل القريب (Knowledge Doubling). هذا الكم الكبير من المعارف والعلوم يظهر في الأصل بلغات أخرى (في مقدمتها الإنجليزية) وفي الغالب لا يصل إلى العربية إلا متأخرا. لهذا يولي المعنيون بالتعليم وبعض أولياء أمور الطلاب وأيضا الأفراد تعلّم الإنجليزية أهمية كبيرة؛ إذ إن هذه الفئة ترى أنه بدون تعلم لغة أجنبية (غالبا ما تكون الإنجليزية) فإن الفرد سيكون في عزلة عن التطور القائم في العالم. ويتوقع أن تصبح الحاجة أشد في المستقبل.

بسبب هذا الإقبال الكبير على تعلم اللغات الأجنبية ظهر تخوف على العربية ومستقبلها وعلاقتها بالعلوم. والواقع أن تعلم لغة أجنبية لا يضر بالعربية، فقد أثبتت الدراسات أن تعلم لغة أجنبية يثري اللغة الأولى ولا يضر بها. وهنا فرق لا بد من ملاحظته بين تعلم اللغة للنفاذ إلى المعرفة وتعلم المعرفة باللغة. بمعنى، أنه يمكن تعليم الطفل أكثر من لغة أجنبية لكن يكتسب المعرفة بلغته الأصلية native language بسبب أن تعليم العلوم بلغة غير لغة المجتمع يؤدي إلى ضعف الطلاب في المواد الدراسية. فقد أدى تعليم العلوم الطبيعية بالإنجليزية والفرنسية في دولة عربية كلبنان إلى ضعف الطلاب في العلوم الطبيعية. وكذلك بالنسبة للإنجليزية والملايوية في ماليزيا حيث يشكل تعلم العلوم بالإنجليزية في المدارس والحديث بلغة مختلفة في المنزل عائقا أمام اكتساب العلوم (Chiu، 2016). ورغم هذه الحقائق العلمية فقد انتشر تعليم العلوم الطبيعية باللغة الإنجليزية وتعليم المعارف الأخرى كالدين والآداب باللغات المحلية في كثير من دول العالم، وفيها بعض الدول العربية (Patra، 2016). هذه الحقائق لا تنطبق على البالغين، فمن الطبيعي ألا تشكل اللغة الأجنبية مشكلة عندهم؛ فالباحثون التايوانيون، على سبيل المثال، برعوا في النشر العلمي باللغة الإنجليزية.

وبهذا يكون التأسيس في تعلم العلوم عند الطلاب العرب باللغة العربية، ويتعلمون لغات أجنبية ليكونوا قادرين على اكتساب المزيد من المعرفة بلغات أخرى إضافة إلى العربية عند بلوغهم. تعلم لغة أجنبية لا يعني التخلي عن العربية؛ إذ نجد الألماني والسويدي والفنلندي والهولندي يتحدثون الإنجليزية بطلاقة، ولكنهم لا يشاهدون ويتابعون ويتحدثون في منازلهم إلا بلغاتهم الأصلية. وهكذا بقية شعوب الأرض.

الصينية هي لغة التعليم والتخاطب وكذلك اليابانية والكورية والإيطالية، ولكنهم إضافة إلى ذلك يتعلمون لغات أجنبية ويجيدونها ويشعرون أنهم جزء من الحضارة المعاصرة ولا بد أن يكونوا على دراية بها ولهم إسهامات فيها.

لهذا نحتاج أن نشير إلى أن نتاج الحضارة المعاصرة ليس محصورا على دولة أو أمة أو متحدثي لغة بعينها، بل هو نتاج تراكم معرفة ساهمت فيه جميع الحضارات من الفرعونية والسومرية والفينيقية والصينية والإسلامية العربية والأوربية. فالإنجازات المعاصرة مصدر فخر لكل إنسان لمساهمة الجميع فيها، ولا تستطيع دولة أو عرق أو جنس الادعاء بأن ما أنجزوه من علوم هو منهم وحدهم. فالباحثون والمخترعون والمطورون في المراكز البحثية العالمية والجامعات والشركات العملاقة أصولهم متعددة وقد قدم كثير منهم من دول وبيئات مختلفة. ولم تكن لغات هؤلاء الرواد في العلم والبحث الأصلية لغة إنجليزية أو فرنسية -على سبيل المثال- فقط، بل إن الكثير منهم لغاتهم غير ذلك كالعربية والصينية والهندية وغيرها.

اللغة العربية تملك الأدوات وعندها القدرة على مواكبة التطور العلمي المعاصر رغم سرعته وكثافته. فهي ليست حديثة عهد بالحضارة، إذ سبق لها أن استوعبت الحضارات القديمة: اليونانية والإغريقية والفارسية والهندية والصينية وأضافت عليها وزادتها ثراءً لتنقلها وتسلمها للحضارة المعاصرة.

محطات في حياة العربية

اللغة العربية من اللغات القلائل اللاتي حافظت على وجودها لأكثر من ستة عشر قرنا. فبقيت مكوناتها الصوتية والمعجمية والنحوية والصرفية متماسكة عبر هذا التاريخ الطويل وما مرت به من تقلبات لازمت أحوال متحدثيها. فمتحدث العربية الآن يستطيع أن يقرأ ويفهم مخطوطة كتبت في القرون الأولى من تاريخ العربية وهذا يندر وجوده لغيرها من اللغات. وعند المرور على تاريخ العربية نجد محطات مؤثرة مرت بها إما محفزة لها أو مهددة لبقائها.



هناك ست محطات في عمر العربية يبدو أنها من أبرز ما مرت به. المحطة الأولى، هي ظهور العربية لغةً، ويقدر ذلك بقرنين قبل البعثة المحمدية (القرن الخامس الميلادي) حيث كانت بداية تاريخ حافل للغة خلدها أهلها وخلدتهم. اتسم هذا العصر بالإعجاز في البلاغة والأدب والحكمة نقلها إلينا ما نظم من شعر في الغالب وقليل من النثر:

لا يحمـلُ الحقـدَ مَن تعـلو به الرُّتَبُ ... ولا ينـالُ العلى من طبعُـه الغـضبُ[١]

كانت هذه المرحلة مهمة لتكوين متحدثين بالعربية قادرين على استيعاب ما سيرد في المرحلة التالية من نصوص تحمل ذروة البلاغة والإعجاز.

المحطة الثانية، ظهور البعثة المحمدية في بداية القرن السابع الميلادي. اتسمت هذه المرحلة بما يمكن أن تسمى مرحلة بداية خلود العربية، فبنزول القرآن الكريم جعل اللغة العربية باقية بوصفها لغةَ مجتمع ولغة عبادة؛ لتكفل الله بحفظ كتابه إلى أن تقوم الساعة بلغته العربية، أما اللغات الأخرى فتموت وتنشأ لغات تحل محلها ليستخدمها متحدثوها في التواصل بينهم.

المحطة الثالثة، هي مرحلة التدوين وهي المرحلة التي دونت فيها علوم العربية[٢]. والذي يهمنا هنا الشرح الوصفي للغة العربية، ويشمل ذلك النحو والصرف والصوتيات والفونولوجيا والدلالة. وقد وضع في هذه المرحلة أول معجم شامل للغة العربية في كتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي حوى مداخل المفردات مبوبة ومصنفة بتصاريفها وشروحاتها وشواهدها. وكانت هذه المرحلة مهمة ليس لأنها وصفت مكونات اللغة العربية وأصّلتها فحسب، بل لأنها أيضا مهدت للبحث في مختلف العلوم ولترجمة الكتب من اللغات الأخرى إلى العربية.

كانت المحطة الرابعة مرحلة إبداع العرب في شتى فنون المعرفة والعلوم حيث ظهر الفارابي وابن سينا والكندي وغيرهم فأسسوا للتأليف والبحث والترجمة في مختلف العلوم وازدهرت العلوم ومعها اللغة العربية حتى القرن الثالث عشر، ظهر خلالها علماء بارعون كابن النفيس والإدريسي والبيروني وابن حيان والجزري. ونقلت علومهم

١- عنترة، ديوانه، مطبعة الآداب، بيروت، ط٤، ١٨٩٣م، ص١١.

٢- يقصد بالتدوين هنا تدوين علوم اللغة العربية وليس ما قصده محمد الجابري (٢٠٠٦م) في كتابه "تكوين العقل العربي" بتدوين علوم الدين من حديث وتفسير وغيرهما.

سرا إلى أوربا خوفا من ردة فعل الكنيسة على العلم من جهة وعلى كونه من المسلمين من جهة أخرى؛ لتزدهر حضارة جديدة وتخبو أخرى. لم يتأثر العرب من تلاشي حضارتهم وحدهم فحسب، ولكن أيضا تضررت لغتهم فندر التأليف واستخدام العربية وسيطاً لاكتساب العلم، لتحل محل العربية في حينها اللغات الأوربية، لغات الحضارة الجديدة.

المحطة الخامسة هي مرحلة ظهور الطباعة في القرن الخامس عشر الميلادي ولكن لم تبدأ الطباعة بالحرف العربي إلا في القرن السادس عشر بسبب منع الطباعة خوفا على النصوص الدينة من التحريف (تاريخ الطباعة). تعدّ هذه المرحلة مهمة في حياة جميع اللغات بما فيها العربية؛ وذلك لأنها نشرت الكتب بين الناس وسهلت التأليف والنشر فبعد أن كانت تُخط الكتب باليد بأعداد محدودة أصبحت تطبع آليّاً بأعداد كبيرة. فيسرت على العربي تعلم القراءة والكتابة، وسهلت عليه الوصول إلى المؤلفات وقراءتها واقتنائها. إلا أن التوجس من كل ما يصدر من الغرب لأسباب تتعلق بحالة العداء أنذاك بين الدولة العثمانية التي كانت تحكم معظم الدول العربية وكثير من الدول الأوروبية، بقي التركيز في النشر والطباعة على النصوص الدينية والأدبية (ما اعتاد عليه العربي ويثق فيه)، وندر النشر عن العلوم المعاصرة في تلك الفترة كالكيمياء والفيزياء والأحياء والهندسة والطب، وهذا مما أضر بالعربية من حيث توافر المصطلحات العلمية على الأقل. وظهرت في القرون التالية محاولات لتعليم الطب والهندسة والمعارف الأخرى باللغة العربية وتطلب هذا ترجمة كتب حديثة في مجالات هذه العلوم. ولكن هذه المحاولات لم تكن مستمرة ومتنامية، فقد كانت تزدهر في بلد ثم تتوقف لتزدهر في بلد آخر وتتوقف، وهكذا (مصر وسوريا، مثالين). ولعل أخطر تهديد واجه العربية في هذه الفترة هو محاولة تغيير نظامها الكتابي من الحرف العربي إلى اللاتيني بحجة تسهيل الطباعة وأن الحرف العربي لا يمكن الطباعة به، وهذا ما حدث للغات أخرى كاللغة التركية التي كانت تكتب بالحرف العربي ثم حولت إلى الحرف اللاتيني في بداية القرن العشرين.

المحطة السادسة، مرحلة الحاسب والأجهزة الذكية، هذه المرحلة مهمة وهي بداية خروج اللغة العربية من عزلتها؛ وذلك لأنها مكنت لجميع متحدثيها التأليف والنشر والترجمة والنفاذ إلى مصادر المعرفة والتأثير فيها وإكسابها ثراء. وبهذا لم يعد اكتساب العلم وتنميته حصرا على النخب، بل أصبح مشاعا لجميع الناس، ويمكن لكل فرد

المساهمة فيه والاستفادة منه. وهكذا كانت «ويكيبيديا» Wikipedia، على سبيل المثال، منصة للجميع للنشر في كافة أنواع المعارف، كما أنها حق مشاع لهم للاستفادة من محتواها بكافة اللغات. ويبدو لي أن هذه المحطة معززة لحضور العربية وسيكون أثرها كبيرا في انتشار العربية وتعزيز مكانتها. هنا يمكن للعربي الحصول على المعرفة من اللغات الأخرى باستخدام محركات الترجمة التي تتطور ويتحسن أداؤها يوما بعد يوم. ولم تعد اللغة حاجزا بين الإنسان والعلوم والمعارف المنشورة بلغات أخرى رغم أن هذه التقنيات لا تزال تحتاج إلى مزيد من البحث والتطوير ولكنها تسير في اتجاه التحسن المستمر. بل طُورت أجهزة للترجمة الفورية بين اللغات، حتى تمكن الإنسان من التحدث مع آخرين بلغات مختلفة بوساطة المترجم الآلي. صحيح، أنها في بداياتها لكن التطور المتنامي لتقنياتها سيرفع من كفاءتها. وليس من المستبعد أن تختفي الحاجة في المستقبل إلى تعلم لغات أجنبية، أو يكون في حدود ضيقة، ذلك أن أجهزة وأنظمة برمجية من هذا النوع ستمكن المتحدث من التواصل مع الآخرين مباشرة عبر الصوت أو عبر النصوص المكتوبة رغم اختلاف لغاتهم.

سمات العربية: ميزة لها أم عليها؟

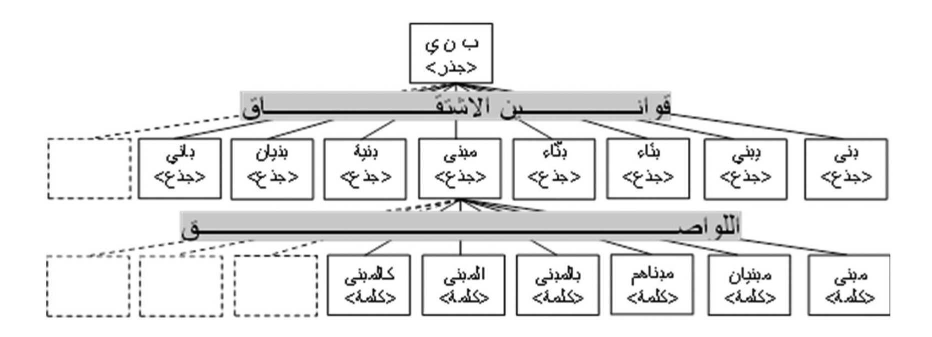
لأي لغة بشرية عدد من المكونات أهمها: النظام الصوتي، النظام الصرفي، النظام النحوي، المعجم. هذه المكونات تتأسس لا إراديا في فترة الطفولة المبكرة. بمعنى، أن الطفل لا يكون على دراية وهو يتعلم التعرف على الأصوات مثل: / ص/ ، / ط/ ، / ظ/ وينطقها أنها مطبقة، لا بد أن يرفع مؤخر اللسان أثناء النطق ليفرق بينها وبين / س/ ، / ت/ ، / ذ/ ، على التوالي. فيدرك أن «تين» و«طين» كلمتان مختلفتان. كما أنه لا يكون مدركا لقواعد التأنيث والتذكير للأسماء؛ فالباب والبيت والقلم مذكرة، أما النافذة والورقة والسيارة فمؤنثة. ومن ثم لا يقول: «السيارة أحمر» ولكن يقول: «السيارة حمراء». هذه التفاصيل والأسس في اللغة تتكون في سن مبكرة عند الأطفال في الغالب لا تتجاوز سن السابعة، بعد أن مرت بالعديد من محاولات الصح والخطأ. هذه المكونات يتعلمها الطفل تلقائيا ولا يحتاج إلى فصل دراسي أو مدرس يلقنه إياها، بل يتعلمها من تلقاء نفسه كما يتعلم المشي. وفيما يلي عرض لمكونات العربية و علاقتها باستخدام اللغة في التواصل العلمي.

النظام الصوتي: للغة العربية المعاصرة ٢٨ صامتا وثلاثة صوائت. هذه الصوامت والصوائت المفردة لها نظائرها المشددة أو الطويلة. يستخدم الجهاز الصوتي هواء الزفير عند إخراجها جميعا. هناك لغات تستخدم مصادر أخرى للطاقة كالحنجرة واللسان. الأصوات العربية أغلبها شائع في اللغات الأخرى سوى الأصوات المطبقة والحلقية قليلة الانتشار. وهذا ليس بغريب حيث نجد لغات فيها أصوات أقل شيوعا. فالسويدية على سبيل المثال فيها ١٧ صائت. هذا العدد الكبير من الصوائت يتطلب تحكّما أكبر في وضع اللسان لتخرج من مكانها الصحيح ولا يكون بينها لبس. ما يهمنا هنا هو أن النظام الصوتي العربي لا يشكل عائقا أمام اكتساب المعرفة أو استخدامه للتعبير عن العلوم والحقائق العلمية. فالنظام الصوتي العربي بما فيه من صوائت وصوامت وقواعد فونوتكتيكية phonotactic rules لا يخرج عن النسق العالمي للغات البشرية، ففيه أصوات قد توسم بالصعوبة في النطق، ولكن لا يقتصر ذلك على العربية ففي كل لغة تقريبا سمات يجد متحدثو اللغات الأخرى صعوبة في نطقها.

النظام الصرفي: تضبط قوانين النظام الصرفي آلية تشكل الكلمات في اللغات البشرية. فهي التي تحدد أن الجمع في الإنجليزية هو إضافة s للكلمة book لتكون books جمع "كتاب"، وهي أيضا التي تحدد أن جمع «معلم» في العربية هو بإضافة «ون» لتكون «معلمون». هذه القوانين تختلف من لغة إلى أخرى ولكنها في نهاية المطاف تلبي حاجة تلك اللغة لتكون وسيلة قادرة على التعبير عن مراد متحدثيها.

مما تتسم به العربية قوانين الاشتقاق في نظامها الصرفي، إذ يقدر عدد الجذور roots في العربية بعشرة آلاف جذر (Al-Salman، et al، 2006) تشتق منها جذوع stems الكلمات العربية وفقا لقوانين محددة وثابتة. قوانين الاشتقاق محددة في صفتها وتطبيقها، فالوزن (فاعل) ينطبق على الجذور ثلاثية الحروف ليولد منها من يقوم بعمل المعنى العميق الموجود في الجذر: سابق، كاتب، عالم، قارئ، للجذور سبق، كتب، علم، وهكذا ... الاشتقاق في العربية يحقق قاعدة مهمة في الحوسبة وبناء قواعد البيانات وهي تقليل حجم الذاكرة وزيادة القوانين التوليدية من أجل الثراء والتنوع في المخرجات دون إرهاق الذاكرة بكم كبير من البيانات. فمثلا لو كان عدد الجذور ستين والقانون واحد لكانت المخرجات ستين (٦٠ جذرا × ١ قانون=٦٠ جذعا)، هنا نحفظ في الذاكرة ٦١ عنصرا (٦٠ جذرا + ١ قانون). أما لو كان عدد الجذور عشرة والقوانين ستة فإن عدد

المخرجات سيكون ستين (١٠ جذور × ٦ قوانين = ٦٠ جذعا)، في هذه الحالة لا يحفظ في الذاكرة إلا ١٦ عنصرا (١٠ جذور + ٦ قوانين)، لكن النتيجة ستون، وهذا ما يحدث في اللغة العربية، ولهذا فإن العربية لغة رياضية وحاسوبية في بنيتها الأساس.



الشكل ١ . لمفردات اللغة العربية ثلاثة مستويات: مستوى الجذر، يليه الجذع، فالكلمة.

يوضح الشكل (١) مستويات المفردات العربية الثلاثة. وكيف أن الكلمات المنثورة في هذه الكتاب لها مستوى أعلى منها وهو الجذع حيث نجرد الكلمة من اللواصق كالضمائر والحروف وأل التعريف، وأن للجذع مستوى أعلى منه وهو الجذر. يتولد من الجذر جذوع لها معانٍ مختلفة إلا أنها مرتبطة بالمعنى العميق للجذر. لكننا نجد في لغات أخرى عديدة كاللغات الأوربية أن للكلمات مستويين فقط: الجذع ثم الكلمة. حيث تتولد من الجذع الكلمات باستخدام اللواصق، ولكن اللواصق هنا تعطي أثرا شبيها بذلك المتولد عن قوانين الاشتقاق في العربية، على سبيل المثال:

يبني = build، مبنى = build-ing، بنّاء = build-er.

هنا اللواصق لها أثر شبيه بذلك الناتج عن قوانين الاشتقاق في العربية إلا أنها مجرد لواصق - مقاطع morphemes تضاف إلى بداية الكلمة أو نهايتها. أما اللواصق في العربية فإنها تضيف صفة للجذع: «ال-مبنى» تعريف للمبنى، «مبنا-هم» تحديد مالكي المبنى، «ك-ال-مبنى» تشبيه لمبنى محدد ... اللواصق في اللغات الأوربية كثيرة ويمكن توظيفها لتوليد كلمات جديدة، فالبادئة tele- تعني "بعيد»، وتستخدم مع مقاطع أخرى لتولد كلمات جديدة، مثل: هاتف telephone، رائي "تليفزيون" television، مقراب "تليسكوب" telescope، توارد خواطر telepa-thy، تطبيب عن بعد telemedicine.

الحقيقة أن للنظام الصرفي العربي ميزة لا تتوافر في كثير من اللغات الأخرى وهي قوانين الاشتقاق. هذه القوانين تسهل توليد مفردات جديدة من جذور قائمة ووفقا لقوانين اشتقاق قائمة أيضا، فلا يشكل هذا عبئا على ذاكرة الإنسان. فعلى سبيل المثال عند دخول آلات جديدة على العربي وأصبحت هناك حاجة لتسميتها فقد أوجد لها أسماء وفقا لمكونات موجودة مسبقا في اللغة وشاع استخدامها؛ كلمات مثل: «طيارة» من «طار»، «سيارة» من «سار»، «حراثة» من «حرث»، «حصادة» من «حصد»، وهي على وزن (فعالة).

يعتبر Bryson (٢٠٠٨) أن كثرة الإضافات للجذع معقد لاستخدام اللغة وتعلمها، ويضرب أمثلة منها اللغة الإنجليزية مثالا على اللغة البسيطة واللغة الفنلندية مثالا على اللغة المعقدة. فالفعل المضارع في الإنجليزية له شكلان فقط كما في الفعل ride "يركب": ride يستخدم مع جمع الضمائر عدا المفرد الغائب و rides يستخدم مع المفرد الغائب، أما في العربية فنجد نفس الفعل له ١٢ شكلا: يركب، يركبان، يركبون، تركب، تركبان، يركبن، أركب، نركب، تركبين، تركبان، تركبون، تركبن. هنا الإضافات للدلالة على الجنس والمستهدف والعدد.

المستهدف	الجنس	المفرد	المثنى	الجمع
المتحدث	مذكر	أركب	نركب	نركب
	مؤنث	أركب	نركب	نركب
المخاطب	مذكر	تركب	تركبان	تركبون
	مؤنث	تركبين	تركبان	تركبن
الغائب	مذكر	يركب	يركبان	يركبون
	مؤنث	تركب	تركبان	يركبن

ما قد يغيب عن الذهن أن الكلمات السابقة تحمل معها ضمير الفاعل. فعند قول: «أركب السيارة إلى العمل»، فالفاعل هنا هو المتحدث، ولا نحتاج أن نقول: «أنا أركب السيارة إلى العمل» كما يفعل البعض الآن. أيضا، هذه الكلمات تحمل دلالات تثرّي

المعنى وتوضحه. فعند قول: «يركبن السيارة إلى الجامعة»، فإن المتحدث هنا يحدد جنس الفاعلات (بأنهن إناث) وعددهن (أكثر من اثنتين).

وكذلك الأسماء والصفات. الصفات في الإنجليزية لها شكل واحد فقط كما في fast "سريع" حيث تستخدم نفسها مع جميع الضمائر. في العربية الصفة نفسها لها أكثر من شكل حسب الموصوف من حيث الجنس والعدد والحالة:

الحالة	الجنس/ العدد	المفرد	المثنى	الجمع
نكرة	مذكر	سريع	سريعان	سريعون
	مؤنث	سريعة	سريعتان	سريعات
معرفة	مذكر	السريع	السريعان	السريعون
	مؤنث	السريعة	السريعتان	السريعات

قد يبدو أن هناك تكرارا لا ضرورة له. فما فائدة إثقال الصفة بهذه الإضافات رغم أنها موجودة في الاسم الموصوف، كما في: «السيارتان السريعتان ...»، فالعدد والجنس والتعريف مكررة هنا، فلماذا لا تكون العبارة هكذا: «السيارتان سريع ...»؟ هذا ما يعرف بالتوافق concordance في اللغة؛ حيث تتوافق المفردات في بنياتها مع بعضها، وهو معروف وشائع في اللغات. يوجد بكثرة في بعض اللغات كما في العربية، ويقل في أخرى كما في اليابانية التي ليس فيها جمع، فجميع الأسماء مفردة وليس فيها أداة للتعريف أو التنكير. وله وظيفة مهمة في توضيح المعنى وتأكيده مما يزيل اللبس عند المتلقي.

النظام النحوي: تتكون الجملة العربية كما في معظم اللغات من: فعل + فاعل + مفعول (يكتب المعلم الدرس)، ويمكن أن تلحق ما يعرف بالجملة الاسمية بهذه القاعدة. الجملة العربية تحمل المكونات الكافية لإعطاء وصف دقيق لأي أمر، ومن ذلك التعبير عن الأزمنة، والشرط وجوابه، والسببية والنتيجة. كما أن النظام النحوي يشمل الجملة وشبه الجملة والمكونات اللازمة من المفردات كحروف الجر وأدوات الزمن والشرط والتشبيه، فتصبح قادرة على الوصف الدقيق والتعبير المختصر للظواهر العلمية والتطبيقات التقنية.

المعجم: هنا تثار الشبهات بأن العربية عاجزة عن استيعاب مستجدات العلوم والتقنيات المعاصرة فمفرداتها لا تسعفها. والحقيقة أن جميع اللغات تستعير من بعضها، بل إن ٨٠٪ من مفردات اللغة الإنجليزية مستعارة من لغات أخرى (Leitner، el at. 2016). اللغة العربية ليست استثناء، وقد استعارت عددا من المفردات من القِدم إلى الآن كما أنها أعارت عددا من مفرداتها للغات أخرى. ولأن هذا الموضوع يحتاج إلى إلقاء الضوء عليه فقد أُفرِدَ له عنوان في هذا المبحث.

النظام الكتابي: إذا كانت المكونات السابقة تكتسب لا إراديا فإن هناك مهارة لها علاقة باللغة وتهمنا في هذا الفصل، وهي الكتابة. الكتابة لا يكتسبها الإنسان تلقائيا وإنما يتعلمها في المدرسة أو عن طريق معلم. الكتابة من أعظم إنجازات الإنسان فبها حفظ إرثه الثقافي والعلمي واستطاع بها أن يراكم خبراته ومعارفه لتصل إلى الحضارة المعاصرة. ويهمنا النظام الكتابي هنا لأن المعلومات به تحفظ وبه تستعاد. فهل يشكل نظام الكتابة العربي عائقا أمام اكتساب المعرفة؟ لكل لغة تقريبا رموزها الكتابية الخاصة بها. وتكتب اللغات بطرق مختلفة. فبعضها لها رموز محدودة لا تتجاوز العشرات كالعربية والإنجليزية، والآخر له عدد أكبر كما في الصينية التي لها ٥٠ ألف رسم للكتابة، حيث لكل كلمة رسم خاص بها بدون مكونات أصغر كما في الكتابة العربية على سبيل المثال حيث الكلمة مكونة من حروف (Bryson، 2008). وتشابه الصينية اللغات الشرقية الأخرى كاليابانية والكورية. ونظرا إلى عدد الرموز الكبير في هذه اللغات فقد شكلت عائقا أمام استخدام تقنيات جديدة كالآلة الكاتبة، وصعوبة في الاستخدام على لوحة المفاتيح. ولكنها لم تكن عائقا أمام تقدم الدول التي تستخدمها، بل أصبحت من أنجح الدول في التقدم العلمي والنمو الاقتصادي. ولم تتخلَّ عن استخدامها لسبب مهم وهو أن اللغة تمثل هوية الأمة، والهوية تشمل نظامها الكتابي الذي حفظ تاريخها وثقافتها وعلومها، وبهذا النظام يمكن العودة دوما إلى ما كتب به عبر آلاف السنين.

النظام الكتابي العربي تطور عبر التاريخ من أصل يعود إلى الخط الفينيقي الذي منه أيضا تطورت خطوط اللغات الأوربية المعاصرة (الغامدي، ١٤٣٦هـ). ما يميز النظام الكتابي للغة العربية أنه صوتي، أي لكل حرف يكتب بالعربية دلالة صوتية وهذا قلما نجده في اللغات الأخرى فكثير منها العلاقة بين الكتابة والصوت ليست دائما واحد لواحد كما هي الحال في العربية. هذا خلاف لغة كالإنجليزية التي ليس لها نظام

صوتي-كتابي ثابت، ولهذا يوجد في كل قاموس إنجليزي رسم صوتي للكلمات غير حروف كتابتها ليعلم الباحث عن الكلمة كيف تنطق، هذا غير موجود في العربية. فعلى سبيل المثال: الصوت / ف/ يكتب في الإنجليزية إما «f» كما في after، أو «ph» كما في pharmacy، أو «gh» كما في lough. وهذا ليس ثابتا، فيمكن للحرفين «gh» ألا ينطقا -يكتبان ولكن لا ينطقان- كما في through. وقد كانت هناك محاولات لإعادة كتابة كلمات اللغة الإنجليزية لتكون صوتية، ولكنها فشلت بسبب ما قد يؤدي إلى ضياع إرث متحدثيها بعدم الربط بين الحاضر والماضي نظرا إلى اختلاف الكتابة.

للعربية ٣٦ حرفا للكتابة، إضافة إلى ثماني علامات للتشكيل. ولأغلب الحروف أكثر من شكل في الكتابة حسب موضعه من الكلمة والحروف المرتبطة به. فحرف «ع»، على سبيل المثال، يكتب «عـ» في بداية الكلمة وبعد حروف مثل «أ، ر، ذ، ...»، ويكتب «ـعـ» في وسط الكلمة إذا كانت الحروف المحيطة به قابلة للالتصاق به، ويكتب «ـع» في آخر الكلمة إذا كان ملتصقاً بالحرف قبله. وقد ساعدت التقنية المعاصرة في كتابة النصوص العربية بوضع شكل الحرف المناسب في مكانه المناسب من الكلمة دون تدخل الكاتب. يندر استخدام علامات التشكيل إلا في حالة إزالة اللبس عن الكلمة. وللمقارنة فإننا نجد في الإنجليزية ٢٦ حرفا تكتب في الغالب متفرقة، ولكل منها شكلان صغير وكبير (G g).

الخط العربي ميزة للغة العربية، لا عبء عليها. فعدد رموزه محدود وهو تمثيل دقيق للمنطوق. ولا يجد القارئ العربي المعاصر صعوبة كبيرة في قراءة نصوص كتبت قبل مئات السنين، بل حتى قبل إضافة النقاط إلى الحروف. فالسياق وشكل الكلمات يساعدان على اكتشاف الكلمة المقصودة من الرسم. كما يمكن به كتابة كلمات أجنبية كأسماء الأعلام وهذا عكس لغات أخرى كاليابانية التي تطلب الأمر استحداث رموز جديدة لكتابة الكلمات الأجنبية. ولم تنجح محاولات كتابة العربية بالحروف اللاتينية من وقت لآخر مع ظهور تقنيات جديدة. فقد قيل عندما بدأت ثورة الطباعة في القرن الخامس عشر: إنه لا يمكن طباعة الحروف العربية لتغير أشكالها في الكلمة بخلاف الحروف اللاتينية، وصمدت العربية وتكونت مفاتيح لكل شكل من أشكال الحروف العربية طبعت به الكتب والصحف. وعند ظهور التقنية الرقمية في بداية هذا القرن ظهر «عرب إيزي» ليكون بديلا عن الحرف العربي واستخدم فترة من الزمن ثم تلاشى؛ لأن التقنية نفسها حلت المشكلة ومكنت العرب من استخدام الحروف العربية.

٧. المفردات: تتنقل بحرية بين اللغات

مكونات اللغة الأساسية عصية على التغيير ولا تتغير بسهولة في وقت قصير. مفردات المعاجم هي الوحيدة التي تجد الطريق أمامها مفتوحا لتتنقل بحرية من لغة إلى أخرى. ولهذا أسباب، لعل من أبرزها انتقال أسماء الأعلام، فعند التحدث عن شخصية أو مكان بارز في الأخبار لم تعرفه اللغة من قبل فإنها تستخدمه وتدخله في معجمها. هكذا الحال عندما انتُخب الرئيس الأمريكي الخامس والأربعون «دونالد ترامب» ودخل الاسم إلى كثير من اللغات وربما لا يكون «ترامب» موجودا فيها من قبل. ورغم أن لهذا الاسم Trump[1] معنى في اللغة الإنجليزية فإنه لم يترجم ولكنه نقل كما هو إلى لغات شتى بما فيها العربية مع تطبيق القوانين الصوتية عليه، فغُير الصائت والصامت الأخير. هذا الباب مشرع لدخول مفردات جديدة. فالأشياء الجديدة والشخصيات أيضا تدخل حياة الناس ومعها أسماؤها.

ليس هناك لغة يمكن لمتحدثيها الزعم بأنها خالية من كلمات ذات أصول أجنبية. فاللغة الإنجليزية الشائعة الاستخدام في هذا العصر على سبيل المثال ٨٠٪ من كلماتها مستعارة من لغات أخرى منها العربية (Leitner، el at. 2016)، وهذا يجعلها من أكثر اللغات استعارة؛ إذ نجد حضورا في معجمها لمفردات من لغات شتى كاللاتينية والفرنسية والألمانية واليابانية والهندية وغيرها.

في المعجم الياباني من اللغة الإنجليزية وحدها ٢٠ ألف كلمة، وهي كلمات في الغالب لمنتجات لم يعهدها اليابانيون ككلمة مصعد باليابانية erebeta بالإنجليزية elevator (Bryson، 2008). ومن أكثر اللغات مقاومة للمفردات الأجنبية اللغة الفرنسية حتى إن الرئيس الفرنسي «فرانسوا ميترا» عَدَّ الفرنسية في حرب مع اللغة الإنجليزية. وقد استحدثت في فرنسا عدد من اللجان والإجراءات لمنع دخول كلمات أجنبية إلى الفرنسية، فبقيت الفرنسية من أقل اللغات تأثرا بالإنجليزية، ولو أن بعض الكلمات الإنجليزية وجدت طريقها إليها. هذا «الانغلاق» قد حد من دخول مفردات أجنبية إلى الفرنسية، لكن الغريب أنه قد يكون السبب أيضا في الحد من دخول مفردات فرنسية إلى لغات أخرى.

١- يعني: ورقة رابحة.

يعمد المتحدثون إلى استعارة مفردات جديدة عندما لا يجدون للدلالات المرتبطة بها مفردات في معجمهم. وقد بدأت الإنجليزية في الاستعارة من العربية منذ القرن الرابع الميلادي إلى الآن بتفاوت في عدد الكلمات ومجالاتها (Oxford Dictionaries). وتدل الكلمات المستعارة على وضع ومكانة اللغة الـمُعِيْرة؛ فالكلمات التالية استعيرت من العربية عندما كان للعربية حضور علمي وحضاري قبل القرن السابع عشر الميلادي: alcove "كُوة (تجويف في الجدار)"، algebra "الجبر"، zenith "ذروة (قمة)"، algo-rithm "خوارزميات"، almanac"تقويم (روزنامة)"، azimuth"زاوية السمت"، alchemy "الكيمياء"، admiral "أمير البحر"، amber "عنبر"، cipher "شفرة (للترميز)"، orange "برتقال"، saffron "زعفران"، sugar «سكر»، zero "صفر"، coffee "قهوة" (Kemmer، 2016). وهذه كلمات استعارتها الإنجليزية من العربية بعد القرن السابع عشر الميلادي:bedouin «بدو»، emir "أمير"، jakir "شاكر"، ga-zelle "غزال" giraffe "زرافة"، harem «حريم»، hashish "حشيش"، lute "عود آلة العزف)"، minaret "مئذنة"، mosque، «مسجد»، myrrh "شجرة المر"، sa-laam "سلام"، sirocco "رياح الخماسين"، sultan "سلطان"، vizier "وزير"، ba-zaar "بازار"، caravan "قافلة"، haboob «هبوب (عاصفة رملية)».

وتبين المفردات المستعارة من العربية للإنجليزية عن تقدم العرب في العلوم والثقافة والحضارة، هذا لا نجده في المفردات المستعارة من بعض اللغات الأخرى كالعبرية على سبيل المثال، حيث الكلمات المستعارة منها كلمات دينية مثل: Sabbath "يوم السبت"، kosher «طعام حلال لليهود»، hallelujah "شكرا لله"، amen "آمين" (Foreign Language Influences in English).

وكما أن لمفردات اللغة العربية حضورا في معاجم اللغات الأخرى، فإن هناك مفردات من لغات أجنبية وصلت إلى معجم العربية (على الأقل المعجم الذهني) وشاع استخدامها وأغلبها له علاقة بمنتجات صناعية أو تقنية لم يعهدها العرب مثل: مصعد «أسانسير» من الفرنسية ascenseur، حقيبة "شنطة" من التركية çanta، صور متحركة «فِلم» من الإنجليزية film، مغطس "بانيو" من الإيطالية bagno. لهذا؛ فإن تأثير المنتجات على لغة المستخدم جارف ومن الصعب مقاومته، فهي عندما تدخل إلى حياته فإنها تجلب معها مفردات اللغة المنتجة، ولا تجلب اسم المنتج فقط، ولكن

إضافة إلى ذلك تجلب المكونات الداخلية له والملحقات «الإكسسوارات»، فعلى سبيل المثال، على الرغم أن السيارة معربة في كثير من المجتمعات العربية (لا تزال تسمى في بعض المجتمعات العربية «أوتوموبيل» من automobile) فإن كثيرا من أسماء مكوناتها الداخلية الأجنبية لا تزال شائعة مثل: ضوء التوقف «إسطب»، عجلة القيادة «دريكسون»، مكبس «بستم»، مبرّد «أديتر». الاستعارة من اللغات الأخرى لم تقتصر على هذا العصر، فحتى في العصر الذهبي للحضارة العربية، اقتبست العربية عددا من الكلمات من لغات أخرى عند الترجمة إلى العربية: فعربوا من اليونانية: الإسطرلاب والمنجنيق وقيراط وأوقية والقولنج والبرقوق، ومن الفارسية الدولاب والفرسخ والصك (الغربي، ١٤٣٨هـ). هكذا هي اللغة الحية تعطي وتأخذ حسب حاجتها وحاجة أخواتها من اللغات الأخرى.

عندما تكون هناك مبادرات سريعة لأسماء المنتجات الجديدة يتقبلها الناس ويستخدمونها وتصبح جزءاً من مكونهم المعجمي. وصلتنا أجهزة النداء الآلي «البيجر» ولم تعرب في حينها ولهذا استمر الناس في استخدام هذه الكلمة. على العكس من ذلك الهاتف الجوال، فقد عرب في حينه وشاع استخدامه فكان كذلك في بلاد كالسعودية، لكنه لم يعرب في بلاد عربية أخرى وبقي باسمه «موبايل». ويعود السبب أحيانا في شيوع بعض المفردات الأجنبية إلى استخدامها من قبل الجهات المعنية بها. فكلمات مثل: «بترول»، «تلفزيون»، «بلاستيك»، تستخدمها مؤسسات عامة وخاصة وهذا مما رسخ هذه المفردات رغم وجود مرادف لها بالعربية. ولهذا نحتاج في العالم العربي إلى جهات تتابع مستجدات المفردات وتعمل على تعريبها والتنسيق لإشاعتها بين مستخدميها.

رغم أني لا أرى غضاضة في استعارة مفردات من لغات أخرى إلى العربية عندما يكون من الصعب إيجاد مرادف لها، فإن ذلك يكون في أضيق نطاق ممكن. السبب في ذلك ليس لحماية العربية من الكلمات الأجنبية (وهو مطلب)، ولكن أيضا لأن اللغة العربية لغة اشتقاق، ونجد صعوبة في الاشتقاق من كلمات مثل: «بترول» أو «بلاستيك»، كما نفعل مع كلمات عربية كـ «حديد» حيث نشتق منها: «حداد»، «حدادة». كما أنها لا تخضع لبعض القوانين النحوية ولهذا تصبح ممنوعة من الصرف خلافا للكلمات العربية.

تبقى الكلمات الأجنبية الموجودة في العربية، والمفردات العربية في اللغات الأجنبية شاهدة على حياة اللغة العربية وأن معجمها قابل لمواكبة الثراء في المفردات اللغوي

المصاحب للتطور العلمي والتقني إما بالاشتقاق من جذور غنية ومعها الأدوات اللازمة (قوانين الاشتقاق) لاستحداث كلمات جديدة أو باستعارة مفردات من لغات أخرى، وبهذا يكون المعجم العربي قادراً على تلبية حاجة مستخدميه بالمفردات التي يحتاجون لها.

اللغة والتقدم العلمي:

عند استعراض النقاط المضيئة في التاريخ البشري حيث ازدهرت الحضارات في شتى بقاع الأرض، نجد توافر متطلبات أساسية لقيام الحضارة منها الحياة المدنية التي توفر لأفراد المجتمع متطلبات الحياة من سكن وقوت وملبس، ونظام اجتماعي ينسق بين أفراد المجتمع ويحدد الواجبات والحقوق، ونظام كتابي للتدوين بلغة المجتمع. النظام الكتابي أحد ركائز الحضارات، فبه تسجل الأعمال وتحفظ للبناء عليها جيلا بعد جيل. هكذا كانت الحضارة المصرية (الفرعونية) والسومرية في العراق (٣١٠٠ق م)، والهندية (٢٥٠٠ق م)، وبحر إيجه (٢٠٠٠ق م)، والصينية (١٦٠٠ق م)، والقارة الأمريكية (١٢٠٠ق ب)، ودول البحر المتوسط كالفينيقية والإغريقية والرومانية (١٠٠٠ق م)، والعربية الإسلامية (٧٠٠٠م)، والحضارة المعاصرة (١٦٠٠م). الملاحظ في هذه الحضارات التي امتدت من الصين شرقا للمايا غربا اختلاف لغاتها وتباعدها، وهذا دليل كافٍ على أن اللغة ليس لها علاقة بالتقدم العلمي أو التكوين العقلي لمتحدثيها.

رغم أن الحضارة المعاصرة قد بدأت في الغرب وبالتحديد في أوروبا في القرن السابع عشر الميلادي، فإنها لم تعد الآن حضارة أوروبية أو حتى غربية، فقد أصبحت جميع دول العالم مشاركة فيها بمختلف ثقافاتها ولغاتها. يعمل في المراكز البحثية العالمية باحثون من مختلف الجنسيات والأعراق، وأصبحت هذه المراكز البحثية التي هي نواة التطور الصناعي والتقني فمنها تتولد الأفكار وتبدأ فكرة المنتجات، أصبحت فرق عمل تضم بين أعضائها علماء من كل مكان. كما ظهرت دول منتجة ومنافسة في العلوم والتقنية كاليابان والصين وكوريا الجنوبية، وتظهر في الأفق دول قادمة كالهند والبرازيل والمملكة العربية السعودية. وأصبحت كثير من الشركات ذات المجال الصناعي التقني شركات عالمية لها حضور في كثير من دول العالم. فالماركات التجارية اليابانية تصنع منتجاتها أو أجزاء منها في أوروبا وأمريكا والصين والهند، وكذلك بقية الماركات العالمية الأخرى.

بمعنى آخر لم يعد في الحضارة المعاصرة دولة أو تكتل دول يمكنها أن تدعي أنها مالكة للإنجازات العلمية والتقنية التي نعيشها اليوم.

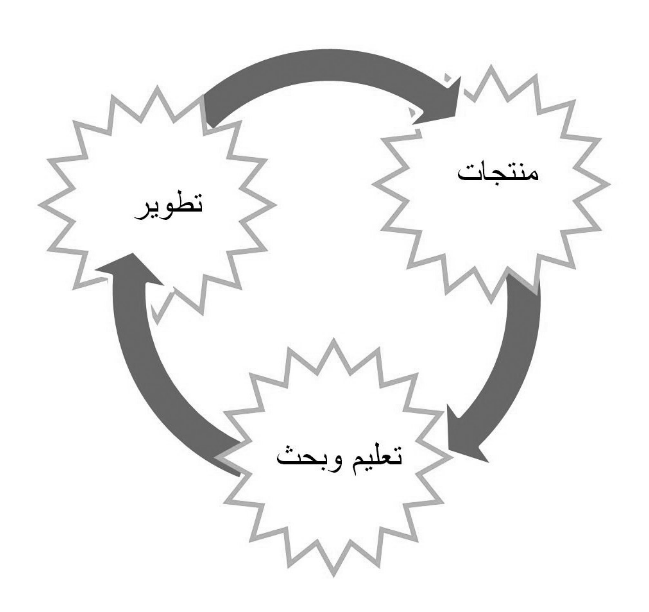
إذا كان الأمر كذلك فأين موقع اللغات من هذه الحضارة؟ رغم أن مجموعة لغات قد قامت عليها الحضارة الغربية في القرن السابع عشر كالفرنسية والإسبانية والإيطالية والألمانية والإنجليزية، فإن الإنجليزية كان لها الحظ الأوفر في المحتوى العلمي والتقني، والسبب يعود ببساطة إلى هيمنة الإمبراطورية البريطانية على مساحات شاسعة من العالم وحصة أكبر في المساهمة العلمية والتقنية بقيادة الجامعات والشركات الصناعية البريطانية والأمريكية التي تستخدم الإنجليزية في تسيير أعمالها اليومية. ومع التقارب بين شعوب العالم حيث أصبح العالم كما يقال «قرية» وحاجتهم للتواصل فيما بينهم، فقد وجدوا في الإنجليزية ضالتهم، فهي حاضرة في كثير من دول العالم بحكم وقوعها تحت الحكم البريطاني، كما أنها أصبحت ثرية بما تنتجه هذه الشعوب من مواد استهلاكية تجيّر للغة الإنجليزية. إن السبب الرئيسي لشيوع الإنجليزية هو المنتجات الاستهلاكية الحاملة لهوية اللغة الإنجليزية، هذه المنتجات قد تكون عِلما أو كتبا أو أفلاماً سينمائية أو أجهزة إلكترونية أو آلات وعربات وطائرات. فجميعها تتطلب تواصلا مع المنتجين لها، وتدريباً للفنيين الذين سيتعاملون معها ويستخدمونها، ودليلاً للاستخدام ومنشورات تعريفية. إن وصول هذه المنتجات إلى عدد كبير من المستفيدين يعني مزيدا من النمو للغة الإنجليزية. وقد شجع هذا المناخ نمو مكانة اللغة الإنجليزية وتأهّلها لتكون لغة وسيطة بين متحدثي اللغات الأخرى. فالفرنسي يتحدث إلى الإيطالي بالإنجليزية وكذلك الإسباني والصيني والياباني وغيرهم، فأصبحت اللغة الوسيطة بين اللغات البشرية المتعددة. وبدلا من أن يتعلم الفرد لغة كل مجتمع يتعامل معه يكتفي بلغة واحدة يستخدمها مع كافة الشعوب، وما دام أصبح للإنجليزية حضور في جميع دول العالم فهل سيؤثر ذلك في اللغات الأخرى؟ تُظهر الأرقام تزايدا في أعداد متحدثي اللغات البشرية حتى في البيئات التي تتحدث اللغة الإنجليزية، ففي الولايات المتحدة الأمريكية، على سبيل المثال، زاد عدد المتحدثين باللغة العربية من عام ١٩٨٠م إلى ٢٠٠٩م بنسبة ٢٨٩٪. لم تكن العربية الوحيدة التي تنامى عدد متحدثيها في أمريكا، بل أيضا زاد عدد متحدثي لغات أخرى كالفرنسية والإسبانية والروسية والألمانية والهندية وغيرها (Ortman، 2011)، وهذا يؤكد حضور اللغات البشرية في كثير من دول العالم،

وأنه لا يوجد أثر من لغات كالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية في انحسار لغات ذات قاعدة كبيرة نسبيا من المتحدثين.

عجلة الإنتاج واللغة

اللغة مرآة متحدثيها، فالمجتمع المنتج المتمكن للغته حضور ومكانة؛ لأنها تعكس وضعه. المجتمع العربي أصبح مستهلكا في العصر الحديث وكذلك هي لغته. تصل إليه آخر المنتجات التقنية أولا بأول ويستخدمها في أعماله وفي حياته اليومية، ولكنه يستخدم منتجا نهائيا كصندوق مغلق ليست لديه دراية بمكوناته أو لا يهمه التعرف عليها، ومن ثَـم لا يعرف لها أسماء، هذا بخلاف لو كان هو من ابتكرها وصنعها، عندها لا بد أن يسميها ويستخدم مفردات لمكوناتها الدقيقة؛ لأن ذلك من متطلبات العلم والإنتاج.

تتكون عجلة الإنتاج في جميع مجالات العلوم والتقنيات المعاصرة من ثلاث مكونات، وكل منها يعتمد على الآخرين: الأول، التعليم والبحث، حيث يركز التعليم في المجتمعات على ما يتميز به، فالألمان يتعلم طلابهم منذ السنوات الأولى الهندسة ومكوناتها وآلية عمل ميكانيكا الحركة والكهرباء، حتى عندما يكبر الطفل يكون قادرا على إدارة عجلة الصناعة الألمانية، وكذلك في المجتمعات التي تعيش على الزراعة وتلك التي تهمها تقنية المعلومات وغيرهما. ويكبر الطفل ويلتحق بالتعليم الجامعي ويدخل بعضهم غمار البحث في المراكز البحثية ليكون نواة للتطوير، فيقوم بإيجاد حلول لمشاكل في الصناعة، أو يضع أفكارا لمنتجات مبتكرة. الثاني، التطوير، وهو تحويل الأفكار البحثية ونتائجها إلى نماذج قابلة للتصنيع والإنتاج ليسلمها إلى مرحلة الإنتاج. الثالث، العمل على ما سبق تطويره لتكوين خط إنتاج وصناعة. هذا الإنتاج يحتاج من وقت إلى آخر إلى تحسين وتعديل؛ ولهذا ترسل المقترحات إلى مراكز البحوث للعمل على إيجاد حلول وأفكار جديدة. وفي كل مرحلة من المراحل الثلاث تستجد مفردات جديدة بسبب ما يستجد من أفكار فيها، ولظهور بعضها لأول مرة فتسمى بلغة العاملين في عجلة الإنتاج، ومنها تنتشر في المجتمع ومن ثم إلى اللغات الأخرى.



العلوم الطبيعية والمنتجات الصناعية القائمة على التقنية وبراءات الاختراع اكتسحت العالم، فلم يعد هناك مكان لم تصل إليه هذه التقنيات بداية بالاتصالات وتقنية المعلومات وانتهاء بالمعدات والآلات، حيث أظهر فيها الإنسان قدرته الإبداعية على تصنيع واكتشاف مواد جديدة لم تكن معروفة من قبل كمادة «الجرافين» graphene الأقوى مئة مرة من الفولاذ والأخف من الهواء والموصلة للكهرباء أسرع من أية مادة أخرى (Graphene). وإذا كنا قد نجحنا في تعريب كثير من العناوين العلمية والتقنية الجديدة فإن كلمات أخرى قد وجدت طريقها إلى العربية دون مقاومة. عربنا منتجات كثيرة كالسيارة والطيارة والحراثة والحصادة والجوال والإذاعة والهاتف، ولكن كلمات أخرى عديدة وجدت طريقها للعربية ولعامة الناس على وجه الخصوص كالتلفزيون، والكمبيوتر، والتليغراف، والترمومتر، والدنميت، والشاسيه، والطماطم، والفاتورة، والميكرفون. هذه جميعا مفردات لمنتجات، ولكنها من إنتاج غيرنا، ولو أنها من إنتاجنا لسميناها بمفردات عربية.

جهود تذكر فتشكر

لم تقف المؤسسات في العالم العربي متفرجة على وضع اللغة العربية ولم تقتصر أعمالها على الاحتفال في ٨١ ديسمبر من كل عام باليوم العالمي للغة العربية. فقد عمل العرب

عبر مؤسساتهم العديدة على الذود عن العربية والحفاظ عليها عبر مراكزها البحثية في الجامعات والمجامع اللغوية، ولعلنا نبرز هنا بعض من هذه الجهود وهي كثيرة:

أدركت مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية منذ تأسيسها قبل أربعين سنة أن المعجم العلمي أساس مهم للحفاظ على اللغة لتواكب التطورات العلمية، فأنشأت معجم المصطلحات العلمية «باسم» وهيأت له فريق عمل منذ ذلك الحين لتطويره ومراجعته، وجعلته متاحا للجميع على الإنترنت. وبذلت جهودا لخدمة العربية من أبرزها: مبادرة الملك عبدالله للمحتوى العربي، تعريب النظم الحاسوبية مفتوحة المصدر، تصميم الخطوط الحاسوبية العربية وتطوير النظم وتوفير قواعد البيانات والخوارزميات للباحثين والمطورين.

هناك جهود عربية لتوفير المحتوى العربي العلمي الحديث على الانترنت قامت به عدة جهات منها مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية (مصادر المدينة)، وكتاب في دقائق (كتاب في دقائق)، ومنظمة المجتمع العلمي العربي (منظمة المجتمع العلمية العربي). وتسهم هذه الجهود في توفير المعلومة للقارئ العربي بلغته.

هناك جهود لنشر العربية وتعليمها تقوم بها الجامعات ومراكز تعليم العربية، ويقوم مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية بجهود لنشر العربية ودعم تعليمها ونشر الكتب والبحوث التي تخدم العربية (KAICA)، كما يقوم المجلس الدولي لخدمة العربية بعقد مؤتمر سنوي يجمع فيه الباحثين والمهتمين بالعربية وينشر ما يقرب من ألف ورقة علمية.

هذه الجهات وغيرها تقوم بأعمال مشكورة لخدمة العربية، ويبقى العمل والإنتاج العلمي والتقني المحرك الأساس لخدمة العربية.

٨. الخاتمة

حاولنا في هذا الفصل استعراض وضع اللغة العربية وعلاقتها بما يعيشه العالم من تقدم وثورة معلوماتية ومعرفية، وما إذا كانت هناك علاقة بين اللغة وتقدم متحدثيها. الحقيقة أن جميع اللغات البشرية وفيها العربية قادرة على استيعاب العلوم والتطورات التقنية والتعلم بها.

وتبقى أمامنا مسؤولية أمام العربية، وهي أن نعمل على تثريتها بمحتوى علمي يلبي

حاجة جميع شرائح المجتمع من الطفولة إلى الكهولة. وهذا لا يتأتى إلا بالترجمة والتأليف المستمرين عن آخر التطورات العلمية وإتاحة هذا المحتوى للمستفيدين. كما أن الإنتاج العلمي والتقني مطلب مهم، فاللغة تحيا وتنشط في بيئة مليئة بالعمل والإنتاج والإبداع، وبدون هذه البيئة تظل اللغة في سكون وغياب عن الحضور حتى بين متحدثيها.

المراجع العربية

١. أبو بكر خالد سعدالله، فصل اللغة عن الدين، صحيفة الشروق، ٢٠١٦م: http://www.echoroukonline.com/ara/articles/503546.html
٢. إصدارات مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية: http://publications.kacst.edu.sa
٣. باسم يونس البديرات، الفكر اللغوي عند ابن خلدون في ضوء علم اللغة المعاصر. رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٧م.
٤. لماريخ الطباعة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: http://qurancom-plex.gov.sa/Display.asp?section=4&l=arb&f=write00009&trans=
٥. ستيفن بنكر، الغريزة اللغوية: كيف يبدع العقل اللغة. دار المريخ للنشر،٢٠٠٠م.
٦. سمر روحي الفيصل، قضايا اللغة العربية في العصر الحديث، ٢٠٠٩م: http://www.mohamedrabeea.com/books/book1_1936.pdf
٧. الصغير الغربي، الترجمة العلمية في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية وأثرها في تطور اللغة العربية. منظمة المجتمع العلمي العربي، ١٤٣٨هـ. http://www.arsco.org/detailed/3d12f639-ad3e-4a2d-909a-ed45b5165506
٨. عنترة، ديوانه، مطبعة الآداب، بيروت، ط٤، ١٨٩٣م.
٩. كتاب في دقائق:- http://www.mbrfoundation.ae/NewsPage.aspx?ID=778
١٠. المجلس الدول للغة العربية: http://www.alarabiah.org
١١. محمد طاهر الخطاط، تاريخ الخط العربي وآدابه. المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، ١٣٥٨هـ.
١٢. محمد عابد الجابري، نقد العقل العربي: تكوين العقل العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م.

١٣. محمد عبدالشافي القوصي، عبقرية اللغة العربية. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ١٤٣٧ه.
١٤. محمد مراياتي، تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية وأثره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وفي التوجه نحو الاقتصاد القائم على المعرفة. منظمة المجتمع العلمي العربي، ١٤٣٨هـ: http://www.arsco.org
١٥. مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية: https://kaica.org.sa/index.php
١٦. منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية والفونولوجيا، مكتبة التوبة، ط١، ١٤٣٦هـ.
١٧. منظمة المجتمع العلمي العربي: http://www.arsco.org

المراجع الأجنبية:

- Al-Jarf، Reima (2008) The Impact of English as an International Language (EIL) upon Arabic in Saudi Arabia. Asian EFL Journal، Vol. 10، No. 4: Conference Proceedings.
- Al-Salman، AbdulMalik، Yousef Al-Ohali، Maha AlRabiah (2006) An Arabic Semantic Parser and Meaning Analyzer، Egyptian Computer Science Journal، vol. 28، no. 3، pp. 8-29، 2006.
- Bryson، Bill (2008) Mother Tongue: The History of the English Language. Penguin Books.
- Chiu، Mei-Hung (2016) Science Education Research and Practice in Asia: Challenges and Opportunities. Springer.
- Foreign Language Influences: https://en.wikipedia.org/wiki/Foreign_language_influences_in_English
- Graphene: https://en.wikipedia.org/wiki/Graphene
- Kemmer، Suzanne (2016): http://www.ruf.rice.edu/~kemmer/

Words/loanwords.html
- Knowledge Doubling Every 12 Months، Soon to be Every 12 Hours: http://www.industrytap.com/knowledge-doubling-every-12-months-soon-to-be-every-12-hours/3950
- Leitner، Gerhard، Azirah Hashim and Hans-Georg Wolf (2016) Communicating with Asia. Cambridge University Press.
- Li-na، ZHOU (2016) Loan Words in Modern English and Their Features. David Publishing.
- Ortman، Jennifer M. (2010) Language Projections: 2010 to 2020. Annual Meetings of the American Sociological Association،Las Vegas، NV، August 20-23، 2011.
- Oxford Dictionaries: http://blog.oxforddictionaries.com/2014/03/borrowed-words
- Patra، Bairagi (2016) The Global Spread English and Its Images over World: A Linguistic Study. Global English-Oriented Research Journal. Vol. 2 Issue 1: 235-258.

تعزيز انتشار اللغة العربية في حياة المجتمع
أسماء المشروعات والمحال التجارية مثالاً

د. عبدالعزيز بن صالح العمري

تمهيد:

من نافلة القول بيان العلاقة الوطيدة بين اللغة العربية والإرث الحضاري الكبير الذي ورثناه عن الأسلاف في مختلف العلوم وارتباطهما ارتباطًا وجدانيًا في نفوس كل من تشرّب هذا الإرث؛ فاللغة هي الوعاء الذي يحمل الموروث الحضاري والثقافي والوطني؛ لذا كان الحفاظ عليها وتعزيزها من الحفاظ على المجتمع الذي حوت خصائصه ومميزاته[1].

والذي لا نشك فيه هو قدرة اللغة على مواكبة الجديد ومرونتها في إيجاد المصطلحات والأسماء من خلال عناصر قوتها وعوامل نموها، ومنها: الاشتقاق والنحت والتعريب، والكتب حافلة بالتنظير لمثل هذا الكلام الجميل، وفيها توضع الضوابط لكل عامل من

١- للاستزادة تراجع:

د. عبدالرحمن بو درع، اللغة العربية وسؤال الهوية في سياق تحقيق التنمية: نحو منهج لابتعاث اللغة من مصادرها، ضمن مؤلف لمجموعة من المؤلفين : اللغة والهوية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ص٧٩ – ١٢٦.

د. عبدالسلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، الفصل السادس عشر: اللغة والهوية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤هـ، ص٢٥٧-٢٨١.

د. عبدالله البريدي، اللغة هوية ناطقة، منظور جديد يمزج اللغة بالهوية والحياة، المجلة العربية، ١٤٣٤هـ.

عوامل القوة، ولم يألُ المتخصصون جهدًا في إيجاد التأصيل العلمي والتنظير المحكم لانطلاق ألفاظ اللغة العربية في فضاء المجتمع الذي تتنازعه الأهواء والشبهات في قدرة اللغة على المواكبة[1].

ولكن الإشكال الكبير يكمن في أن المجتمع المتلقي لم يجد تطبيقًا عمليًا لهذه العناصر في حياته اليومية، فوقع في نفسه أن اللغة عاجزة عن فرض إيقاعها في المجتمع، لا سيما أن الساحة المجتمعية تعج بألوان من العاميات المرذولة والكلمات الأجنبية التي أقحمت ورسخ في الأذهان أنها هي القادرة على الوفاء بالمعاني المرادة.

لذا اخترت أن يكون البحث تطبيقيًا مركزًا على منحى واحد من مناحي استعمال اللغة في الحياة العامة للمجتمع، وهو: أسماء المشروعات والمحال التجارية .

والمقصود بأسماء المشروعات هي كل اسم اتُّخذ عَلَمًا على مشروع أو برنامج حكومي أو خيري، والمقصود بأسماء المحالّ التجارية هي كل اسم وضع لمشروع ربحي. ويلحق بها أسماء المواقع الإلكترونية وحسابات تويتر وغيرها. والجامع بينهما واحد، وهو الدلالة على المشروع بما يضمن معرفته وتمييزه عن غيره.

وأنبه إلى أن البحث سيقتصر في التمثيل على الأسماء المختارة اختيارًا لغويًا صحيحًا موفقًا، ولن يذكر البحث الأسماء المدخولة إما لعاميتها أو لعجمتها؛ حتى يُظهر البحث سعة العربية وتقديمها لنماذج موفقة بلغة صحيحة فصيحة في تطبيق عملي يظهر البديل، لا أن يتباكى على الأخطاء الواقعة تباكيًا لا يقدِّم شيئًا ذا بال؛ إذ الغرض من البحث هو التأصيل والارتفاع بالذوق لا تعقب المخالفات، والله الموفق.

المبحث الأول: عوامل تعزيز انتشار العربية:

للغة العربية وسائل تتقوى بها وتنتشر متى ما أحسن استغلالها، وبها يمكن أن تحقق الأهداف المنشودة لهذا الانتشار، وأن يتحقق في المجتمع الشعور بالانتماء الاجتماعي والوطني من خلال التمسك باللغة العربية. والسؤال الذي يؤرق الغيورين: هل تحقيق هذه الأهداف ميسور؟

---

١ - للاستزادة تراجع:
د. توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللغة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٩م.
د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، مبحث التعريب بين التفكير والتعبير، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣٠٩-٣٣١.
د. محمد عيد، المظاهر الطارئة على الفصحى، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٠م.

الإجابة عن هذا السؤال معقدة في ظل خفوت وهج الفصحى وغلبة العامية وزحف الكلمات الأجنبية وحلولها محلها، وهي مرتبطة بعوامل مؤثرة فيها، وهي:

أولاً: العامل الحضاري والثقافي:

من المعلوم أن اللغة تنال عزها بعز أهلها وتخفت ويضعف أثرها بضعف أهلها، ولا يخفى علينا ما تعانيه الأمة العربية من ضعف في جميع جوانبها. هذا الضعف ألقى بظلاله على اللغة، فتنكّر لها كثير من أبنائها متأثرين بلغة الغرب المسيطر القوي، وأخذوا يتحدثون بلغته أو بإدراج كثير من ألفاظه في حديثهم اليومي؛ ضعفًا منهم وانهزامًا أمام الحضارة المسيطرة.

لذا لا تجد هؤلاء المنهزمين يتحدثون بلغة أخرى غير الإنجليزية التي تشعرهم وهمًا بأنها أفضل وأوفى من غيرها بالدلالة، فهم لا يتحدثون بالروسية أو الهندية أو الأردية؛ لا لسوئها ولا لأنها أقل من الإنجليزية، ولكن لأن الإنجليزية هي لغة الغالب في الحضارة فقط.

وهذا المشهد معلوم متصور؛ فإن الغرب في أيام تخلفه كان أهله يباهون بتعلمهم اللغة العربية أيام الحضارة الإسلامية والعربية.

فهذا الجانب مؤثر في هجران الفصحى والتشكيك فيها، والاستعاضة عنها بألفاظ أعجمية وتراكيب غريبة غير معروفة ولا معهودة، حتى غدت هي المشهورة المقبولة، وغدا الصواب المهجور مستهجنًا لا قبول له.

وتزداد خطورة تأثير هذا الجانب بتقادم العهد، وتوارث الأجيال جيلاً بعد جيل هذه التصورات المزيفة عن تخلف اللغة العربية وقصورها أمام اللغة الوافدة؛ فينصرف القلب والجهد عن محاولة التصحيح والاستدراك قبل فوات الأوان؛ فما ينغرس في وجدان الأجيال يصعب على المجددين تعديله بسهولة، ويكونون بحاجة إلى جهود سنوات طوال لتصحيحه؛ فإن التصورات المتوارثة لا يكفيها الجهود الفردية لإعادتها إلى جادة الصواب.

والبحث عن الحل من هذا الجانب معقد جدًا؛ لارتباطه بحياة الأمة في جميع مستوياتها؛ فيكون النهوض اللغوي انعكاسًا لها متى ما تبدل الحال إلى المأمول.

ثانيًا: العامل الديني:

شرّف الله العربية بأن أنزل بها خاتمة كتبه، واختصت اللغة العربية بهذا العامل؛ إذ كان لنزول القرآن الكريم بها أثر في بقائها وحفظ ألفاظها، لذا كان الحفاظ على هذه اللغة الشريفة ديانة ندين الله بها؛ لأنها السبيل إلى فهم أوامر الله ونواهيه وشرعه.

وقامت العلوم الإسلامية لبيان مقاصد القرآن ومعانيه، ونشأت علوم العربية كغيرها من العلوم للهدف نفسه، اعتناء بلغة القرآن بالمقام الأول وبيان مواطن جمالها، ثم لتعليم الناس اللغة وحمايتهم من اللحن فيها[١].

ولهذا العامل أكبر الأثر في صون هذه اللغة التي تشرفت بحمل لغة القرآن، ولذا نلحظ أنه كلما ابتعد الناس عن دينهم ضعف حبهم وتعلقهم بلغتهم، وكلما اقتربوا من تعاليم دينهم ازدادوا حبًا لها وإظهارًا للانتماء لها.

ثالثًا: العامل الرسمي (المؤسسة الحكومية):

من المتقرر أن النظام ينص صراحة على أن اللغة العربية هي المعتمدة في جميع المجالات الرسمية، ويؤكد ذلك باستمرار، وقد أحسن مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية في جمع وإعداد مدونة قرارات اللغة العربية في المملكة العربية السعودية من جميع مؤسسات الدولة، حرص فيه على التواصل مع كل الجهات الحكومية طالبا من كل جهة ما صدر فيها من قرارات بَعُد عهدها أم قرُب.

ولكن الإشكال الملحوظ هو عدم المتابعة لتنفيذ هذه القرارات بخطوات واضحة صارمة تتابع وتردع المخالف من جهة رسمية تعين الجهات الحكومية بتقديم الدعم اللازم لها ثم تحاسبها على المخالفة إن وجدت.

ويأمل الجميع أن تُسد هذه الثغرة بجهود مؤسسية من شأنها أن تعيد الوضع الصحيح إلى نصابه، لا أن تبقى رهينة جهود فردية من مهتمين متخصصين وغيورين، وهذا الذي ينشده الجميع ويرجوه.

١- للاستزادة تراجع:
مازن المبارك، نحو وعي لغوي، بين العربية والقرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، ص١١٥-١٣٢.
محمد بن سعيد بن رسلان، فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين، مكتبة البلاغ، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ. -

رابعًا: العامل الإعلامي:

للجانب الإعلامي أثر كبير في تعزيز انتشار الفصحى وفي خفوتها؛ إذ إن اللفظ يسير وينتشر بمدى استعمال الإعلام له، وكلنا نذكر أنه سرت كلمات فصيحة وتراكيب راقية على ألسنة الأطفال لما كانت برامج الأطفال تقدم باللغة الفصيحة، ولم يواجهوا أي صعوبة في ذلك.

والحديث عن هذا الجانب حديث ذو شجون، ولا ينفك عن الجوانب الأخرى، وفي ظل غياب سياسة إعلامية واضحة ملزمة ويمكن تطبيقها فإن العجز في أداء الإعلام مهمته في حفظ اللغة سيستمر، بل إن قد يتحول إلى معول هدم وتأثير سيئ سريع، وقد رأينا آثارًا مخجلة من ذلك.

هذه إشارة سريعة إلى جانب كبير لم يستغل في السعي في الحفاظ على الفصحى، بل إنه يستحق أن تفرد له اللقاءات والمناقشات لتعزيز انتشار سريع مضمون للغة العربية من خلاله.

خامسًا: العامل العلمي التأصيلي:

المقصود به هو الجهود العلمية التي تبرز قيمة اللغة وقدرتها على الوفاء بالمطلوب، وتتابع كل جديد لإيجاد المصطلح المناسب له قبل اشتهار اللفظ غير العربي أو اللفظ العامي الذي يستحسنه العامة لعدم معرفتهم بغيره.

وهذه الجهود منها ما هو مؤسسي كالجامعات والمراكز المتخصصة والجمعيات، ومنها ما هو فردي، وتتفاوت قوة وضعفًا على حسب المؤثرات فيها.

والذي يعنينا في هذا البحث أن نبيّن هذا الجانب بالتفصيل؛ فإنه لا أثر لتمكين اللغة وتعزيز انتشارها ما لم يكن الجهد العلمي مركزًا مؤصلاً؛ يعرف الثغرات والاحتياجات فيبني سياسته لتحقيق سد هذه الثغرات والوفاء بهذه الاحتياجات.

ولن يجدي الدعم الرسمي ولا إيجاد المراكز المتخصصة إذا كان المتخصصون لا يلامسون الاحتياج وكانوا بمعزل عن المجتمع؛ لأن المجتمع ينتظر منهم دائمًا الحل والبديل لما هو واقع وخاطئ.

ولنضرب مثالًا يقرب الصورة، وهو أننا نرى الآن غزوًا للألفاظ الأجنبية في شتى مناحي الحياة، ومنها ما نراه في لوحات أسماء المحال التجارية وفي أسماء المشروعات التجارية وغيرها.

فإذا ما استمر اللغوي في الإنكار عليهم دون تقديم البديل فلن يكون لدعوته صدى، بل إن عليه أن يشعرهم بقيمة هذا البديل وأصالته وامتداد جذوره إلى المنابع الأصيلة للغته.

إن مضاعفة الجهد مطلب ضروري؛ لأنه كما هو معلوم أن الأمر لا يتعلق باختيار لفظ دون لفظ فقط؛ بل إن الأمر يتعلق بالقناعات والتشكيل الثقافي، وما اللغة إلا صورة من صوَرِه.

من هنا جاءت فكرة البحث؛ إذ إنه سيقتصر على بيان أثر الجانب العلمي التأصيلي في تعزيز انتشار اللغة، وهو الذي يمس الباحثين مساسًا مباشرًا، وهو الواجب الأول الذي يجب عليهم أن يتواصوا لأدائه وإتقانه.

المبحث الثاني: ضوابط اختيار اسم المشروع:

يسعى صاحب كل مشروع إلى تحقيق عوامل النجاح لمشروعه، ويأتي من أهم هذه العوامل اختيار الاسم الأنسب له، وهو عنصر مؤثر مهم عند من ينشدون الجودة، ولا يتساهلون بأي مؤثر ويتعاملون معه على أنه أهم العناصر؛ لأنهم يرونها منظومة متكاملة يتحقق بمجموعها النجاح، فالتميز في الاسم والشعار والهوية لا يستهين بها إلا من لا معرفة له بالإتقان.

وللاسم المختار للمشروع ضوابط يجب أن تكون في اعتبار واضع الاسم عند اختياره، سنذكرها هنا، ونركز على ما يتعلق بمبحثنا، وهذه الضوابط هي:

- سلامة اللغة: وذلك بأن يكون اللفظ عربيًا سليمًا؛ وليس بلفظ عامي أو بلفظ أجنبي اختير لكونه أجنبيًا فقط.
- وضوح الدلالة: وذلك بأن يكون الاسم منبئًا عن حقيقة المشروع، دالاً على حقله الذي يمارس نشاطه فيه. وفيه تفصيل سيأتي.
- التميز: وذلك بأن يعرف هذا المنتج أو البرنامج بالاسم المختار له دون وقوع لبس بينه وبين غيره.
- الجاذبية: وذلك بأن يكون لفظًا خفيفًا يتذكره المتلقي ويأنس بترديده؛ لخفته أو لتذكيره بشيء يبعث البهجة في نفس المتلقي.

ويبلغ الاسم غايته الرفيعة إذا جمع هذه الضوابط في الاختيار، ويدل دلالة واضحة

على رفعة الذوق؛ مما ينعكس على التأثر بالمنتج المسمى به.

ونخص بالذكر هنا أن اختيار الاسم الفصيح عامل نجاح، لا كما يظن كثير من المهزومين ثقافيا وحضاريا أن الاسم العربي لا يناسب في اختيار المنتجات ولا المشروعات، وسنرى من خلال الأمثلة ما يدحض شبهة عدم مناسبة اللفظ العربي، ويظهر جماله ومناسبته ونجاحه في تحقيق المقصد ودلالته على المنتج أو المشروع.

والملحوظ في الواقع أن هذه الشروط لا تجتمع في كثير من المنتجات؛ فيُؤْثِر بعض الواضعين شرط الجاذبية ولو كان الاسم باللهجة العامية، ويقصّر في الجوانب الأخرى، فيكون ناقص الدلالة، وبعضهم يؤثر شرط التميز ولو كان الاسم بلغة أخرى غير اللغة العربية، وفي هذا من القصور ما فيه. ويؤثر بعضهم جانب الدلالة وهو إيثار راقٍ إذا لم يغفل الجانبين الآخرين.

ووجدنا أمثلة نجحت نجاحًا كبيرًا؛ لتحقيقها ضوابط اختيار الاسم، فنالت الشهرة المطلوبة مع الحفاظ على الأصالة، وسأورد بعض الشواهد عليه من باب التمثيل لا الاستقصاء:

- ساهر: «هو نظام آلي لضبط وإدارة الحركة المرورية باستخدام نظم إلكترونية تغطي المدن الرئيسة في المملكة، ويستخدم النظام تقنية شبكة الكاميرات الرقمية المتصلة بمركز المعلومات الوطني التابع لوزارة الداخلية»[1].

ودلالة الاسم على المراد دلالة قوية، ولفظه خفيف فصيح، والاسم متميز عن غيره؛ لهذا تحقق للاسم النجاح المطلوب.

- طاقات: «طاقات هي مبادرة وطنية أنشئت لتكون منصة افتراضية لسوق العمل في المملكة العربية السعودية، وتمتد لتغطي القطاعين العام والخاص»[2].
- حافز: «يهدف البرنامج إلى دعم المواطنين الباحثين عن عمل من أجل الحصول

١- الإدارة العامة للمرور، وزارة الداخلية:
https://www.moi.gov.sa/wps/portal/Home/sectors/publicsecurity/traffic/contents/!ut/p/z0/04_Sj9CPykssy0xPLMnMz0vMAfIjo8ziDTxNTDwMTYy83V0CTQ0cA71d_T1djI0MXA30gxOL9L30o_ArApqSmVVYGOWoH5Wcn1eSWlGiH1FSlJiWlpmsagBlKCQWqRrkJmbmqRoUJ2akFukXZLuHAwCcrbkq/

٢- طاقات: البوابة الوطنية للعمل:
https://www.taqat.sa/web/guest/about-taqat

على وظائف مستدامة ومناسبة، وتزويدهم بالمهارات والموارد اللازمة للانضمام إلى سوق العمل»[١].

ويظهر من الاسمين المختارين الدلالة المقصودة مع تحقق الشروط الأخرى للاسم، وهذا من الجودة المطلوبة والإتقان الذي يبدأ باختيار الاسم الصحيح المناسب.

- نور: وهو النظام الإلكتروني الشامل لوزارة التربية والتعليم الذي يربط المدارس والإدارات بالوزارة، ويستفيد منه الطالب وولي الأمر للوصول إلى المعلومات الخاصة بهم مباشرة[٢].

واختيار الاسم نور على هذا المراد اختيار موفق؛ لأن يذكر بالعبارة المشهورة (العلم نور)، فانصراف الذهن إليه سابق على غيره.

- ساند : «نظام تكافلي من إصدار المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية، يقوم على رعاية العامل السعودي وأسرته خلال فترة تعطله عن عمله لظروف خارجه عن إرادته، بحيث يعمل البرنامج إلى سد الفجوة الانتقالية بين الوظيفة السابقة وفرصة الحصول على وظيفة جديدة وذلك بتوفير حد أدنى من الدخل ليوفر له ولأسرته عيشاً كريماً بالإضافة إلى توفير التدريب اللازم ومساعدته في البحث عن عمل آخر»[٣].

هذه أمثلة على اختيارات موفقة دالة على المراد دلالة جميلة، وغيرها كثير من أسماء المشروعات الحكومية والخاصة التي حرصت على التميز من جميع جوانبه.

ومما يرصد في بعض الاختيارات في الأسماء ما يأتي:

أولاً: قد يربط الاسم بالأثر النفسي من الخدمة، وذلك باستخدام لفظ محبب عند الناس يرددونه عند ضمان تحقيق أي مطلب، وهو لفظ (**أبشر**)، وهو الاسم الذي اخترته وزارة الداخلية لتحقيق خدماتها بمهنية عالية محققة مضامين لفظ (أبشر) وإيحاءاته.

١- طاقات: البوابة الوطنية للعمل: البرامج:
https://www.taqat.sa/web/guest/hafiz-searching-for-employment

٢- وزارة التربية والتعليم: نظام نور للإدارة التربوية:
https://noor.moe.gov.sa/Noor/login.aspx

٣- المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية: نظام ساند
http://www.gosi.gov.sa/portal/web/guest/ui

ثانيًا: يظهر الحرص على تحقيق الاسم الضوابط جميعها لا سيما السلامة اللغوية والبعد عن اللحن فيه بالعامية أو اللجوء إلى اللفظ الأجنبي في الآتي:

- عندما يكون مرتبطًا بجهة حكومية، وهذا ليس بمستغرب؛ لالتزام الجهات الحكومية بالأوامر الصادرة في هذا الشأن، وسبق ذكر أمثلة عليه.
- عندما يكون المشروع ذا صبغة تربوية كالجمعيات السعودية الاجتماعية والصحية مثل: (إنسان، مودة، عناية، تكاتف، زمزم، وقار، وفاق)، ومشروعات تحفيظ القرآن مثل: (تبيان، مكنون، رتِّل، خيركم).
- عندما يكون المشروع مرتبطًا بالبيئة والمجتمع ارتباطًا لصيقًا، وذلك مثل المشروعات الحكومية المرتبطة بالتراث كمهرجان الجنادرية وسوق عكاظ، ومثل المشروعات التجارية كمحال التمور، فنجد الأسماء التراثية غالبة مثل: (نضيد، باسقات، هضيم).

ثالثًا: ظهر هجران اللفظ السليم لغويًا في كثير من المشروعات التجارية الهادفة للربح فقط والتي تريد الشهرة ولو كان في لفظ عامي دارج أو في لفظ أجنبي دون وضع أي اعتبار لمبادئ تحكمهم، ويظنون أنهم بهذه الطريقة المشينة سيربحون الربح الوفير. ولسنا بحاجة إلى أن نذكر أمثلة منها.

المبحث الثالث: العلاقة بين الاسم المختار والمسمى:

عند النظر إلى مستوى العلاقة بين الاسم والمسمى نجد أنها لم تسِرْ في مستوى واحد، بل اتخذت مسارات مختلفة، وهذا راجع إلى أمور عدة، أهمها ثقافة المسمِّي وتكوينه الذي يملي عليه اختيار اسم دون آخر.

ويمكن تقسيم العلاقة بين الاسم المختار والمسمّى إلى المستويات الآتية:

الأول: العلاقة الدلالية القريبة: وذلك بأن يكون الاسم دالا من خلال وضعه اللغوي على المسمى، فيعرف القارئ مضمون النشاط من خلال الاسم.

وهذا هو أرقى المستويات، وفيه تظهر روح اللغة المعبرة، وتمتزج اللغة امتزاجًا متكاملاً متناسقًا مع المجتمع، ويشعر فيها كل فرد بأن لغته هي الوعاء الأمين الذي ينقل أفكاره وما يشعر به نقلاً تامًا وافيًا بلا نقصان.

ويلزم لتحقيق هذا المستوى أمران مهمان:

أولهما: معرفة بالمعاني اللغوية والرجوع إلى مظانها من المعجمات والمدونات الأدبية الأصيلة التي يزخر بها تراثنا.

ثانيهما: الذوق في الاختيار، ومراعاة مناسبة الكلمة المختارة وتناسقها وخفتها على اللسان؛ حتى يكتب لها الشيوع والقبول.

وسبق التمثيل على هذا المستوى سابقًا، وسيكون أيضًا هو محط التمثيل المفصل في المبحث الرابع.

الثاني: **العلاقة الدلالية البعيدة**: وذلك بأن يكون الاسم المختار في محيط النشاط على وجه العموم، ويكون بينهما صلة تلحظ عند أول قراءة.

وذلك مثل أن تسمَّى مكتبة أو معهد لغوي باسم أحد العلماء أو الشعراء (الخليل، سيبويه، المتنبي، جرير، ابن رشد)؛ فالذهن ينصرف إلى الحقل الذي عرف به. ومثل أن نسمي محلاً للرحلات باسم أحد الرحالين المشهورين أو باسم شيء من لوازم الرحلات، ومثل أن نسمي مستشفى باسم أحد الأطباء المشهورين.

وهذا النوع شائع نجده في كثير من الأنشطة التجارية والخيرية والتربوية، ويمكن لمحه من خلال نظرة سريعة لما حولنا من هذه الأنشطة.

ولعل سبب شيوع هذا المستوى من العلاقة هو اتساع دائرته وإمكان الوصول إلى اسم لم يسبق إليه في النشاط نفسه وتأديته الغرض المراد.

الثالث: **العلاقة الاعتباطية**: وذلك بأن يكون اختيار الاسم استحسانا لأمر لا علاقة له بالنشاط؛ كأن يختار اسم عائلة المالك، أو يختار اسمًا له جرس جميل، مثل اختيار اسم (نِينى) على محل بيع أقمشة، و(نينى) اسم نهر كما في القاموس[1].

وهذا هو الغالب في الأسماء التجارية لتحقيق الغرض التجاري دون النظر إلى أي اعتبار آخر يسعى إلى تحقيقه من خلال الاسم.

وأدنى درجات العلاقة الاعتباطية أن يختار له اسمًا عاميًا أو اسمًا أجنبيًا تحت تأثير الانهزام أمام سطوة الحضارة الأخرى، ولذا نلحظ أن أغلب التسميات الأجنبية لا تكون إلا للإنجليزية، فلا يسمى بالهندية أو الأردية أو غيرها مما لم ينهزم أمامها المسمي.

١- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ، مادة (ن و ن).

وهذا داء انتشر، ولا يمكن مقاومته بالوعي فقط، بل لا بد من تأثير العامل الرسمي (المؤسسة الحكومية) الضابطة لمثل هذه التجاوزات المخالفة للنظام وللقيم التي يجب أن يتربى عليها النشء من الاعتزاز بالهوية والانتماء للمجتمع الذي يعيشه لا لمجتمع غريب عنه.

المبحث الرابع: أسماء مقترحة لأنشطة مختلفة:

يهدف هذا المبحث إلى بيان سعة اللغة وأنها قادرة على الوفاء بالمتطلبات، وأن في المعجمات من الكنوز والألفاظ الكثيرَ مما لم يستفد منه ويُوظّف التوظيف المناسب.

ويهدف هذا المبحث إلى الدعوة إلى تقريب اللغة من المتلقين وجعلها تعيش بينهم لا أن تكون حبيسة المعجمات، وذلك من خلال إحياء ألفاظ جميلة تنساب بخفة في الأسماء لم يكتب لها الشيوع والانتشار، وفي هذا من النماء للمعجم اللفظي للمتحدثين باللغة أي نماء.

ويهدف كذلك إلى التعريف ببعض الألفاظ الجميلة، وبيان إمكان إحلال أمثالها محل الألفاظ المستهلكة.

وفي هذا المبحث إجابة عملية عن سؤال يتردد عن إمكان تطبيق ما يقال عن قوة اللغة ونمائها وسعتها وقدرتها، ويمكن لأي شخص أن يصنع مثل ذلك من خلال قراءة متأنية في أي معجم، وسيجد المتعة اللغوية الكامنة في تعدد الاختيارات للمراد.

كل ذلك من خلال تطبيق عملي من خلال جزء واحد من أجزاء كتاب (الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية) لإسماعيل بن حماد الجوهري، وهو الجزء السادس[1]، اجتهدت فيه في ذكر ألفاظ غير مشتهرة، أو لم تطرق الأسماع بكثرة، وتجاهلت الكلمات المعروفة المشتهرة بين الناس لعدم تحقيقها للغرض.

ويبقى بيان أن الأمر ذوقي، وما تركته أكثر مما كتبته هنا مما هو حسن ولطيف، ويكفيه أنه فصيح صحيح تحققت فيه ضوابط اختيار الاسم.

وسأذكر هنا قائمة بالأسماء المختارة، وصنفتها تصنيفًا تقريبيًا، ويصلح بعضها مكان بعض، وهي كالآتي:

١- لجأت لغيره في حدود ضيقة، وذلك إذا كانت عبارة المعجم الآخر أدل على المقصود.

أولاً: اختيارات لأسماء مشروعات تجارية:

فَينان: يصلح اسمًا لعلامة تجارية لمستحضرات تجميل، أو محل حلاقة. قال الجوهري: "ورجل فينان الشعَر؛ أي حسَن الشعَر طويله"[١].

واتن: يصلح اسمًا لشركة مياه، أو مشروع سقيا. قال الجوهري: "الواتن: الماء المعين الدائم الذي لا يذهب"[٢].

مشفُوهٌ: يصلح اسمًا لشركة مياه ولمشروع سقيا. قال الجوهري: "ماء مشفوهٌ: وهو الذي قد كثُر الناس عليه"[٣].

أفْواه: يصلح اسمًا لشركة عطورات. قال ابن سيده: "الأفواه: ما أعد للطيب من الرياحين"[٤]، وقال الجوهري: "ما يُعالج به الطيب"[٥].

نهنه: يصلح اسمًا لمحل خياطة أو محل أقمشة. قال الجوهري: "والنهنه: الثوب الرقيق النسج"[٦].

الألُوَّة: يصلح اسمًا لمحل بيع عود. قال الجوهري: "وأما الألوّة -بالتشديد- فهو العود الذي يتبخر به"[٧].

أبلاء: يصلح اسم سوق سيارات مستعملة. قال الجوهري: "يقال: ناقة بِلْو سفر بكسر الباء، وبِلْيُ سَفَرٍ، للتي قد أبلاها السفر. والجمع أَبْلاءٌ"[٨].

حوالي: يصلح اسمًا لسوق ذهب أو مركز تدريب على صياغة الذهب. قال الجوهري: "حلِيَت المرأة، أي صارت ذات حُلي، فهي حلِيَّة وحالية ونسوةٌ حَوالٍ"[٩].

١- الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، الجزء السادس، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م، مادة (ف ي ن).

٢- المصدر السابق، مادة (و ت ن).

٣- المصدر السابق، مادة (ش ف ه).

٤- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق د.عبدالحميد هنداوي، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، مادة (ف و ه).

٥- الجوهري، الصحاح، مادة (ف و ه).

٦- المصدر السابق، مادة (ن ه ه).

٧- المصدر السابق، مادة (أ ل و).

٨- المصدر السابق، مادة (ب ل و).

٩- المصدر السابق، مادة (ح ل و).

دَدَنْ، دَدًا: يصلح اسمًا لمجمع الألعاب والملاهي. قال الجوهري: "الدَّدن: اللهو واللعب"(١).

نِرْسِيانة: يصلح اسم محل تمر. قال الجوهري: "ويقال: تمرة نِرْسيانة -بكسر النون- لضرب من التمر جيد"(٢).

ياهِ ياهِ: يصلح اسمًا لمحل لواقط الصوت. قال الجوهري: "يقول الراعي لصاحبه من بعيد: ياهِ ياهِ؛ أي: أقبِلْ"(٣).

إنيان: يصلح اسمًا لمقهى شبابي. قال الجوهري: "آناء الليل: ساعاته، قال الأخفش: واحدها: إِنَى. قال: وقال بعضهم: واحدها إِنْيٌ وإنو. يقال: مضى إنيان من الليل وإنوان"(٤).

أثافي: يصلح اسمًا لمطعم. قال ابن منظور: "والإثفية: الحجر الذي توضع عليه القدر، وجمعها أثافي وأثاف... وهي الحجارة التي تنصب وتجعل القدر عليها"(٥).

نينان، أنوان: يصلح اسمًا لمطعم سمك . قال الجوهري: "النون: الحوت، والجمع أنوان ونينان"(٦).

إرْبِيان: يصلح اسمًا لمطعم سمك. قال الجوهري: "والإرْبِيان -بكسر الهمزة- : ضربٌ من السمك، بيضٌ كالدود، يكون بالبصرة"(٧).

مِزاج: يصلح اسمًا لمحل بيع العصير. قال الجوهري: "مِزاج الشراب: ما يُمزج به"(٨). وهي واردة في القرآن: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾(٩).

رُخاء: يصلح اسمًا لمنتجع أو اسمًا لخطوط جوية. قال الجوهري: "ورُخاء -بالضم-:

١- المصدر السابق، مادة (د د ن).

٢- المصدر السابق، مادة (ر س و).

٣- المصدر السابق، مادة (ي ه ي ه).

٤- المصدر السابق، مادة (أ ن و).

٥- ابن منظور، لسان العرب، الجزء الرابع عشر، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، مادة (ث ف و).

٦- الجوهري، الصحاح، مادة (ن و ن).

٧- المصدر السابق، مادة (ر ب و).

٨- المصدر السابق، مادة (م ز ج).

٩- سورة الإنسان، الآية: ١٧.

الريح اللينة"[1]. قال تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾[2].

أرْناني: يصلح اسمًا لكل ما هو جميل. قال الجوهري: "رنا إليه يرنو رُنُوًّا؛ إذا أدام النظر... يقال: أرناني حسنُ ما رأيت؛ أي حملني على الرنو"[3].

مَلاذ: اختياره لشركة تأمين اختيار أدبي موفق. ولفظه لطيف غير مبتذل ولا ثقيل، وهو أجمل من المصدر (لوذ، لِواذ، لياذ)، ومثله: رعاية، وقاية.

رَواء: يصلح اسم مصنع مياه. قال الجوهري: "وماء رَواءٌ -بالفتح ممدود-: أي عذب[4].

صفايا: يصلح اسمًا لمحل بيع حليب النياق، أو لبرنامج عن الإبل عموما. قال الجوهري: "الصَفيّ: الناقة الغزيرة الدرّ، والجمع صفايا"[5].

ثانيًا : اختيارات لأسماء مشروعات رسمية:

إساء، آسي: يصلح اسمًا لمستشفى أو صيدلية. قال الجوهري: "والإساء -مكسور ممدود-: الدواء بعينه، والإساء: الأطبة؛ جمع الآسي... والآسي: الطبيب"[6].

إيناء: يصلح اسمًا لإدارة متابعة المشروعات الحكومية المتعثرة. قال الجوهري: "وآناه يُؤنيه إيناءً؛ أي: أخّره وحبسه وأبطأه"[7].

إواء: يصلح اسمًا لمشروع الإسكان. قال الجوهري: "وقد أوى فلان إلى منزله يأوي أُوِيًّا -على فعول- وإواء"[8].

ثنايا: يصلح اسمًا لشركة لصيانة الطرق الجبلية. قال الجوهري: "الثنيّة: طريق العقَبة، ومنه قولهم: فلان طلاع الثنايا، إذا كان ساميا لمعالي الأمور"[9].

١- الجوهري، الصحاح، (ر خ و).

٢- سورة ص، الآية: ٣٦.

٣- الجوهري، الصحاح، مادة (ر ن و).

٤- المصدر السابق، مادة (ر و ي).

٥- المصدر السابق، مادة (ص ف و).

٦- المصدر السابق، مادة (أ س و).

٧- المصدر السابق، مادة (أ ن و).

٨- المصدر السابق، مادة (أ و ي).

٩- المصدر السابق، مادة (ث ن ي).

مَرَادِي: يصلح اسمًا لمجموعة عسكرية كالصاعقة. قال الجوهري: "والمِردى: حجر يُرمى به، ومنه قيل للرجل الشجاع: إنه لَمِردى حروب، وهم مرادي الحروب"[١].

ثالثًا: اختيارات لأسماء جمعيات أو مشروعات تطوعية:

إيدَاء: يصلح اسمًا لجمعية خيرية. قال الجوهري: "آداه على كذا يُؤْديه إيداء؛ إذا قوّاه عليه وأعانه"[٢].

ألايا: يصلح اسمًا لمشروع خيري: كفارة يمين. قال الجوهري: "والأليّة: اليمين... والجمع ألايا"[٣].

تُلاوة: يصلح اسم مشروع لجمع بقايا الطعام أو الورق. قال ابن فارس: "والتلاوة: بقية الشيء، يقال: تليت لي من حقي تُلاوة وتَلَيَّة، أي بقيت بقية"[٤].

مَثراة: يصلح اسم مشروع نظامي لجمع الصدقات. قال الجوهري: "ويقال: هذا مثراة للمال؛ أي: مَكثَرة"[٥].

حِباء: يصلح اسمًا لمشروع خيري. قال الجوهري: "حباه يحبوه؛ أي: أعطاه. والحِباء: العطاء"[٦].

والملحوظ أننا لا نستعمل في كلامنا الآن إلا الفعل الماضي (حبا)، ففي استخدام المصدر إحياء للفظ جميل أماته الناس.

حِماء: يصلح اسمًا لملتقى للمحامين أو لموقع إلكتروني أو جمعية. قال الجوهري: "وحاميت عنه محاماةً وحِماءً"[٧].

ذُكاء: يصلح اسمًا لتصميم برنامج عن التقويم الشمسي. وهو اسم للشمس، ويقال للصبح: ابن ذُكاء؛ لأنه من ضوئها[٨].

١- المصدر السابق، مادة (ر د ي).

٢- المصدر السابق، مادة (أ د و).

٣- المصدر السابق، مادة (أ ل و).

٤- ابن فارس، مجمل اللغة، الجزء الأول، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م، مادة (ت ل و).

٥- الجوهري، الصحاح، مادة (ث ر و).

٦- المصدر السابق، مادة (ح ب و).

٧- المصدر السابق، مادة (ح م ي).

٨- المصدر السابق، مادة (ذ ك و).

أياة: يصلح اسمًا لمشروع تنويري أو فكري، ويصلح كذلك لمحل إنارة . قال الجوهري: "وأياةُ الشمس: ضوؤها"[١].

رابعًا: اختيارات لأسماء برامج ثقافية:

أرجاء: يصلح اسمًا لبرنامج ثقافي منوع أو مجلة ثقافية. قال الجوهري: "الرجا -مقصور-: ناحية البئر وحافتاها، وكل ناحية رجًا... والجمع أرجاء"[٢].

رِواء: يصلح اسمًا لبرنامج فكري تحصيني. قال الجوهري: "الرواء -بالكسر والمد-: حبل يشد به المتاع على البعير..."[٣].

كُنى: يصلح اسمًا لبرنامج تعبير رؤى: وكُنى الرؤيا: هي رموز الرؤيا. قال الزمخشري: "فلان حسن العبارة لكُنى الرؤيا، وهي الأمثال التي يضربها ملك الرؤيا؛ يكنى بها عن أعيان الأمور"[٤].

دُجى، دياجي: يصلح اسمًا لبرنامج يحكي جانبًا مظلمًا من حياة أحدهم؛ لأخذ العبرة. قال الجوهري: «الدُّجى: الظلْمة... ودياجي الليل: حنادسه"[٥].

حِنْدِس، حنادس: يصلح للبرنامج المذكور؛ لما في اللفظ من غرابة تناسب فكرة الجانب المظلم. قال الجوهري: «الحِنْدِس: «الليل الشديد الظلمة"[٦].

مُسيَّان: يصلح اسم مقهى أو استراحة أو برنامج مسائي. قال الجوهري: "المساء: خلاف الصباح ... وأتيته مُسيَّانًا، وهو تصغير مساء"[٧].

مُمْسى: اسم موضع، أو مصدر. وهي كسابقتها (مسيان).

هواهي: يصلح اسمًا لبرنامج توعوي عن بعض القنوات الهابطة. قال الجوهري: "والهواهي: الباطل واللغو من القول"[٨].

١- المصدر السابق، مادة (أ ي و).

٢- المصدر السابق، مادة (ر ج و).

٣- المصدر السابق، مادة (ر و ي).

٤- الزمخشري، أساس البلاغة، الجزء الثاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤١هـ، مادة (ك ن ي).

٥- الجوهري، الصحاح، مادة (د ج و).

٦- المصدر السابق، مادة (ح د س).

٧- المصدر السابق، مادة (م س و).

٨- المصدر السابق، مادة (ه و ي).

خاتمة:

كان ما سبق عرضًا مختارًا من قراءة في أحد المعجمات، هدفت من خلاله إلى بيان سعة اللغة وتنوع ألفاظها للدلالات المرادة، وأن البحث عن اللفظ المناسب ليس بالعسير على مريده، وظهر بالتطبيق هذا المغزى لا بالحديث العاطفي عن اللغة الذي يذكر مزاياها دون إثبات جوانب هذا الحسن وهذه الوفرة في المادة الموصلة إلى المعنى المطلوب.

أسأل الله أن أكون قد وُفِّقت في هذا العرض، والحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع:

١- د. توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللغة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٢- الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.
٣- الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤١هـ.
٤- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٥- د. عبدالرحمن بو درع، اللغة العربية وسؤال الهوية في سياق تحقيق التنمية: نحو منهج لابتعاث اللغة من مصادرها، ضمن مؤلف لمجموعة من المؤلفين: اللغة والهوية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ص ٧٩ - ١٢٦.
٦- د. عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، الفصل السادس عشر: اللغة والهوية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٤هـ، ص ٢٥٧-٢٨١.
٧- د . عبد الله البريدي، اللغة هوية ناطقة، منظور جديد يمزج اللغة بالهوية والحياة، المجلة العربية، ١٤٣٤هـ.
٨- ابن فارس، مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م.

٩- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
١٠- د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، مبحث التعريب بين التفكير والتعبير، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣٠٩-٣٣١.
١١- مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، مدونة قرارات اللغة العربية في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، الرياض،١٤٣٦هـ.
١٢- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

المواقع الإلكترونية:

- الإدارة العامة للمرور، وزارة الداخلية:

https://www.moi.gov.sa/wps/portal/Home/sectors/publicsecurity/traffic/contents/!ut/p/z0/04_Sj9CPykssy0xPLMnMz0vMAfIjo8ziDTxNTDwMTYy83V0CTQ0cA71d_T1djI0MXA30gxOL9L30o_ArApqSmVVYGOWoH5Wcn1eSW1GiH1FSlJiWlpmsagBlKCQWqRrkJmbmqRoUJ2akFukXZLuHAwCcrbkq/

- طاقات: البوابة الوطنية للعمل:

https://www.taqat.sa/web/guest/about-taqat

- طاقات: البوابة الوطنية للعمل: البرامج:

https://www.taqat.sa/web/guest/hafiz-searching-for-employment

- وزارة التربية والتعليم: نظام نور للإدارة التربوية:

https://noor.moe.gov.sa/Noor/login.aspx

- المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية: نظام ساند

http://www.gosi.gov.sa/portal/web/guest/ui

الواقع الإعلامي والإشهاري للغة العربية
عرْضٌ وتوصيات

أ.د. عبدالله بن سليم الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

بمَ تحيا اللغة؟ أتحيا بالعيش في كتاب أو في قاعة درس فحسب؟

إن اللغة بوصفها حاجة يومية ضرورية للإنسان تحيا بأن تكون مخامِرةً للِّسان، مسيطرةً على السمع، مواجهةً للعين.

إن أهم منافذ تلقّي اللغة مقتسَمة بين جارحتين، هما العين والأذن. فأما العين الباصرة فهي تقرأ، وتلتفت إلى المكتوب –وإن لم تقرأه– فينطبعُ المقروء وأثره في الذهن، ويستقرّ في الفكْر.

وأما الأذن السامعة فهي تؤدّي أخطر المهامّ في تلقّي اللغة، فتُبلِغُها إلى الذهن، ولذلك ما وصف ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) السمع بأنه "أبو الملَكات اللسانية"[١]. وهي الملَكة التي قال عنها أيضًا: إنها تغيّرت وفسدت «بما ألقى إليها السمعُ من المخالفات التي للمستعربين»[٢].

ومن ثَمّ كان للإعلام الذي يفاجئ السمع والأذن في كلّ حين، وتتسع قنواتُه يومًا

١– ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ٥٤٦.

٢– المرجع السابق، نفسه.

بعد يوم، ويزدادُ تأثيرُه، وتتفتّح مجالاته، ويتعدّد مستخدموه = كان له من الأهمية اللغوية في خدمة اللغة أو هدمها ما ليس لغيره.

ومن نافلة القول التذكير بأن لغة الأمة جزء من عقلها وهُويتها وحضارتها، وأن الأمة المفرِّطة بلغتها هي في الحقيقة مفرِّطة بكل شيء: بالعقل والفكر والهوية والاستقلال. ومن أجل ذلك يكون اختيار الوسائل الإعلامية للفصحى لسانًا لها نمطًا من تربية الملَكات اللغوية، ووسيلة للحفاظ على الهُوية والفكر.

وقبل الاسترسال في فكَر البحث سوف أُلِمُّ ببعض الشبهات التي يتعلق بها من لا يريدون للفصحى أن تكون لغة الإعلام، وهي شبهات متهافتة، عرض لها جملة من العلماء والباحثين، ومنهم رمضان عبدالتواب (ت١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) الذي قال في سياق تفنيد الحجج: إن العلة التي أزمنت في الإعلام العربي- وهي اتخاذ العاميات ملاذًا وإهمال الفصحى- ناتجة عن سوء فهم، فكثير من القائمين عليه يقولون: إن الجمهور يريد البثَّ بالعامية، وينفرُ من البرامج الفصيحة[١].

ثم ناقش القضية نقاشًا حسنًا، فأشار إلى أهم أمر منسيٍّ أو متناسًى، وهو أن «وسائل الإعلام يجب أن تكون موجِّهةً، لا موجَّهةً، وهذا يعني أنها لا تصلحُ أن تتملّق عواطف الجمهور، أو تجري وراء نزواته، بل يجب أن توجّهه، وتأخذ بيديه، وتقوده إلى حيث تريد، فلهذا السبب وُجِدت، ومن أجله تعمل، فلا يصحُّ أن تنسى وظيفتها الأصلية، وتنساق خلف تحقيق الرغبات الجامحة، للجمهور الكسول»[٢].

وقد يُتمَسَّك بأن الأمية غالبة على المتلقين العرب في بعض الأزمنة، وهذا مردود بأمور، منها ما ذكره عبدالتواب من أن الإعلام يعلّم ويوجّه، ومنها أن الأمي -وإن غاب عنه بعض معاني الفصحى- يمكن أن يفهم ويستوعب، وما متابعة الجماهير للأخبار والوثائقيات -وهي تُبَثّ بالفصحى غالبًا- إلا دليل على أن التواصل بالفصحى معهم ممكن متيسّر.

ومنها أن الفصحى التي تُطلَب في الإعلام ليست فصحى شعراء المعلّقات وأرباب البيان العالي، ولا تلك التي تتوسّل بضروب البيان وفنون البلاغة، أو تتدثّر بشعرية اللغة، بل هي الفصحى الميسّرة، التي يُحافَظ فيها على الحدّ الأدنى من الأداء اللغوي السليم، من حيث صحة الكلمات، وسلامة تراكيبها، وحسن أداء مخارج الحروف، ونحو ذلك.

١- انظر: رمضان عبدالتواب، دراسات وتعليقات في اللغة، ٢٣٨.

٢- السابق، نفسه.

لقد أورد رمضان عبدالتواب شواهد دالّة على قدرة الفصحى على مخاطبة الجماهير -وإن غلبتهم العامية- كفهمهم خطبة الجمعة مثلا[١]، وعلّق على الاحتجاج بأمية أغلب المتلقين بقوله:

"ليكن ما يقوله هؤلاء صوابًا، أفيصِحُّ أن نجعل النصيب الأوفر من البرامج بالعامية من أجل الأميين؟"[٢].

إن الاتكاء على سلطة متوهَّمة للجمهور هو الذي أوقع الإعلام العربي في فخاخ من الضعف والإسفاف، والحقُّ أن السلطة التي أورثته ذلك هي سلطة التواكل وضعف القائمين على الإعلام أنفسهم، ولا يُبَرّأ كثير منهم من تعمّد الإسفاف وتَتْفِيه المجتمع لغويًّا.

أما بعد: فإن لفظ (الإعلام) الذي ورد في العنوان متّسع رحْب، وسوف أستجيب لاتساعه الدلالي الراهن، فأُدرِج في بحثي هذا -بالإضافة إلى قنوات الإعلام المعروفة من صحف وإذاعات وقنوات فضائية - قنواتِ التواصل الحديثة في شبكة (الإنترنت)، وكلَّ نمط إشهاري، بدءًا من الإعلانات التجارية في الصحف والفضائيات، وما يُنشر في الأسواق والشوارع، وانتهاء بما يُكتب في بعض وسائل التواصل الحديثة من مواقع وحسابات ونحوها، فقد صار لهذه الأخيرة من القيمة الإشهارية ما هو بيّن واضح.

ومن أجل هذا سوف يكون لي وقفات منسّقة عند بعض المظاهر الشائعة في تلك الوسائل تليدها وطريفها، وسوف أورد نماذج من التفريط باستعمال اللغة العربية في الخطاب، شافعًا إياها بتحليل بعض المظاهر المصاحبة، كي أصل إلى ما يمكن الإسهام به في وصف الحال واقتراح السبل الملائمة، وكلّ ذلك في محاور أربعة.

المحور الأول: الإعلام التقليدي (الصحافة الورقية، والإذاعات، والقنوات الفضائية).

إن وسائل الإعلام على تعدّد قنواتها ووسائلها يمكن أن تسهم بأثر فعّال في الوصول إلى نتيجةٍ مَرْضِيَّةٍ في نشر الفصحى وتعليمها وتعلّمها.

وحقًّا كان لها من الأثر الحميد -ولاسيّما في عهد ماضٍ- ما يُشار إليه، فقد أزالت باللغة الفصيحة الفوارق بين اللهجات، وأمَدّت لغتها الإعلامية المعجمَ بكثير من

١- انظر: السابق، ٢٣٩.

٢- السابق، نفسه.

الألفاظ والتراكيب والأساليب الجديدة[١]، فحقّقت تناغمًا حسنًا بينها وبين الفصحى، إمدادًا واستمدادًا.

غير أن الذي يحدث في جُلّ وسائل الإعلام هو التنكّر للغة الفصحى، وطغيان العاميات عليها، وبذلك تُفَوَّتُ فرصة تعلم اللغة بالسماع[٢]، والسماع -كما سلف- أكبر وسيلة تُتَلقّى بها اللغة.

وبتحقيق اتخاذ الفصحى لسانًا للإعلام تحوط اللغةُ الصافيةُ المتلقي، ولا سيّما الطفل والشاب، فتؤثّر فيه تصحيحًا للغته، واعتيادًا لها، وشعورًا بالانتماء، أو كما قال رمضان عبدالتواب: «تأخذ عليه جهاته الأربع، فتتمكن من قلبه، ويجري بها لسانه، وقلمه، وتصير لغةً سليقةً له»[٣].

غير أن الواقع الإعلامي العربي -بقنواته الرسمية والقنوات الخاصة- في زمان الناس هذا يكشفُ أن اللغة الفصحى فيه متنازَعة بين تيارات، جِماعُها ما يلي:

التيار الأول: الإعلام الفصيح الذي لم يُخَلَّ فيه باللغة وقيَمها الصوتية واللفظية، وهذا ظاهر في برامج الأخبار والبرامج الوثائقية، وبعض برامج الأطفال.

التيار الثاني: الإعلام المختلط، وهو الذي يجمع اللغة الفصيحة، ويؤثر التساهل في أدائها، أو يقرنها بالعامية، وغيرها مما أُحدِث في لغة الجيل الجديد مما سُمي بالـ(عربيزي)، وقد يتيح الفرصَ للخلط الكتابي الذي بات ظاهرة فيما يُسهم به المتابعون كتابةً على الشرائط التفاعلية.

التيار الثالث: الإعلام المنحرف، أو المضادّ، وهو الذي يرتضخُ العاميات وأخواتها في كلّ برامجه عَمْدَ عينٍ، في كل قنواته الإعلامية.

وهذا التيار ظاهر ظهورًا مقلقًا في أسماء البرامج، وتعليقات المذيعين، وما يُبثُّ في شرائط الحوارات التفاعلية التي تكون في أسفل الشاشة، فالعامية هي ملاذهم، وإن تحدّثوا أو كتبوا بلغة فصيحة، فإن النقص والخطأ يتحيّفها من كل جانب. بل إن بعض القنوات تردّت في هذا المسلك الـمَشين تردّيًا سحيقًا، فارتضخت حتى للغة الأخبار السياسية ونحوها لهجاتٍ مغرقةً في العامية!

١- انظر: جابر قميحة، أثر وسائل الإعلام، ٨٨، ٩٢.

٢- انظر: رمضان عبدالتواب، دراسات وتعليقات في اللغة، ٢٣٧.

٣- السابق، ٢٣٧.

وقد وصفتُ هذا التيار بالمضادّ؛ لأن بعض ما رأيتُه فيه مُدرَج في الإساءة العمْد، وهذا الحكم يصدق على جُلّ القنوات الإعلامية من إذاعات وفضائيات، واستمع لبعض ما يُبَثُّ في إذاعات «إف إم» تجدْ ما لا يسرّ.

والإذاعة والتلفاز -وإن قلّت أهميتها اليوم- ما يزالان ذَوَيْ قيمة، ولما يُبَثُّ منهما آثار حسنة أو سيئة، من حيث الأثر اللغوي. وقد ألمح بعض الإعلاميين والمهتمين بشأن البث الفضائي الذي اتسع بعد عام ١٩٨٩م إلى أمور ذات علاقة بهذا الأمر، إذ قال أحدهم: إن الاستعمار رجع مع هذا البث ليقضي على الدين واللغة والأخلاق، وأشار آخر إلى أنه يسهم في إضعاف مستوى التعليم[١].

ثم إن الإذاعة والتلفاز وسيلتان لا للحفاظ على اللغة فحسب، بل في تعليمها، ونشرها. والإذاعة بوصفها أسهل وأيسر تلقِّيًا، إذْ هي تُسمع في البيت والسيارة والأجهزة الكفّية = هي «من أهم الوسائل التعليمية، وأكثرها انتشارًا، وتمتاز بخصائص إعلامية وتعليمية»[٢]، وقد بدأ استعمالها وسيلةً تعليميةً منذ الحرب العالمية الأولى، في تدريس المواد التي تعتمد على حاسّة السمع، مثل اللغات والآداب؛ ولهذا سخّرته دول كثيرة، لتتمكن من نشر لغاتها القومية[٣]، ومن المعلوم أن تعليم اللغة لغير أهلها يعني نقل ثقافتها، وتراثها، وقيمها[٤]، وحسبنا بهذا خطرًا وقيمة لهذا التوجّه في الإفادة من الإعلام.

ولعل أشهر مثال عرفه الناس وأفادوا منه في اتخاذ الإذاعة وسيلة تعليم لغوية، هو إذاعة (bbc) التي صارت أنموذجًا حيًّا على مقدار ما يمكن بذله والإفادة منه في هذا المجال.

وأما التلفاز فإن اجتماع ثنائية (الصوت والصورة) فيه يجعله قادرًا على تقديم مهارات اللغة تقديمًا أنجع[٥]، سواء أكان للناطقين بها أو للناطقين بغيرها.

ومع اتساع البث الفضائي وكثرة القنوات، بدت اللغة العربية الفصحى فيها تائهة

١- انظر: دار طويق، المسلمون في مواجهة البث المباشر، ٤٢، ٤٤.

٢- عبدالله الطاير، تجربة التلفزيون السعودي، ٢٣.

٣- انظر: السابق، ٢٣.

٤- انظر: جابر قميحة، أثر وسائل الإعلام، ١٦٤.

٥- انظر: عبدالله الطاير، تجربة التلفزيون السعودي، ٣٢.

بين تجارب محكمة متقنة، ولكنها قليلة، وأخرى غارقة في فوضى لغوية لا تكاد تجد فيها موضع إحسان.

والسبب في ذلك هو طغيان الأهداف السياسية حينًا أو التجارية حينًا آخر، أو تولية أمرها من لا يفقه أمر اللغة وخطرها، وينقصه الإدراك والفهم لأهمية اللغة القومية، وضرورة العناية بها، فيغفُل عن اتخاذ وسيلة الإعلام سببًا للحفاظ عليها وبثّ الحميّة لها.

وفي الصحافة الورقية يظهر الواقع اللغوي غيرَ مُرْضٍ، فكتابة الأخبار والتقريرات والتحقيقات الصحفية أصبحت مسنَدة لكل من أمسك بالقلم، وإن كان ضعيف الإدراك، مفكك الأسلوب، فكأن الغاية هي ملء الفراغ كيفما اتفق.

ومن يستعرضْ ما يُنشر في الصحف -وإن نَزَر الإقبال على نسخها الورقية- ويُحصِ ما يلفت النظر من إساءات للفصحى، يَعْيَ بهنَّ، فلا رؤساء التحرير فيها متمكنون، ولا كتاب التقارير والتحقيقات حريصون، ولا القائمون على التصحيح والمراجعة واعون.

وذلك يكشف أن مسؤولي الصحافة والمشاركين فيها يجهلون أو يتجاهلون أن «الإعلام في اللغة العربية نقيض الجهل؛ لأنه من مادة (علم)، فهو يرفع من مستوى الجماهير، وينشد تعاونهم من أجل المصلحة العامة»[1].

وعلى تعدد مستويات التعبير اللغوي (التعبيري الإبداعي والإقناعي والإعلامي)، فإن الجامع بينها هو القالب اللغوي السليم، وينبغي لتلك المستويات أن تتقارب؛ لأنها كلما تقاربت دلّ ذلك على تجانس طبقات المجتمع، وحيوية ثقافته، وسلامته العقلية واللغوية[2].

ومن ثم كان من الوظائف الاجتماعية للغة أنها تحقق الارتباط الروحي بين أفراد المجتمع، وقد تختلف مجموعات من الدول بيئة أو جنسًا أو دينًا، ولكنها تظل متحدة متماسكة إذا كانت لغتها واحدة، وبهذا يُفسَّر حرص الدول الاستعمارية على نشر لغاتها في الأمم المستعمرة؛ لأنها تكتسب بهذا الغزو اللغوي الفكري قلوبًا ربما لا تكسبها بالعنف والقوى المادية[3].

١- عبدالعزيز شرف، العربية لغة الإعلام، ٦٣.

٢- انظر: السابق، ٦٤.

٣- انظر: عبدالعليم إبراهيم، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ٤٥ (نقلا عن: جابر قميحة، أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية، ٨٤).

وليس ثمّ وسيلة تسهم في تقارب الطبقات لغويًّا كوسائل الإعلام، التي يمكنها أن تجعل من اللغة الفصحى سببًا يصل العاميَّ بالخاصّيّ، والمتعلم بالأمي، ويهيّئ لمن قلّ حظه من القراءة والنظر وتثقيف النفس أن يرتقي نمط تعبيره وأسلوب كلامه أو استعماله للّغة.

وليس المراد بالفصحى أن تكون لغة التقعّر -كما أوهمت الناسَ المسلسلاتُ التاريخية- بل المراد أن تكون فصيحة خالية من التعقيد والغريب واللغة المجازية، فهي في هذا المقام لغة إعلامية تواصلية، يُنتظر أن تتّسم بالمرونة والقدرة على الحركة، وتستوعب منجزات الحضارة، وتطور العلم، وتغيّر أنماط التلقي[1].

وفي سبيل كشف الواقع اللغوي اللغوي رصد بعض الباحثين أن من سمات المتحدثين اللغوية في وسائل الإعلام كثرةَ الأساليب غير العربية، التي نقلها التراجمة الضعفاء[2]، وتلقّفها الإعلاميون، ثم استقرّت عند طبقات من المتلقين غير قليلة. وخرقها يزداد اتساعًا وتهلهلاً مع فشوّ الإعلام الجديد، وقدرة كل من ملك جهازًا كفيًّا أن يقول ما شاء بما شاء فيما شاء!

إننا نقف على مظاهر جامعة للإساءة إلى العربية في وسائل الإعلام كلها، ويمكن أن أوجزها فيما يلي:

- تسمية القنوات بأسماء أجنبية، وكتابتها بالحرف اللاتيني أو بالعربي.
- تسمية البرامج بأسماء غير عربية، وهذه تكاد تكون هي الغالبة على بعض القنوات، مثل (مع الشِّيف)، (ثيرتي منتس)، (رتويت)، (ريبورتاج).
- استدعاء الكلمات الأجنبية في أثناء البرامج بلا داع، كأن يقول المذيع: (يمكنك الاتصال بالكنترول)، (وهذا الأمر سُوْمتش)، (التيم تبع البرنامج)، (وهذا مكسيموم)، (نعمل تست).
- إهمال الصياغة الصحيحة للأخبار والتقريرات والمقالات.
- تولية الضعفاء العمل الإذاعي والصحفي.
- إهمال الكتابة الصحيحة لما يظهر على الشاشة.

١- انظر: عبدالعزيز شرف، العربية لغة الإعلام، ٨٢.

٢- انظر: عثمان الصيني، السمات اللغوية للمتحدثين في البرامج الإذاعية (ضمن بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي)، ٤/ ٦٧.

وبعد: فما الذي تفيده وسائل الإعلام من اتخاذ العربية الفصيحة لغة لها؟ وهل المسألة متبادلة؟ أي أن هذه الوسائل تفيد من العربية والعربية تفيد منها؟

والإجابة عن هذا تقتضي تأملَ ما مضى بسطُه، ثم النظرَ في مآلات التفكير الجماعي، والوحدة اللغوية وتثبيت الهوية الفكرية والوطنية:

إن وسائل الإعلام رِدْءٌ للتعليم، وهي أكثر أثرًا منه لو قُيِّض لها أهل الفكر والمعرفة والوعي الحضاري والثقافي، وكم من برنامج أثّر في الأجيال ما لم تؤثّر شطرَه مقرراتُ التعليم ووسائله ونظرياته. والبرنامج المشترك الإنتاج (افتح يا سمسم) أكبر دليل على ما يستطيعه الإعلام والقائمون عليه من إحداث أثر إيجابي واسع، فقد كان لهذا البرنامج التعليمي الترفيهي تأثير في لغة أجيال كثيرة، وحسنًا صنعت مؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك في دول مجلس التعاون إذْ أصدرت سلسلته الثانية وشرعت بعض القنوات في بثها.

والمأمول أن تجدَّ تلك المؤسسة الرائدة في إنتاج برامج أخرى تضادّ هذا السيل من الاستعجام، وتفسح الطريق تجاه لغة نقية يتلقاها الأطفال والناشئة تلقّيًا عصريًّا متقنًا.

لقد كان من المتوقع أن يتحمّل التلفاز جهدًا موازيًا في تقوية اللغة المنطوقة، ولكنه أهدر كل ذلك، وضيّع فرصًا عظيمة لجعل الفصحى لغة البرامج الحوارية والمسلسلات ونحوها، ولهذا أسهم شيوع العاميات والركاكة في برامجه على مدى نحو نصف قرن إسهامًا سلبيًّا في التشتت والازدواجية اللغوية عند الجمهور[1].

والحقّ أن اعتياد المذيعين والمعلّقين النطقَ باللغة الفصيحة الميسّرة في البرامج أمر سهل ميسور، وفي بعض القنوات ذات الوعي بقيمة اللغة شواهد تؤيّد ذلك، فقد صارت الفصاحة أشبه بالسجيّة على ألسن بعض مذيعيها.

وإن لمذيعي البرامج الإذاعية والتلفازية مهمةً كبرى في نقل مفردات اللغة، وإشاعتها، وتصحيح نطقها؛ لأن صلتهم بالجمهور مستمرةٌ[2]، وإن فُرّط بهذه المهمة وقع الضدّ، إذْ إن إسناد العمل الإذاعي لغير الأكفياء لغويًّا، الواعين بقيمة اللغة وأثرها، يسهم في انحطاط المستوى اللغوي والذوق الأدبي.

١- انظر: عبدالله الحقيل، العلاقة بين التعرض لوسائل الإعلام الجماهيري والقدرة النحوية، دراسة تطبيقية (ضمن بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي)، ٤/ ١٤٢.

٢- انظر: ثروت عبدالباقي أحمد، أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية (ضمن بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي)، ٤/ ٣٥١.

وعليه، فإن مما يحسُن بالقائمين على الإعلام التنبه إليه وإيلاؤه العناية والاهتمام أن يدركوا أن صفاء اللغة ونقاءها على ألسن مذيعيهم حريٌّ بأن يحقّق للّغة تمكّنًا في أذهان المتلقين، بل إنه يحقّق لأصواتهم -بما فيها من فكر وثقافة- انتشارًا أوسع، وتأثيرًا أكبر، ثم إن ذلك باب واسع من أبواب التربية اللغوية، وحصنٌ للأجيال من ذوبان لغتهم وضعفها[1]، وفي هذا أيضًا ضربٌ من تبادل المنفعة بين اللغة الفصحى ووسائل الإعلام.

ومن منافذ الإفادة من الإعلام في نشر الفصحى تعليمها لأهلها وللناطقين بغيرها، وقد كانت تجربة التلفاز السعودي في برنامج كان يبثُّه قديمًا باسم (دعونا نتعلم العربية) ناجحة نجاحًا نسبيًّا، وكان ينقصها الاستعانة بالخبراء من اللغويين والإعلاميين[2]، ومثلها تجربة التلفاز العراقي في إنتاج برامج تمثيلية لتعليم النحو العربي، مثل (مدينة القواعد) الذي كان له من الأثر والتغيير الحسن نصيب كبير. غير أنها تجارب لا تندرج ضمن مشاريع رؤيوية بعيدة المدى، ولذلك تموت أو تُنسى إذا ذهب الفريق المتحمّس لها!

ومن المهم تبنّي هذا المبدأ التعليمي للتلفاز؛ فإن الإعلام ليس خالصًا لإيصال المعلومة فحسب، بل للتثقيف والتعليم والتهذيب. وإنه لمبدأ -لو يعلمون- عظيم، ولكنّ القائمين عليه غافلون عنه أو متغافلون!

هذا في الشقّ التعليمي الصريح المباشر، أما الشقّ التعليمي غير المباشر -وهو اتخاذ العربية الفصحى وعاء ولسانًا- فهو يضمن الانتشار الأكبر والأوسع، ويعزّز قيَم الانتماء والهُويّة، ولو انكفأ كل أهل قطر على عامياتهم لما نتج إلا مزيد من الشتات والفرقة والتنابذ.

واتخاذ الإعلام العربيةَ لسانًا يضمن كذلك للعربية أن تحافظ على مكسبها الكبير بعدّها لغة حيّة، وقد كادت أن تُبعد عن دائرة اللغات الحيّة؛ لأن القائمين على منظّمة (اليونسكو) رأوا أن ما سمّوه (العربية الكلاسيكية= الفصحى) غير مستعمل، وأن المستعمل هو عربيات لهجية ملحونة (عامية)، أو مَشُوبة باللغات الأجنبية[3].

١- انظر: حمزة النشرتي، الضعف اللغوي في وسائل الإعلام، أسبابه وعلاجه (ضمن بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي)، ٤/ ١٠٠-١٠١.

٢- انظر: عبدالله بن موسى الطاير، تجربة التلفزيون السعودي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بين الواقع والطموح، ١٩٧-١٩٨.

٣- انظر: عبدالله بن سليم الرشيد، السيف والعصا، ٦٥.

إن إضعاف صلة العربية الفصحى بالعمل الإعلامي في مؤسساته التقليدية أثمر نتائجَ ما تزال تُوهِن علاقة العرب بلغتهم، أهمها: تمكين الازدواجية اللغوية بين فصحى وعامية، وإضعاف استيعاب الفصحى، والعجز عن التحدث بها أو ركاكة استعمالها، وانحدار الأساليب الخطابية والكتابية[١].

والعربية هي الجامعة الكبرى بعد الإسلام، فإذا أُهملت واستُبدلت بها اللهجات واللغات الأجنبية، فقد قضينا على وحدة عربية[٢] ما تزال هي الأمل الباقي اليوم، بعد أن فرّقت السياسات والاستعمار أقطار العرب.

المحور الثاني: وسائل الإعلام الجديدة

من الطبيعي أن تختلف اللغة في سياقها الجماهيري الجديد عن لغة الاتصال المباشر، اختلافَ البلاغة الجديدة عن البلاغة القديمة، وهذه البلاغة الجديدة تقتضي بذل جهد يحقق أمرين:

الأول: معرفة الهدف من الاتصال.

الثاني: كيفية استعمال اللغة في بناء الرسالة[٣].

وليس من قصدي هنا أن أقف عند الوظائف الإعلامية الخالصة أو الإقناعية أو التأثيرية، فالمهم هو جعل العربية الفصحى هي وسيلة التواصل، بوصف اللغة الكاملة -وهذا يصدق على كل لغة- مرآة تعكس الفكر، وتسهم في رقيه وتنقيته، وتقدم في طبقاتها العليا أوعية سالمة من الخطأ والزلل، وتعين بنماذجها المنتقاة وأساليبها المتنوعة على تَثْرية الثقافة العامة للمتلقين.

لقد كان الانفتاح الإعلامي الجديد مفاجئًا، مبعثِرًا لكل الخطط، صادمًا لكل التوقعات، فقبل نحو ربع قرن عُقدت ندوات ومؤتمرات عن مواجهة البثّ الفضائي، وإذا بالعالم يشهد طيّ صفحات كثيرة من ذلك البث، ويزوَرّ عنها جانبًا، ويلتفت إلى إعلام جديد، صار فيه المتلقي قادرًا على أن يكون إعلاميًّا مؤثِّرًا، وهو في عُقْر داره،

١- انظر: عبدالرزاق الحاج، أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية (ضمن بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي)، ٤/ ٣٨٣٨-٣٨٥.

٢- انظر: أحمد عبدالغفور عطار، وفاء اللغة العربية بحاجات العصر وكل عصر، د.ن، مكة المكرمة، ط الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ٤٤.

٣- انظر: عبدالعزيز شرف، العربية لغة الإعلام، ٤٧-٤٨.

وليس في يديه سوى جوّال أو حاسوب أو غيرهما من الأجهزة التي توصف بالذكاء وَلَمَّا

وأظهرت هذه الثورة الاتصالية تغيّرًا جديدًا في علاقة المتلقّي بمصدر المعلومة ومرسلها، فأصبح بمقدوره التفاعلُ معها والتأثير فيها، فأسهم هذا في تغيير علاقة الإعلام التقليدي بالجمهور، وإلى تبني بعضه طرقًا جديدة لمواكبة ذلك التحول[1]. ومن ذلك التفاعل الحسن أن صار للمهتمين باللغة قدرة على إيصال أصواتهم إلى القائمين على الإعلام بلا حواجز، وكان لبعضهم تأثير إيجابي في دفع بعض القنوات والصحف إلى العناية باللغة الفصحى.

غير أن مشكلة هذا الإعلام الجديد أنه خارج عن السيطرة، متمرّد في كثير من مظاهره على الأعراف الحسنة، متغيّر في فترات متقاربة جدًّا، حتى صارت متابعته ضربًا من الهوس الاجتماعي، الذي ضاعت في خضمّه كثير من القيم، واختلط فيها الجيد بالرديء.

ومن ظواهره الـمَشينة أن اللغة الفصحى فيه مستباحة، وإلا فمهملة، وإلا -وذلك أسوأ ما يُرى- فمحارَبة متعمَّدٌ أن يُساء إليها ويُحَطَّ من شأنها، وكم من الحسابات والمواقع الشبكية التي جعلت وُكدَها السخريّة بها، والغمزَ من جانبها، ومنها من اتخذ الإفساد الكتابي وسيلةً للشهرة! وهذا أمر لفت نظر بعض الإعلاميين -أعني أمر ضعف اللغة في تلك الوسائل- قبل اللغويين[2].

ولذلك كانت الغلبة في هذا الإعلام الجديد للرداءة والإسفاف، لأسباب ليس من شأني بسطها والتعليق عليها في هذا المقام. غير أن الذي أنا بصدده هو النظر في مواقف الإعلاميين الجدد من اللغة العربية (ولا سيما الفصحى)، ومدى تمكنهم منها، وقدرتهم على البثّ بها، وقبل ذلك مستوى وعيهم اللغوي.

لقد أشار جمهرة من الباحثين إلى أن لغة التواصل العربي في تلك الوسائل تتنازعها عامية و(عربيزية) و(عربيتينية)، أو (لغات هجينة) تختلط فيها الكلمات العربية والإنجليزية والفرنسية، وتُكتب فيها بعض الأرقام بديلاً لبعض الأحرف العربية، ورأى بعضهم أنها صارت عادة يومية راسخة عند بعض الشباب العربي، وطَمْأَن

١- انظر: أسامة النصار، الصحافة ووسائل الاتصال الحديثة (ضمن: الإعلام اليوم حواجز بلا حدود)، ٤٢.

٢- انظر: أحمد بن عبدالملك، الرقابة وعصر التطورات التكنولوجية في الإعلام (ضمن: الإعلام اليوم حواجز بلا حدود)، ١٣٧.

بعضهم المتلقي بأن السواد الأعظم منهم لا يفضِّل هذه الكتابة الهجين، ولكنّ الهوى العام والممارسة السائدة هي لتلك الأصوات التي لا تبالي من أمر سلامة اللغة بشيء[1]!

وبمتابعة متأنّية لبعض الحسابات، وبالنظر في حسابات أمرّ بها عرَضًا على عجل، وجدت أن أغلب مستعملي موقع التغريد (تويتر) من عامة الناس وخاصّتهم، مغموريهم ومشهوريهم، لا يبالي أن يكتب كيفما اتفق، بلغة مكسّرة، أو بلهجة منحدرة مستغلقة، كالذي نراه في هاتين التغريدتين:

١)

هاذي أملي لعبة قديمة ينكاله أنقاج
تراقجليت عشية اتغني أغناها ما ينهولني ...
#عيد_سعيد وكل عام وأنتم بألف خير .....
fb.me/3aYsSX3qg

٢٠/١/٢٠١٤، ٥:١٠ م

٢)

ياكاع ترابج كافور عالساتر هلهل شاجور
كلنا تعنينا رجعنا الرادي لاوينه مكسور ذراع
إي والله وعونج ياكاع دار العدوان نساويها
نكلب أسفلها بعاليها

٥/١/٢٠١٤، ١:٢٦ ص

وهذا النمط من ارتضاخ العامية الضيّقة كثير، وهو عند صغار المغرّدين شائع! وإن عُذِر بعض هؤلاء، فلن تجد عذرًا لمغرّد مشهور، قد يكون أستاذًا جامعيًّا، أو أديبًا، أو كاتبًا صحفيًّا، يتخذ العامية أو الفصيحة الركيكة المختلة نحوًا ولغة وأسلوبًا، وسيلةَ اتصال بينه وبين الناس!

وأسوأ ما أثمرته وسائل التواصل علوُّ شأن بعض التافهين ممن تعمّد الإساءة إلى العربية، فجعل من حسابه في موقع (تويتر) وكرًا يسخّره للعبث بالإملاء، وليس العجَب هنا فحسب، بل العجب العاجب أن يتابعه مئات الآلاف وفيهم عقلاء، كان

١- انظر: مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة، ٣٢٠، ٣٤٥ ومواضع أخرى تركت ذكرها اختصارًا.

الظنُّ بهم أن يكونوا على قدرٍ عالٍ من الوعي بما ينتجه ذلك العابث من استخفاف بالعربية وعضْدٍ لخصومها، وفي الصورة التالية أنموذج مما يكتب:

يخون رجئن لتنسون صلاة الاستسقاء رحه نفسياه

١٠/١١/٢٠١٦، ٥:٤٥ ص

ولئن أساء هذا العابث في استعمال تلك الوسيلة التواصلية المهمة، فقد أحسن جمهرة من مستعمليها[1]، ولكنّ متابعي بعضهم لا يبلغون واحدًا في المئة من متابعي المفسِد! فهذا أحدهم -وهو الدكتور عبدالعزيز العُمري- يتخذ من حسابه وسيلة لإعزاز تعريب أسماء المحالّ التجارية، فيقترح في سلسلة طويلة أسماءً انتقاها من بطون المعاجم؛ لتحلّ محلّ الأسماء المستعجِمة، كالذي يُرى في الصورة اللاحقة:



ويستوقف النظر أن بعض الجهات ذات الصلة بالتعليم تُسنِد أمر الكتابة في حساباتها على مواقع التواصل إلى ضعفاء، يسيئون إلى أهداف المؤسسة نفسها التي أنشئت من

١ - راجع: عبدالرزاق الصاعدي (محرر)، واقع النشاط اللغوي في مواقع التواصل الاجتماعي، تويتر نموذجًا، ١٠٩ وما بعدها.

أجلها، وإلا فكيف يقع الضعف الإملائي في حساب كهذا الذي أنقل الصورة التالية منه، وهو يتّكئ على شعار وزارة التعليم السعودية؟



وفي توظيف هذا الإعلام الجديد تبدو ظاهرة أخرى مقلقة، وهي أن بعض الهواة من المقتدرين على بث مقاطع مرئية، أو ترجمتها، يتخذون العامية -مسموعة ومكتوبة على الشاشة- وسيلة لهم، وفي الترجمة بخاصة يبدو عندهم أثر الثقافة اللغوية الضحلة، وسوء الفهم للتواصل اللغوي الصحيح؛ ولذا رأيت في بعض مقاطعهم المترجمة أنهم يخاطبون المتلقي بإسفاف لغوي لا أبالغ إن قلت: لا نظير له!

ويندرج في سياق توظيف الوسائل الحديثة أيضًا في الإساءة إلى العربية ما دُعي إليه في مصر من اتخاذ ما سُمّي (اللغة المصراوية) وسيلة كتابة وتخاطب في وسائل التواصل، وزِيد في تضخيم الأمر وتهويله حتى كُتب به في موقع (ويكيبيديا). فصار القارئ يدخل على المادة من هذه الموسوعة، فيجدها بتلك اللهجة المغرقة في سطحيتها وتفاهتها وفسادها، بل فساد الغايات التي أنشئت من أجلها، فقد جاء في أحد المداخل:

"تكتب المقالات باللهجة المصريةبحروف عربية، وتوجد بعض المقالات المكتوبة بحروف لاتينية، ورغم أن اللهجة المصرية هي لهجة غير مكتوبة بالأساس، ولا يوجد لها قواعد واضحة في الكتابة، إلا أن القائمين في الويكيبيديا المصرية يحاولون إيجاد طريقة موحدة للكتاب"[1].

١- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، ar.wikipedia.org بتاريخ ٥/ ٢/ ١٤٣٨هـ، ٥/ ١١/ ٢٠١٦م.

فمِن الغايات الفاسدة إذن التمكين لهذه الكتابة وإيجاد طريقة موحّدة لها!

وهذه الدعوة -وإن لم تلقَ رواجًا يُذكر- خطيرة؛ إذْ هي إحياء لدعوات الانفصال اللغوي التي نودي بها في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي). ولا شكّ في أنها تباعد ما بين المصري ولغته، وتفصم علاقته بسائر العرب، فضلاً على أنها تضع بينه وبين تراثه سدودًا يُعجِزه تجاوزُها إن مُكِّن لهذه الظاهرة المقلقة.

إن العرب الذين يستعملون غير العربية في وسائل التواصل، أو يسهمون بالكتابة باللهجات العامية، يفرّطون في كثير من قيم العربية، التي من أهمها أنها الجامعة لهم على تعدد أقطارهم، وأنها توسّع دوائر تلقّي نتاجهم، وتزيد من تأثيرهم.

وعلاج هذه الظاهرة لن يتأتّى إلا بجهود كبيرة متضافرة، تجتمع على تحقيقها وزارات التعليم والإعلام والمؤسسات ذات الصلة بخدمة العربية كالمجامع اللغوية.

ولن يُستطاع القضاء عليها إلا ببرامج توعية مكثّفة، تتخذ من السلطة السياسية ردْءًا يشدّ من أزرِها، ويحقق لها التأثير والتغيير.

المحور الثالث: إعلام الطفل وحاجته إلى اللغة العربية:

بالنظر إلى أهمية اللغة في تربية الطفل، خصصتُه بمزيد من النظر والتأمل للواقع اللغوي الذي يعيشُ فيه، أو الذي يرادُ له أن ينتقل إليه.

إن الطفل يكتسب في سنوات عمره الأولى لغته الأم، فينطق بها ويتفاهم بها، بل يعيش بها، فتكون جزءًا من حياته وشعوره.

واكتساب اللغة يكون في البيت والمدرسة والبيئة، ثم في وسائل الإعلام التقليدية وفيما يسمى الإعلام الجديد الذي تجاوز في خطره وأهميته الإعلامَ التقليدي كما أسلفت.

ولما لِلُّغة في هذه المرحلة من الخطر والأهمية، ولكون اللغة هي أجلى مظاهر الانتماء والهُوِيّة؛ كان لزامًا أن تُضبط الوسائل التي تؤثّرُ في مستوى إدراك الطفل لها، وفهمه لأنماطها، وأن تُسَنّ قوانينُ، ويُعمَلَ بإجراءات صارمة تحمي اللغة، وتعين على تقديم اللغة تقديمًا صافيًا جيّدًا، يُجنِّب الطفل تلك المخاطر والإشكالات التي ظهرت منذ أمد، وزادت مع اتساع الإعلام الجديد.

ومن المظاهر السلبية في وسائل الإعلام التقليدية التي تشكل خطرًا على لغة الطفل ما بدأ واتسع في السنوات العشر الأخيرة، وأبرزها:

- إهمال الفصحى إهمالًا كاملًا في البرامج المباشرة، وضعف إعداد المذيعين في قنوات الأطفال. ولا يُستثنى من هذا الحكم سوى قنوات قليلة، يلتزم فيها المذيعون لغةً فصيحة حتى في أثناء البث الفوري، على ما عندهم من هنات وأخطاء، تُغتفَر بالنظر إلى جهدهم المبذول في الأداء السليم.
- تحوُّل قدر لا يُستهان به من منتجي الرسوم المتحركة إلى العاميات، وقد بدأت به قنوات خاصة، ثم قلّدتها قنوات رسمية، فصار الطفل يتلقى الرسوم المتحركة بالعامية القاهرية والنجدية والكويتية[١] وغيرها، وآخر ما رأيته من هذا هو إنتاجها باللهجة المغربية[٢]. وكلٌّ ذلك نذير خطر كبير؛ فهو يزيد الانشعاب بين اللغة والطفل، بل يصعِّب عليه تلقي اللغة الفصحى الصافية، ويحجُزه عن التجاوب الشعوري معها، فضلًا على أنه يقلّل فهمه واستيعابه لما يُقال ويكتب بها، ودع ذكر الهُوية والانتماء والتشعّب والتشرذم العربي، فتلك أعسر وأشدّ خطرًا.
- تبَنّي بعض قنوات الأطفال العامياتِ لغةً للأناشيد، ومن فضول القول أن الطفل يتجاوب مع الشعر المغنّى به، ومن هنا يكون الأثر أشدَّ. وقد لاحظت في رصد استمر بضعة أسابيع لقنوات مختصة بأناشيد الطفل، أن الفصحى لم تَلقَ إلا النـزر اليسير من العناية، واستحوذت عامية بلاد الشام عليها، وزيد في السوء سوء آخر، إذ عمدت تلك القنوات إلى كتابة أبيات الشعر المنشَد على الشاشة كما هو بعاميته، فصار الفساد اللغوي يهيمن على الطفل مسموعًا ومقروءًا[٣].
- لجوء بعض الشركات والتجار إلى العامية أو ما يسمى (العربيزية) في إعلاناتهم ودعاياتهم. والمقصود هنا ما يُعرَض في قنوات الأطفال أو ما يُستهدَف به الأطفال، كالمنتجات الإلكترونية ونحوها. وسوف أشير لاحقًا إلى خطر لغة الإعلان على المتلقي الكبير، فكيف به غضًّا؟!

وتلك المظاهر السلبية يمكن تقويمها وتنقيتها وإعادة توجيهها الوجهة السليمة، ولاسيّما في القنوات الرسمية، إذا وُجد الإيمان والوعي والحماسة والمتابعة. ولكن

١- بثتها مجموعة إم بي سي وبعض القنوات الخليجية والمصرية، وفي شبكة الإنترنت مواقع عدة يمكن مطالعة ما يُبَثُّ بتلك اللهجات، ومنها موقع إم بي سي٣.

٢- مغامرات سالي مثلا على هذا الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=INJ6VrbVq1k

٣- يراجع: عبدالله بن سليم الرشيد، اللغة العربية في فضائيات الأطفال: الواقع والطموح، ٢٢-٢٤.

المشكلة تبدو أكثر صعوبة في الإعلام الجديد، الذي خصصته بالنظر في المحور الثاني، ولكني أعيد القول هنا؛ لأهميته في مجال مخاطبة الطفل.

لقد صعُبت السيطرة على المنجز الإعلامي الجديد -كما أسلفت- بعد أن تَحوّلَ جمهرة من المتلقين إلى إعلاميين لا يحكمهم ضابط، ولا يخضعون لقانون، سوى ما يملي عليهم حسّهم السياسي أو الاجتماعي أو ضمائرهم. وأكثرهم هُواة قد يقتدرون على الإخراج الفني الجيد الشائق الجاذب، ولكنهم ضعفاء لغويًّا، وليس عندهم من الوعي والفهم والإدراك لخطورة اللغة ما يجعلهم يتنبهون إلى ترقية مستواها.

وبعضهم انفعاليون ينتُج العمل (الإعلامي) بين يديهم خِداجًا شائهًا، من حيث قيمته الفنية أو الإعلامية ومن حيث مستواه اللغوي، وقد يكون -مع ذلك- شديد الأثر، واسع القبول عند فئات صغار السن الذين لا يطلبون سوى المتعة والتسلية العابرة.

وليس بين يدي إحصاءات أو دراسات لمستويات اللغة التي تُقدّم بها اللغة في مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل البث الجديد (تويتر، فيسبوك، يوتيوب، سناب شات، وغيرها)، ولكن المشاهَد الذي لا يحتاج إلى كثير بيان وتفصيل أن اللغة الفصحى أو الفصيحة مَضايقة فيها بما يلي:

- استعمال العامية المحلية الضيقة النطاق مكتوبة أو منطوقة، وبلغ الانحطاط اللغوي ببعضهم أن يترجم المقاطع الأجنبية إلى عامية سوقية مبتذَلة كما أسلفت.
- الكتابة بلغة جيدة، ولكن المستوى الإملائي والنحوي غير جيد. وهذا يظهر كثيرًا في مواقع أو موادَّ تقدَّم للطفل في القنوات الاتصالية الجديدة.
- أداء المادة الإعلامية بالفصيحة الركيكة أو كثيرة اللحن.
- تعمّد الإفساد اللغوي استظرافًا أو لأهداف أخرى.
- الركون إلى اللغة الهجين أو ما يسمى (العربيزي)، وهذا يظهر عند فئات المراهقين ومن هم في بواكير الشباب غالبًا، غير أنه مرشّح للتمدد ولمزيد من الانحراف.

والمشكلة أن لغتنا -بتلك الاجتهادات العشوائية وبسكوت المعنيِّين أو بضعف جهودهم- دخلت عصر الإعلام الواسع وهي تعاني من ضعف المناعة، فاستُحدِثت لغات تنتمي إلى العرب لا إلى العربية، وعمّ التلوث اللغوي جميع القنوات ووسائل الاتصال، وكل ذلك «يفسد الفكر، ويُشيع ضروبًا من الاضطراب والإرباك والقلق في العقول، وفساد الحياة العقلية للأمة، وربما تنتقل عدواه إلى فساد في معظم المجالات،

فتختلط المعاني والدلالات والمفاهيم والرموز في لغة الحوار»[١]. والمشكلة أعظم عند الأطفال؛ لأنهم في مرحلة غضّة تجعلهم يكتسبون ولا يسألون أو يتساءلون، ويتطبّعون بكل ذلك الانحراف والفساد. والأثر بعد ذلك كبير على مستويات فهمهم واستيعابهم، وقدراتهم اللغوية كتابة ونطقًا.

وكل تلك المظاهر ناتج في الغالب عن غياب الوعي أو ضعفه، وعلاج ذلك لن يتحقق إلا ببرامج طويلة المدى، تشارك فيها الجهات التربوية والتعليمية والثقافية. وإن تُركت الأمور على ما هي عليه، فكأننا نسلّم أمر تربية أطفالنا للشوارع، أو المفسدين، أو الفارغين.

إن ما سبق ذكره يشمل ما يُخصّ به الأطفال وما يقدّم للجميع، ولكن الأطفال أكثر تأثرًا، وتلك السلبيات أسرع علوقًا بأذهانهم وألسنتهم من الكبار.

المحور الرابع: الإعلان (أو الإشهار) واللغة العربية الفصحى:

الإعلان التجاري أو الإشهار نوع من الإعلام ذي الهدف التجاري الصرف، وقد بات له من الظهور والانتشار والتأثير ما هو معلوم.

وهذا الإعلان من أقدر الأعمال الإعلامية على الترسُّب في النفوس؛ لأنه يتكرر في الـمَشاهد مرارًا، ويفاجئ العين في كل مكان، ولا سيما بالملصقات الدعائية كبيرة الحجم، والإعلانات التي توزّع في منشورات، وقد تكون من النوع عالي التقنية الذي يستعمل فيه الصوت والصورة والضوء[٢].

وواقعه يكشف أنه بعيد عن العربية الفصحى إلا في النَّدَرَى. فأكثره يروِّج للعاميات، أو لِلّغات الأجنبية، أو يكون بلغة عربية مكسّرة، أو مليئة بالأخطاء الإملائية واللغوية والنحوية، التي تنطوي على كثير من الإفساد للذوق الفني واللغوي[٣]. وهذا الانحدار قديم قِدَم انتشار وسائل الإعلام، على ما بُذِل في الدعوة إلى تنقيته والسموّ به[٤].

بل إن بعض كبريات الصحف في قلب الجزيرة العربية لا تبالي أن تنشر للتاجر

١- برنامج ريادة، اللغة العربية في الفضائيات، التقرير الخامس من منتجات برنامج ريادة، مؤسسة الرشيد للإعلام، الرياض، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٩٣-٩٤. بتصرف.

٢- انظر: جابر قميحة، أثر وسائل الإعلام، ٩٨.

٣- انظر: السابق، ٩٩.

٤- انظر: أحمد عبدالغفور عطار، قضايا ومشكلات لغوية، مكتبة تهامة، جدة، ط الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م، ٢٣.

إعلانًا يدابر قواعد العربية، ومن نماذجه ما نشرته صحيفة الجزيرة في ربع صفحة، وهو إعلان في ست كلمات، كُتبت عريضةً، وفيها خمسة أخطاء فادحة!! ونصه كما كُتب: (**إشتري إثنان وأحصل على واحدة مجانا**)[1]، وصوابه الذي لا أعرّف القارئ الواعي به لوضوحه: (اشترِ اثنين واحصل على...).

المسألة المهمة هنا: أن الجريدة تتحمل جزءًا من التبعة، ولا عذر للمدقق اللغوي. ثم إن فشوّ الأخطاء على هذا النحو يهدم جهداً كبيرًا يبذله المربون والمعلمون، وتؤكّده مناهج التعليم من ضرورة الارتقاء بالمستوى اللغوي.

إن الإعلان أو الإشهار في كلامي هذا يشمل أيضًا: أسماء الشركات والمؤسسات والمحالّ التجارية، وما يصدر عنها من دعايات وترويج بين الجمهور.

فأما الأسماء التجارية ففي كثير من الدول العربية نُظُم حامية للعربية ملزمةٌ بالعربية، ولكنّ العمل والتنفيذ مخالف لها في جزء لا يُستهان به.

وفي العَقد الأخير تضاعف ما أسمّيه (الاستعجام) في لغة التجار، فغصّت شوارع المدن العربية بأسماء شركات ومحالَّ عجَمية تُكتب حينًا بحرف عربي، وتكون أحيانًا بالحرف اللاتيني أي بلا أثر للحرف العربي مطلقًا.

وما لاحظته في هذا الصدد موجَز فيما يلي:

- اسم المحلّ غير عربي مكتوب بالحرف العربي وهو مخالف للنظام في السعودية.
- اسم المحلّ غير عربي مكتوب بالحرف اللاتيني وهو مخالف للنظام أيضًا.
- اسم المحل عربي ولكنه يكتب بحرف ضئيل لا يكاد يُقرأ، ويُبرَز الاسم بغير العربية، مثلاً: يوم القهوة (مكتوب بحرف ضئيل)، وترجمته: كوفي داي coffee day (مكتوب بحرف كبير).
- الإعلان الداخلي أي في داخل المحالّ بغير العربية.
- الفواتير بغير العربية. ولما ألزمت وزارة التجارة مع مطلع عام ١٤٣٤هـ المحالّ كتابتَها بالعربية لم يُعرّب منها إلا أسماء البضاعة المشتراة، وبقي اسم المحل وتفريعات جدول الفاتورة وما يحيط بها بالإنجليزية!

كل تلك ظواهر مندرجة في موضوع الإشهار بغير العربية، وهي تفسد علاقة العربي بلغته، وتوقع في وهمه أنها ليست صالحة للتجارة، ويقال له بلسان الحال: إن هذه ظاهرة عالمية، فالإنجليزية عالمية مشهورة! ولا ضير من استعمالها في بلداننا!

١- جريدة الجزيرة، العدد ١٣٩١٥، الصادر يوم الأربعاء ٢٦/ ١١/ ١٤٣١هـ.

ومن أسوأ ما درجت عليه بعض الشركات والمؤسسات العامة والخاصة أنها استعانت بوسائل التواصل في بثّ إعلاناتها، فجاءت بقضّ الفساد اللغوي وقضيضه، وروّجت عامدةً لاستشراء الكتابة بالعامية، كهذا الذي تراه في حساب واس (وكالة الأنباء السعودية) في (تويتر)، إذْ حوى خطأً إملائيًّا في كتابة لفظ (اللاجئين):



وهنا أنموذج آخر من حساب شركة الاتصالات السعودية، وفيه ارتضاخ للعامية عجيب:



وهذا مثال ثالث نشرته وزارة الصحة السعودية، ويبدو أنه كُتب بلغة شبيهة بما يُخاطَب به الأعاجم:



والحق أن السعي في علاج هذه الظواهر الـمَرَضية لم يكن على الدرجة المطلوبة، بل إن في وزارة التجارة نفسها من الموظفين من لا يفقه تفاصيل الأنظمة، ولا يفهمها إذا نوقش. وها هنا يبرز سبب آخر من أسباب ضعف العناية بهذا الأمر المهم ومتابعته، وهو ضعف جمهور الموظفين فهمًا ووعيًا وحماسة.

ويشهد لضعف أولئك الموظفين، وغياب الوعي عنهم، ظهور لافتات مليئة بالأخطاء ممهورة بشعارات مؤسسات حكومية، تأمّل هذا المكتوب هنا: (أنشأت) الصحيح: (أُنشِئت)



هذا، وقد عرض عدد من الدارسين لأثر الإعلان لغويًّا على الناس، ولا سيّما الأطفال، ورصد بعضهم ظواهر مقلقة، أهمها أن أعلى الصحف المصرية عناية باللغة -وهي صحيفة الأهرام- كانت تموج بأخطاء الإعلانات التي صارت لكثرتها كأنها

صواب لا يُناقش[١]!

ويشير باحث آخر إلى الآثار السلبية للإعلانات التي لا تهتم بالأهداف القومية ولا بأصول اللغة وقواعدها، ويذكر أنماطًا من الارتجال والقوالب الهجينة التي تُصَبّ فيها، وذكر أن أخطر ما فيها هو تأثيرها في النفوس وبقاء أثرها السيّئ، ولا سيما في مراحل الطفولة والنشأة الأولى[٢].

والحق ما قيل، فإن أغلب ما يقدم من إعلانات يتخذ العاميات وعاء، ففي إحدى الدراسات الإحصائية كشف الباحث قبل نحو عقدين أن ما يقدم في التلفاز السعودي (القناة الأولى) مقسم على هذا النحو:

من بين ٣٢ إعلانًا قُدِّم ٢١ منها باللهجة المصرية (بنسبة ٦٢,٦٥٪)، وثمانية إعلانات بالفصحى (بنسبة ٢٥٪)، وإعلانان بلهجة سعودية (بنسبة ٦,٢٥٪)، واثنان باللبنانية (بنسبة ٣,١٣٪)[٣].

وفي النطاق التجاري أيضًا نجد أن ما تحرص عليه الشركات والمؤسسات الخاصة هو العامية وسيلةً للاتصال بالناس! انظر مثلاً هذا الإعلان الذي يمكن تحويله إلى عربية سليمة بيسر:



١- انظر: جابر قميحة، أثر وسائل الإعلام، ٩٩-١٠٤

٢- انظر: حمزة النشرتي، الضعف اللغوي في وسائل الإعلام، أسبابه وعلاجه (ضمن بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي)، ٤/ ١٠٠-١٠١. والكلام لأحمد محمد معتوق، من مقالة نشرتها مجلة الفيصل في عدد لم يذكر الباحث رقمه.

٣- انظر: سامي الشريف، الأطفال ومحتوى الإعلانات في التلفزيون السعودي، ٢٣٦ (نقلا عن: جابر قميحة، أثر وسائل الإعلام، ٩٧).

وأمثال هذا الإعلان الزائغ عن السَّنَن كثير، بل يمكن أن يكون هو الأصل الذي يُرى كلَّ يوم، وهذا التالي شبيه به، ويكاد ينتشر في كل بلد عربي!



بل إن وتيرة العُجمة والاستعجام واتخاذ غير العربية وسيلة إعلانية قد زاد في العقد الأخير (١٤٢٧-١٤٣٨هـ) كما أسلفتُ أعلاه، وهذا أمر لا تكاد تخطئه العين في المدن العربية، بل في قلب الجزيرة العربية وأطرافها!

لقد صار من الطبيعي عند جمهرة من المنتجين المعلنين والناس المتلقين أن يكون الخطاب الدعائي أو الإشهاري عاميًّا صرفًا، أو أجنبيًّا عجَميًّا. بل تدنّى حتى بلغ دركةً من السوقية لا تطاق.

ومن أسباب ذلك غياب الإدراك لخطورة (تعجيم المجتمع)، والاستهانة باتخاذ العربية الفصيحة، بلْهَ الفصحى، لسانًا يصل بين المنتج والمستهلك، وغياب الأنظمة الرادعة، أو ضعف العمل بها.

إن تفصيح الإعلان مُيَسَّر لمن شاء، ويمكن به أن «يتسامى الإشهاري والمنتِجُ عن مثل هذا الأسلوب العامي في الإشهار؛ لأنه يحطم قانون اللغة العربية، ولن يعوزه أن يستخدم ... العبارة الفصيحة»[1]. ولكنه الوعي المغيَّب والتأثير السلبي لطوائف من العجم وبعض العرب المستعجمين.

ومن الظواهر المؤسفة أن تُبسَط خِرَق دعائية كبرى على ناطحات السحب في قلب الجزيرة العربية ليس فيها سوى (opening soon) أو (now open)، ودع ما سوى ذلك من ارتضاخ العامية عند كبار التجار وصغارهم، فالأمر في هذه أكبر، ودع أيضًا ما ابتُليت

١ - عبدالله القرني، لغة الخطاب والإعلان التجاري، اللوحات الإعلانية نموذجًا (ضمن اللغة العربية والإعلان) ص٢٣٠.

به لغة التجارة من فساد في أسماء الأسواق والمحالّ -وقد أشرتُ إليها سلفًا- فتلك أعظم، وقد صار من نتائجها السيئة أن تستعجم أسماء الأسواق بـ(mall، market، gallery، blaza) بدلًا من (سوق) أو (مركز تجاري) أو (معرِض)، وأن تختلط قوانين العربية بغيرها، وتفسد السلائق. كارتضاء تقديم المضاف إليه على المضاف في مثل (الرياض قاليري، دبي مول)!

وبلغ الأمر ببعض الشركات أن ألغت العربية إلغاء كاملاً في تعاملاتها وإعلاناتها ومنشوراتها؛ واعتمدت بعض شركات التسويق العقاري اللغةَ الإنجليزية اعتمادًا كاملاً، إذ تضع لوحاتها الكبيرة على المنشآت وفيها (4rent or sale) وتهمل العربية إهمالا واضحًا، ولا شكّ في أن هذه مخالفة كبيرة ذات أثر سلبي على الأجيال المتلقية[1].

هذا، وقد أوجزت فيما سبق ظواهر مسيئة للغة العربية في لغة التجارة، ويحسُن أن أعيد ذكرها مشفوعة بالنماذج المفصّلة:

١) استعمال الألفاظ غير العربية في تسميات الأسواق والشركات والمحالّ التجارية ونحوها، ومنها: (مول، بلازا، هاوس، كافيه، قاليري، كلوب، سوبر ماركت، ميني ماركت، ستور، فيشن، كوفي، هوم، هاوس).

٢) التحايل على النظام الملزم بالاسم العربي، وذلك بإثبات الاسم العربي في سجلات الوزارة والغرفة التجارية وغيرهما، واتخاذ الترجمة الأجنبية اسمًا يُثبت في اللوحات ودفاتر الفواتير وغيرها، مثلا: (شك تايم)، فاسمه الموافَق عليه في السجلّ التجاري هو (وقت الصيانة)، و(العليا فيشنز)، وهو مقيّد في السجِلّات باسم (أزياء العليّا) و(الخليج ستور) المثبَت باسم (متجر الخليج)!

٣) استعمال التركيب غير العربي في صياغة الأسماء، مثل: تقديم المضاف إليه على المضاف، وهذا مخالف لقواعد اللغة العربية، ومن نماذجه التي كادت تصبح واقعًا لا يُتنبّه إلى خطئه الجسيم: (الكيف كافيه، السيف هوم، المصيف هاوس...).

٤) استعمال أسماء أجنبية بحروف عربية، مثل: (فيشن كلر، رست نايت، هوم

١- كانت لي تجربة مع شركة (بصمة للتسويق العقاري)، فقد كانت تضع إعلاناتها على ذلك النحو المشار إليه أعلاه، فنشرتُ بضع تغريدات مع صور، وأشركتُ حساب هذه الشركة على موقع (تويتر)، فاستجابت استجابة جزئية، إذ أضافت بالعربية تحت الكلام الإنجليزي (للإيجار أو للبيع). وهذا أمر جيّد، يكشف أن كثيرًا من التغيير اللغوي الحسن قد يتولاه أفراد لا مؤسسات.

رست). والاحتجاج بهذا على أنهم عملوا بالنظام! وقد قال أحد موظفي التجارة مرة لما عُرض عليه نموذج من هذا: أين المشكلة؟ ما دام كتبها بالعربية فلا إشكال!

٥) تسمية المنتجات بأسماء غير عربية، وكتابتها بالحرف العربي، مع أن البديل العربي واضح هيّن، وهذا مثال تجده في الصورة التالية (سكْويرْزْ= مربّعات) وهو منتَجٌ سعودي:



٦) كتابة الاسم الأجنبي للشركة وإهمال كتابة الاسم بالعربية، وهذا يظهر في المحالّ التي تملأ فروعها الأسواق والمجامع التجارية، بل إن بعض فروع الشركات تهمل العربية حتى في داخل محالّ العرض، فاللافتات التي تشير إلى التخفيضات أو الأقسام الداخلية كلها بالإنجليزية!

٧) إهمال طباعة (الفواتير) بالعربية والتحايل عليها (راجع ما ذُكر أعلاه).

٨) استعمال الحرف اللاتيني شعارًا للشركات العربية، وإهمال الحرف العربي، فالشركة التي يبدأ اسمها بالباء أو الفاء لا تضع (ب، أو ف) بل تضع (b، أو f)! فشركة الاتصالات السعودية مثلا جعلت شعارها (stc)، وكان بإمكانها اختصاره بحروف عربية، مثل (اتصالات) أو (اتصال) أو (شاس=مأخوذ من الحروف الأولى للكلمات الثلاث المكوّنة لاسم الشركة). وبلغ الأمر في هذا القَرِيّ مبلغًا مضحكًا -وشرّ البلية ما يضحك- فأحد المطاعم الشعبية اختار لشعاره هذا الرمز اللاتيني (RR)!

تلك ظواهر شائعة في كلّ البلدان العربية، وتزداد ضراوة في بلدان الخليج التي يكثر فيها غير العرب، ممن تسنّموا مناصب إدارية في مؤسسات وشركات كبرى، وبعضهم عرب لا وعي عندهم، ولا تفكير إلا في الجانب المادي التجاري الصرف، وألقي لهم

الحبل على الغارب، فأفسدوا اللغة، واتخذوا شعارًا واطأهم عليه بعض الإعلاميين، وهو أن الإعلان ملك للمعلن، وأن المهم هو نجاح الإعلان، بلا نظر إلى قيم تُهمّ اللغويين والتربويين. وهذا مبدأ هدّام، ينبغي لذوي الأمر ألا يقبلوه، وأن يجعلوا مراقبة الإعلانات مضمونًا ولغة من الواجبات التي لا يُفرَّط بها[1].

ولو نظرنا إلى المسألة من جهتها الرسمية لوجدنا أن النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية يقرّر أهمية العربية وحمايتَها، والتعاملَ بها رسميًّا، وقد أصدر مجلس الوزراء السعودي قرارًا برقم ١٣٣ في اليوم السابع من شهر شعبان للعام الهجري ١٤٢٠هـ، خاصًّا بـ «نظام الأسماء التجارية»، وتُوّج بمرسوم ملكي رقم م-١٥ صدر بتاريخ ١٢-٨-١٤٢٠هـ وفيه النص على أن العربية هي الأساس في هذا النظام، إذْ نصت المادة الثالثة فيه على أنه: "يجب أن يتكون الاسم التجاري من ألفاظ عربية، أو معرّبة، وألا يشتمل على كلمات أجنبية، ويستثنى من هذا الحكم أسماء الشركات الأجنبية المسجلة في الخارج، والشركات ذات الأسماء العالمية المشهورة، والشركات ذات رأس المال المشترك (المختلطة) التي يصدر بتحديدها قرار من وزير التجارة".

إن القيمة المعنوية لاستعمال العربية في المجالات التجارية هي في ترسيخ الهويّة العربية، والتمكين لها، وعلاج الفوضى اللغوية التي لا تخدم البلاد وأهلها اقتصاديًّا ولا ثقافيًّا.

وفي جعل اللغة الفصحى لسانَ التجارة -وهي تشمل الإعلان- ما يحقّق تقريب الشقّة بين الأجيال ولغتها، ويمكّنها من تثرية معجمها اللغوي، إن أُحسِن توظيف الإعلانات لغويًّا.

وفي التغريدة اللاحقة لأحد رجال التعليم المبدعين ما يوجِز المشكلة، -ولْيُتنبّه إلى اللحن فيها-:

١- انظر: عبدالرزاق الحاج، أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية (ضمن بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي)، ٤/ ٣٨٩.



نتعب وندرس الأولاد التهجي والقراءة الصحيحة و التحليل الصوتي و المقاطع و ...إلخ
وفي الأخير تدخل مطعم مع أولادك و تدمر الدعاية ما بنيته وعلمته



نعم، تبذل وزارة التعليم والمعلمون ما يستطيعون في إيصال اللغة سليمة، فيدمّر الإعلان العشوائي المنفلت من الضوابط كلّ ما بُنِي!

ومن صوبٍ آخر، لو نُظِر إلى الإعلان ولغته بوصفهما أثرين للهُويّة، وبأنهما مظهرٌ سياحي جاذب، لتغيّر الوضع إلى ما هو خير؛ وربطي إياهما بالجذب السياحي من جهة أن السائح الأجنبي يُهِمّه أن يجد في البلاد الـمَزُورة ما لا يجده في بلده.

وقيمة العربية في هذه الإعلانات تظهر واضحة أيضًا من خلال ما يُبعَث بها من رسائل لجمهور المتلقين، ولا سيما شُدَاتهم، من صلاحية العربية لكل زمان، ولكل نشاط إنساني لغوي.

ومن قيمتها أن تتسع دائرة التلقي، ذلك أن استقرار الفصحى في الوجدان العربي

والمسلم بكونها لغة الذكر الحكيم، وجامعة العرب، وحافظة قوميتهم، ومستودع تراثهم بِئسَمَا ذلك كله قمينٌ بأن يحقق ضروبًا من التآزر الروحي بين الشعوب العربية بعضها مع بعض، والشعوب الإسلامية مع العرب.

وأما إن بقي كل قطر وإقليم يُعنى بلهجته الضيّقة، أو يدير ظهره للعربية كلها، فذلك باب جديد للتخالف والشقاق، وفيه إهدار لذخائر ووسائل تعين على أمور شتى، تتصل بالعلم والتعليم والثقافة والأدب.

إن الخطاب الإعلامي المعاصر -في قنواته المتعددة وضروبه المختلفة- في حاجة ماسّة إلى اللغة العربية الفصحى، وهي أيضًا في حاجة إليه، وتحقيق المواءمة بين ذلك الخطاب والفصحى يثمر ثمارًا أهمها:

- أن تردمَ الهوّة بين المتلقي العربي ولغته.
- وأن يُعزَّز بها الانتماء إلى العربية والحميّة لها.
- وأن يُعان التعليم على تجاوز استصعاب العربية، بأن يجعلها مسموعة مقروءة، فتضحي عند الطفل والشاب وغيرهما مألوفةً، يمكنه أن يفهمها ويستعين بها، وأن يشعر بالانتماء إليها.
- وأن تُحارب مظاهر الاستعجام في التسميات التجارية ولغة الإعلان أو الإشهار.

توصيات:

إن الاهتمام باللغة ليس محصورًا في علماء اللغة والنحو، بل هو متعلق بالهوية والانتماء؛ وعليه فيجب أن يكون من اهتمام الدولة ومؤسساتها في الصناعة والتجارة والعمل والخدمة المدنية والشؤون الداخلية والخارجية وغيرها.

كل أولئك كان عن هذه القضية مسؤولًا؛ لأن ما تواجهه اللغة العربية اليوم أشبه بـ(الإرهاب الثقافي) الذي لا يقلّ خطرًا عن ضروب الإرهاب الفكري أو الأمني؛ لأن استلال الانتماء من نفوس الأطفال، وتخريبَ هويتهم، وتغريبَهم عن لغتهم وثقافتهم هو إرهاب أيّ إرهاب.

ثم إن على المؤسسات المعنية باللغة -تؤازرُها المؤسسات الحكومية- أن تنهدَ لتصفية وسائل الإعلام قديمها وجديدها من الشوائب التي تعكّر تلقيَ الجمهور لِلّغة، وتنطوي على غوائل فكرية أو ثقافية، حتى تكونَ خاليةً من المؤثِّرات السلبية.

وأهمّ التوصيات العامة ما يلي:

- ضرورة التواصل الفاعل المستمر مع أصحاب القرار السياسي لإلزام القنوات الإعلامية احترامَ اللغة العربية، وإنالتَها ما تستحق من الدعم والمؤازرة، وذلك بقرارات تنظّم وتحاسب.
- تبنيّ حملات توعية بأهمية اللغة الفصحى، في وسائل الإعلام التقليدية والحديثة، ودعوة المهتمين بالإنتاج الإعلامي للمشاركة فيها؛ سعيًا لتثبيت ثقافة الانتماء إلى العربية، وغرس هذا الانتماء في نفوس من اجتالتهم الدعايات المغرضة.
- ينبغي لوزارات التعليم العربية أن تعيد إلى العربية مكانتها وأهميتها بين المقررات، فتعيدها ذات شأن في سعتها وعمقها وبقائها في كل مراحل الطلب. وتلزمَ المدارس العالمية أن تجعل للعربية نصيبًا وافرًا من الاهتمام.
- ومن الضروري أن يُعنى بتأليف مقررات مناسبة لهذا العصر، يُستعان فيها بالصور والجداول وغيرها؛ تسهيلًا لأمر اكتسابها والميل إلى تعلّمها.
- أرى ضرورة أن تنسِّق الجهات ذات الصلة فيما بينها تنسيقًا جادًّا مدروسًا، وأعني بالجهات: وزارة التعليم، ووزارة الثقافة والإعلام، والهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، والجامعات، ومركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، والجمعية العلمية السعودية للغة العربية. ذلك أن غياب التنسيق مدعاة لكثرة الضجيج دون طِحن، وكم من مؤتمر عُقد وندوة نُظّمت وبيانات كُتبت، ضاعت هي وأصداؤها، ولم نرَ لها إلا أثرًا كابيًا لا يكادُ يُذكر.
- دعوة الأقسام العلمية المتصلة بهذه القضية كاللغة العربية والإعلام والاتصال والاجتماع، إلى تشجيع الأبحاث والدراسات الميدانية، للإفادة من نتائجها ومرئيات أصحابها في تلمّس سبل الإصلاح.
- تُوصَى وزارة التجارة والغرف التجارية وأمانات المناطق ونحوها بالعمل على ما نصّت عليه الأنظمة الحامية للعربية، كاستعمال العربية في التسميات والإعلانات والمخاطبات والتقريرات و(الفواتير)، ومن ذلك إلزام مُلّاك الشركات والمؤسسات استعمالَ الحرف العربي في شعاراتهم؛ لأنه يعطي انطباعًا حسنًا للأجيال بصلاحية لغتهم للاستعمال في مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

- ينبغي في تعليم اللغة أن يُعنى بالتدريب الميداني المتصل بالجوانب الوظيفية، وحاجات الاستعمال اللغوي إلى جانب الأسس النظرية العامة للغة[١].
- إن لكليات الإعلام مهمة تخريج الإعلاميين ذوي المعرفة البالغة باللغة، المتمكنين فيها فهمًا وأداءً، ولن يكون ذلك إلا بأن تكثّف مقررات اللغة فيها قراءة وسماعا وتطبيقًا.

وأهم التوصيات المتصلة بإعلام الطفل:

- السعي لضبط ما يُقدَّمُ للأطفال في قنواتهم الخاصة أو في القنوات العامة، وذلك بعدة سبل، منها: اختيار المذيعين القادرين لغويًّا، وجعلُ اللغة الفصيحة لغةَ التخاطب والحوار، ولغةَ الأفلام المعرّبة، والإعلان وغيره، وفي دستور الدولة ونظام وزارة الثقافة والإعلام ما يضمن ذلك، لو قُدِّر أن يُعمَل بها حقَّ العمل.
- اقتراح ميثاق شرف إعلامي للقائمين على قنوات الأطفال، وعلى منتجي المواد المقدمة لهم، يكون من بنودها التزام اللغة الفصيحة، والسعي لجعلها لغة الطفل العربي في كل قُطر.
- العون المالي لمنتجي أفلام الأطفال (الرسوم المتحركة أو غيرها)، وإيجاد جائزة للأعمال الإبداعية المسهمة في تقريب الفصحى للطفل.
- دعوة أصحاب رؤوس الأموال للمشاركة في خدمة الدين والمجتمع والوطن من خلال خدمة اللغة، بدعم برامجها ومواكبة ما يُقرُّ بشأنها.
- السعي لإنتاج نسخ جديدة مواكِبةٍ للعصر وتغيراته من البرنامج الناجح (افتح يا سمسم) أو ما يماثله تأثيرًا وجودةً، وبثِّه في مواقع الإعلام الجديد، واستعمال كل وسيلة تعين على نشره وشيوعه.
- الإسهام في تكوين حسابات في مواقع التواصل تُخصّ بالطفل، وتُبنى على معطيات تربوية وفنية إخراجية جاذبة.
- العناية بتحفيظ القرآن في مراحل الطفولة، وزيادة حصص ومناشط اللغة العربية؛ فالمدرسة هي المحضِن الآمن -أو ذلك ما ينبغي أن يكون- وقد ثبت بالتجارب

١- هذه إحدى توصيات الدكتور عثمان الصيني. انظر: عثمان الصيني، السمات اللغوية للمتحدثين في البرامج الإذاعية (ضمن بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي)، ٤/ ٦٨.

والدراسات أن قراءة القرآن وحفظه، ودراسة نصوص العربية وحفظها في الصغَر ذات أثر في اللسان كبير، فضلا على ما تُكسب الطفلَ من قيم ومُثُل وآداب.

وبعد، فإنه لن يكون لأي توصية أثر أو ثمرة ما لم تتبنَّ جهات ذات نفوذ سياسي أو ثقافي هذه القضية، وعليه فإني أدعو مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية أن يجعلها جزءًا من مهامِّه الجِسام، فيُعنى بالتنسيق مع الجهات العليا، والمؤسسات ذوات العلاقة باللغة، وربطها بنطاق أوسع كمجلس التعاون لدول الخليج العربية، فلعل الجهود تتضافر للحدِّ من تلك المظاهر، والبدءِ في برامج مكثفة تسهم في ترقية الوعي العام، وتقي الجمهور، ولا سيما الناشئة والأطفال في هذه الأجيال الحاضرة وأجيال لاحقة من المخاطر التي عرضتُ لبعضها فيما سلف.

مراجع البحث:

١. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
٢. أحمد عبدالغفور عطار، قضايا ومشكلات لغوية، نشر تهامة، جدة، ط الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م.
٣. أحمد عبدالغفور عطار، وفاء اللغة العربية بحاجات هذا العصر وكلّ عصر، د.ن، مكة المكرمة، ط الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٤. جابر قميحة، أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية، نادي المدينة المنوّرة الأدبي (١٠٥)، المدينة المنوّرة، د.ط، ١٤١٨هـ.
٥. دار طويق، المسلمون في مواجهة البث المباشر، دار طويق، الرياض، ط الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٦. عبدالرزاق الصاعدي (محرّر)، واقع النشاط اللغوي في مواقع التواصل الاجتماعي، تويتر نموذجًا، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط الأولى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
٧. عبدالعزيز شرف، العربية لغة الإعلام، دار الرفاعي، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٨. عبدالله بن سليم الرشيد، اللغة العربية في فضائيات الأطفال: الواقع والطموح، مركز التنمية الأسرية، الأحساء، ط الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣م.

٩. عبدالله بن سليم الرشيد، السيف والعصا، مذاكرات في مشكلة الفصحى والعامية، الرياضن ط الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
١٠. عبدالله بن موسى الطاير، تجربة التلفزيون السعودي في تعليم العربية لغير الناطقين بها بين الواقع والطموح، دار الطاير، الرياض، ط الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
١١. مجموعة باحثين، الإعلام اليوم حواجز بلا حدود، أوراق عمل ندوة منتدى الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري للدراسات السعودية، الدورة السابعة، مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، ١٤٣٥هـ(٢٠١٣م)، ط الأولى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
١٢. مجموعة باحثين، المؤتمر الدولي بعنوان اللغة العربية ومواكبة العصر، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، د.ط، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
١٣. مجموعة باحثين، بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، د.ط، ١٤١٨هـ.
١٤. مجموعة باحثين، لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط الأولى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م.
١٥. مجموعة باحثين، اللغة العربية والإعلان، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

اليابان ومَشْرِقُ العربية

قراءةٌ في عوامل انتشار العَربيّة في دولة اليابان

د. عادل بن أحمد بن سالم باناعمة

مقدّمة

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاةُ والسلام على رسوله الأمين، وبعد

ارتبطت اليابانُ في المخيِّلةِ الثقافية العربيةِ بالنهضةِ العلمية التقنيةِ، وبتلكَ القفزةِ الاستثنائيةِ التي نقلتْ بلداً من الحالةِ (الصِّفْرِيَّةِ) التي أورثتْها إياها الحربُ العالمية الثانية، وخصوصاً قنبلة هيروشيما ونجازاكي إلى أن يكون -خلال أربعة عقودٍ فقط- «القوةَ الصناعيةَ المسجِّلةَ لأعلى المعدلات الإنتاجية في العالم»[1]، وحوَّلَتْهُ من «مجتمع اقتصادٍ زراعيّ متخلف في الشرق الأقصى إلى مقدمة الدول الصناعية التكنولوجية»[2].

وفي خضمّ الاستغراق في هذه النظرةِ الاقتصاديةِ لليابانِ غاب عن الثقافة العربية كثيرٌ من جوانب التجربة اليابانية التي تستحقُّ الدراسةَ والتأمُّلَ.

ويحاولُ هذا البحث أن يُلقي الضوءَ على زاويةٍ مهمةٍ هي (حضور اللغةِ العربية) في المجتمعِ اليابانيّ، من خلال استقراءِ واقعِ هذا الحضورِ، وتحليله، والبحثِ عن العواملِ والأسبابِ التي أدَّتْ إليه.

١- من أسرار نجاح التجربة اليابانية: ١.

٢- التنمية الاقتصادية في اليابان: ١٥.

ولقد كانت (الدهشةُ) هي الحالةُ التي لازمتني طوال إعداد هذه البحثِ، وصاحبتني كذلك إبان زيارتي الميدانية إلى مدينة (أوساكا) معقلِ تعليم العربية في اليابانِ، حيثُ التقيتُ هناكَ بكوكبةٍ من أساتذة العربيةِ منهم اليابانيونَ، ومنهم العربُ المقيمونَ هناك.

وما زلتُ أذكرُ أنّ أحدَ الأساتذةِ اليابانيين سألني بلغةٍ عربيةٍ فصيحةٍ قائلاً: قرأتُ في ترجمتكم أنكم حققتم (شرح المرزوقي على المفضلياتِ) وأنا لم يتيسر لي الاطلاعُ عليه؛ لأنّه لم يطبعْ من قبلُ، واطلعتُ فقط على شرح ابن الأنباري، وشرح التبريزي، فهل وجدتم في شرح المرزوقي جديداً؟ وهل يضيفُ شرحُهُ الكثير؟!

بدتْ لي هذه الأسئلةُ غريبة جداً وهي تتدفقُ على لسانِ كَهْلٍ يابانيٍّ خالصِ النسب! بينه وبين موطنِ العربيةِ بحارٌ وأنهارٌ وقفارٌ، وهو مع ذلكَ يحلِّلُ ويوازنُ بين متونٍ وشروحٍ ربما وجدتَ بعض أبناءِ العربيةِ وقد حيل بينه وبينها بحجابٍ غليظ!

لم أكدْ أتجاوزُ التعجُّبِ من هذا الكهلِ، حتى لقيتُ امرأةً يابانيةً صافيةَ الدمِ تحملُ شهادة الدكتوراه في اللغةِ العربية، قدمتْ لي هذه المرأةُ واحداً من أبحاثها للترقيةِ، وإذا هو عبارةٌ عن دراسةٍ نقديةٍ أدبيةٍ لغويةٍ مقارنة بين قصيدةِ امرئ القيس:

خليـليّ مـرّا بي عــلى أمِّ جُنْــدِبِ ... لتُقــضَى لُبانـاتُ الفـؤاد المعــذَّبِ

وقصيدة علقمة الفحل:

ذهـبتَ من الهجـرانِ في غير مذهـبِ ... ولم يكُ حقــاً كـلُّ هـذا التجــنُّبِ

وكلُّ متأدِّبٍ يعرفُ قصة هاتين القصيدتين وحكومةَ أمِّ جندب بين الشاعرين.

لكنْ أن تجدَ امرأةً في تلك الديار القصيةِ تتجاوزُ معرفة القصةِ إلى إنجازِ بحثٍ بنيويٍّ بين النصينِ فهذا ما يبعثُ على العجبِ مرةً أخرى.

قلتُ: إنَّ الدهشةَ كانت العنوانَ الأبرزَ لتعاملي مع هذه القضية نظرياً وميدانياً، فلم أكنْ أتوقعُ من قبلُ أن تكون العربيةُ حاضرةً في تلك الديار إلى هذا الحدِّ.

ولعلك عزيزي القارئ حين تفرُغُ من هذه الوريقاتِ تستشعرُ ما استشعرتُه من عجيبِ حفظِ الله لهذه اللغةِ الشريفةِ، وعجيب أقدارِهِ في تيسير أسباب انتشارها، رغم تقصيرنا نحنُ معاشرَ العربِ في القيامِ بواجبنا نحوها.

المبحثُ الأولُ: اليابان والعالمُ الإسلاميّ

بدأت اليابان تنفتح على العالم الخارجيّ بعد سقوط حكومة (إيدو) سنة ١٨٦٨م وانطلاق العهد الميجي[١].

وكانت بداية الاتصال بالعالم الإسلامي من خلال مندوب أرسله الإمبراطور ميجي سنة ١٨٧١م إلى إستانبول، وقد ردّ السلطان عبدالحميد على هذه البعثة ببعثةٍ أخرى على الباخرة (أرطغرل) قوامُها ست مئةِ فردٍ من الأتراك والعرب والأكراد وغيرهم. وقد غرقت هذه الباخرة في طريق عودتها إلى الدولةِ العليَّةِ بعد تسليم رسالةِ السلطانِ إلى الامبراطور ميجي، وكان غرقها بسبب عاصفة شديدة في الساعة الحادية عشرة يوم ١٦/ ٩/ ١٨٩٠م، وغرق قرابة خمس مئة وخمسين من ركابها. وقد قام صحفيّ يابانيّ اسمه: (أوساتا رونودا) بجمع التبرعات من الشعب الياباني لعائلات الضحايا الغارقة وأوصلها إلى إستانبول والتقى بالسلطان عبدالحميد، واعتنق الإسلام هناك ليكون بذلك أول مسلم ياباني حسب المعلومات المتوافرة.

وما يزال اليابانيون حتى اليوم يُحيُون تلك الذكرى كل خمس سنواتٍ، وقد أقاموا متحفاً للضحايا قريباً من موقع الكارثة[٢].

كانت تلك الحادثة فاتحةَ العلاقة بين اليابان والعالم الإسلامي، ومن ثَـم فاتحة العلاقة بين اليابان واللغةِ العربيّة.

وتتابعتْ بعد ذلك العلائق متمثلةً في بعثاتٍ دبلوماسية، أو رحلات ثقافية، ونتج عن تلك الرحلات مجموعةٌ من الوثائق كشفتْ عن جانب جميل من وصول الإسلام والثقافة العربية إلى اليابان.

١- (إيدو) هو الاسم القديم لطوكيو، ومعناه بوابة الخليج، وإليه تنسب (فترة إيدو) التي تمتد من ١٦٠٣-١٨٦٨م، وكان من أبرز معالمها الانغلاق الشديد؛ إذ كانت الحكومة ترى أنه يتوجب عليها التحكم في حركة انتقال الأشخاص لتضمن الاستقرار، وتحافظ على النسيج الاجتماعي الياباني، وكانت الفكرة تقضي بإغلاق كل منافذ اليابان على الخارج، وأن يمنع السكان من التواصل مع سائر العالم. ويرى بعض الباحثين أن من أسباب هذا الانعزال الشديد تخوّفَ اليابانيين من انتشار النصرانية؛ إذ سيؤدي في رأيهم إلى زيادة نفوذ الدخلاء الأجانب. وبنهاية هذه الفترةِ من العزلة التامةِ بدأ العصر (الميجي) أي: المستنير، وهذا الاسم نفسه كان أيضا اللقب الرسمي للإمبراطور موتسوهيتو. انظر: اليابانيون ٤٧-٤٨، الدعوة الإسلامية في اليابان: ١٢، ويكيبيديا (فترة إيدو، فترة ميجي). وانظر في تفصيل العهد الميجي وطبيعة الإصلاحات فيه: اليابانيون: ١٠٣-١١٣.

٢- أشار السلطان عبدالحميد في مذكراته السياسية ص:١٢٢ إلى هذه الحادثة، ومن قرأ ما كتبه أدرك بعد نظره رحمه الله. وانظر في تفصيل خبر تلك البعثة: تطور العلاقات الثقافية بين السعودية واليابان: ١٥، ٢٢ والدعوة الإسلامية في اليابان: ١٨.

ويمثِّلُ الحجاج اليابانيون الأوائل بوابةً مبكرةً للحضور الإسلامي والعربيّ في اليابان[١].

ويعد السيد: ياموكا كوتارو أول الحجاج اليابانيين، وقد كان في بادئ الأمر مكلفاً من قبل الجيش الياباني بجمع المعلومات الاستخباراتية عن روسيا، ثم انتهى به الأمر إلى الإسلام[٢] والحجّ سنة ١٩٠٩م. وقد سجل السيد كوتارو انطباعاتِه التي تفيض حماسةً لكونه أول يابانيّ يؤدي هذه الفريضة، وذلك في مؤلَّفه: (رحلة عبر الجزيرة العربية) الذي قرأه الإمبراطور ميجي فأمر بحفظه في مكتبة كُبرى زوجاتِهِ.

وجاء بعده السيد (تاناكا إيبيه) الذي حج مرتين في ١٩٢٤م و١٩٣٣م، وقد وثق رحلته كتابياً كذلك.

ثم جاء السيد (سوزوكي تسويوشي) الذي حج مع مجموعته ثلاث مرات في ١٩٣٥م و١٩٣٧م و١٩٣٨م، وترك أيضاً مذكراتٍ تُرجِمَت إلى اللغة العربية[٣].

وخارج إطار الحجِّ كانت هناك صلاتٌ مبكرةٌ من صورها[٤]:

- زيارة الداعية أفراز حسين الهندي لليابان سنة ١٩٠٥م. وفي السنة نفسها أُسِّس أول مسجد في أوساكا.
- قدوم عبدالرشيد إبراهيم التتري التركي إلى اليابان عام ١٩٠٩م وإقامته علاقات واسعة مع النخبة السياسية وفئات المجتمع اليابانيّ، وقد عاد للإقامة في اليابان سنة ١٩٣٣م، وأمَّ المسلمين في مسجد طوكيو حتى وفاته سنة ١٩٤٤م.
- تأسيس الرابطة الإسلامية اليابانية سنة ١٩٣٨م.
- زيارة السيد حافظ وهبة الوزير المفوض بسفارة المملكة العربية السعودية لدى المملكة المتحدة، وقد زار اليابان سنة ١٩٣٨م لحضور افتتاح مسجد طوكيو.

كذلك مثلت الترجماتُ المبكرة -بدأت سنة ١٩٢٠م- للقرآن والسنة والسيرة النبوية

١- انظر في شأن أوائل الحجاج اليابانيين: نحو فهم عقائدي متبادل بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الياباني: ٥٥-٥٦، وانظر خبر حفاوة الملك عبدالعزيز بالحاجّ ياموكا في: الدعوة الإسلامية في اليابان: ١٠٧.

٢- كان إسلامه على يد قائد المقاومة الإسلامية ضد الروس بعدما لجأ الزعيم المسلم سياسيا إلى اليابان ونشأت بينهما صداقة حميمة.

٣- طبعته دارة الملك عبدالعزيز عام ١٩٩٩م بعنوان: الياباني في مكة.

٤- انظر: تجربة المعهد العربي الإسلامي في طوكيو: ١٦، والدعوة الإسلامية في اليابان: ٩٩.

سواءً عن العربية مباشرة أو بواسطة لغة أخرى مدخلاً لحضور الإسلام في اليابان[١].

وتصاعدتْ درجة الاهتمام الياباني بالثقافة الإسلامية إلى أن وجدنا باحثاً يابانياً يسجل رسالة دكتوراه حول فكر ابن تيمية السياسيّ[٢]!

وتجدُر الإشارة بعد هذا كله إلى بوابتين دلف منهما الإسلام كذلك إلى اليابان:

أولهما: احتكاك الجيوش اليابانية بالمجتمع الإسلامي الموجود في شمال الصين عندما احتلتها اليابان، فقد أسلم بعض أفراد الجيش الياباني نتيجة هذا الاحتكاك، ولكن عددهم ضئيل جداً.

وثانيتهما: التركستانيون المهاجرون إلى اليابان بعد الثورة الروسية؛ إذ فروا من اضطهاد الشيوعيين للمسلمين في تركستان ومنشوريا[٣].

المبحث الثاني: اليابان واللغةُ العربية

كان حضور العربية في المشهد الياباني ضعيفاً في البداية، وقد ذكر الرئيس الأسبق لرابطة عموم مسلمي الهند الذي زار اليابان سنة ١٩٣٥م أن أستاذا يابانيا أخبره بأن أحد تلاميذه ينوي التخصص في اللغة العربية[٤]. وهو ما يُشعر بقلّة الدارسين.

ثم تطور تعليم العربية في اليابان، وترى الباحثة كادويا يوكي أن تعليم العربية في اليابان مرّ بثلاث مراحل[٥]:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل عام ١٩٤٥م، حيث بدأ في عام ١٩٢٥م تدريس العربية لغةً اختيارية ثانية في قسمي اللغة الهندية والماليزية في جامعة أوساكا (لم تكن جامعة يومئذٍ). وكانت كتب قواعد اللغة المستخدمة مكتوبة بلغةٍ أجنبية، ولم تكن هناك قواميس عربية – يابانية يستفيد منها الدارس.

١– نحو فهم عقائدي متبادل بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الياباني: ٥٥–٥٦. والترجمة الأولى للقرآن الكريم باليابانية هي من عمل كين إتشي ساكاماتو، وقد ترجمه عن الإنجليزية. انظر: المحتوى الفكري والثقافي في كتب تعليم اللغة العربية في اليابان: ٥.

٢– هو الباحث الياباني المسلم: حسن ناكاتا. انظر: التطور التاريخي للعلاقات بين اليابان والعالم الإسلامي: ٩٢.

٣– موقع الأستاذ الدكتور: صالح السامرائي. وهو أحد أقدم وأشهر الدعاة العرب في اليابان.

٤– انظر: تطور العلاقات الثقافية بين السعودية واليابان: ٢٩.

٥– واقع تدريس اللغة العربية بالجامعات اليابانية: ٥٩–٦٤.

ثم تطور الأمر إلى إنشاء (قسم اللغة العربية) عام ١٩٤٠م بعد تأسيس الجامعة، وقد التحق به في العام الأول ٤٩ طالباً.

المرحلة الثانية: منذ عام ١٩٤٥م حتى أزمة البترول سنة ١٩٧٣م.

بعد هزيمة الحرب في عام ١٩٤٥م فقدت اليابان كل (الرصيد المعرفي) الذي كان يربطها بالعالم العربي الإسلامي، ورجعت بذلك تقريباً إلى نقطة الصفرِ. ولم يبق مشتغلاً بالعربية وتدريسها إلا أعدادٌ قليلة.

ولكنّ تصاعد مشكلة فلسطين، وما تبع ذلك من قرار الملك فيصل بإيقاف تصدير النفط، جعل العالم العربيّ مرةً أخرى في بؤرة اهتمام اليابانيين، وكان لذلك انعكاس إيجابيّ على حركة تعلُّم اللغة العربية. وفي عام ١٩٦١م أُنشئ قسم للغة العربية في جامعة طوكيو.

المرحلة الثالثة: ما بعد أزمة البترول.

بعد أزمة البترول لاحظ المتابعون ارتفاعاً كبيراً في أعداد الدارسين بفصول اللغة العربية. وقد رفع قسم الدراسات العربية بجامعة أوساكا عدد المقبولين من ١٥ إلى ٢٥ طالباً سنويّاً.

وأهمّ أسباب ذلك ما تبع عودة البترول من حركة تجارية اقتصاديّة نشطةٍ مع دول الخليج العربيّة.

وهذا الحضور (العربيّ) في البلاد (اليابانية) لافتٌ جداً، بالنظر إلى كون اللغة العربية أساساً لغةً غير مألوفة للمواطن الياباني[1]، وبالنظر إلى (العوائق) الكبيرة المتمثلة في البعد الجغرافيّ لليابان عن البلاد العربية، إضافة إلى كونها جزراً منعزلةً، وإلى حالة الانكفاء التي عاشتها اليابان بدءاً من القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر.

ولذلك فإنه من المناسب محاولة تتبع العوامل التي أوجبتْ للعربية هذا الحضور رغم كل العوائق والصعوبات.

١- انظر العلاقات الثقافية وتعليم اللغة العربية: ٢٣٥.

المبحث الثالث: أثر العامل الأكاديميّ التعليميّ في نشر العربية في اليابان

(١) الجامعات التي اعتنتْ بتعليم اللغة العربية:

كان لبعض الجامعات اليابانية دورٌ محوريٌّ في انتشار العربية، ومن أبرز هذه الجامعات:

- جامعة أوساكا:

يعود لهذه الجامعة فضل الريادةِ في تعليم العربية في اليابان، فقد بدأ تدريس العربية فيها عام ١٩٢٥م عندما كانت مدرسة متخصصة لدراسة اللغات الأجنبية[١]. ولـمّا تحولت إلى جامعةٍ تأسس فيها قسم اللغة العربية عام ١٩٤٠م، والتحق به خمسة عشر طالباً. ويذكر صاحبُ كتاب (الدعوة في اليابان)[٢] أنّ أول عربيٍّ درَّس اللغة العربية في هذا القسم «كان مواطناً سعودياً، عمل في وظيفة أستاذ مساعد، وأقام في أوساكا، وتزوّج من يابانية، وكوّن أسرةً انتقلتْ معه فيما بعدُ إلى جُدّة».

- جامعة طوكيو:

وقد افتُتِح فيها قسم للدراسات العربية عام ١٩٦١م. وشهد هذا القسم إقبالاً من الدارسين، ويدرس الطلاب أربع سنوات ثم يمكنهم متابعة دراسة الماجستير في الجامعة نفسها أو في جامعات أخرى[٣].

- جامعة طاك شوك (تاكو شوكو):

وكانت العربية تدرس فيها منذ عام ١٩٥٩م في دوراتٍ مسائية، كما كانت تقوم بإيفاد الطلاب إلى جامعة الأزهر لدراسة اللغة العربية[٤].

- جامعة كيوتو:

وقد بدأ اهتمامها بالعربية مبكراً[٥].

إضافةً إلى غيرها من الجامعاتِ الحكومية والأهلية.

١- كانت العربية وقتها تدرّس لغة اختيارية في قسمي اللغات الهندية والماليزية. انظر: واقع تدريس اللغة العربية بالجامعات اليابانية: ٥٦.

٢- ص: ١٠١.

٣- تجربة المعهد العربي الإسلامي في طوكيو: ٢٤، تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وتجربة اليابان: ١٥.

٤- واقع تدريس اللغة العربية بالجامعات اليابانية: ٦٠.

٥- تجربة المعهد العربي الإسلامي في طوكيو: ٢٥.

(٢) المعاهد والمؤسسات والجمعيات:

أسهم العديد من المعاهد والمدارس والجمعياتِ في تعليم العربية في اليابان، نذكر منها على سبيل التمثيل[١]:

- معهد الطلاب الكاثوليك.
- المدرسة العربية بطوكيو، أسسها الأستاذ أكيرا هيوكي.
- معهد أبحاث الدول الإسلامية.
- مدرسة اللغات الأجنبية.
- جمعية اليابان الكبرى الإسلامية.
- جمعية مسلمي اليابان.
- معهد اللغات الآسيوية والإفريقية، تأسس سنة ١٩٦٢[٢].
- المعهد العربي الإسلامي التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود، وهو بلا شك من أجلّ المؤسسات التي قدمتْ خدمةً كبرى للعربية في اليابان، وجهودُهُ موثقةٌ عبر سلسلة من الأبحاث والكتب التي أصدرتها جامعةُ الإمام محمد بن سعود[٣].

وغيرها.

(٣) الباحثون والمتخصصون في العربية وعلومها من اليابانيين:

حظيت العربية في اليابان بعددٍ كبيرٍ من الباحثين فيها، والمتخصصين في سائر علومها، والمهتمين بتدريسها والتأليف فيها، وبعض هؤلاء كانت جهودهم عظيمةً جداً، ومنهم من كان اطلاعه على العربية وآدابها واسعاً، وإنك لتعجب حين تقرأ رحلة (إيجيرو ناكانو) من معرفتِهِ بالمعلقات، وبخبر امرئ القيس وحكاياتِهِ مع أبيه، وتعجب كذلك من معرفتِهِ بما قاله الشعراءُ عن نجدِ، واجتهادِهِ في مطابقةِ ملامحها كما عرفها من الشعر العربيّ بما يراه أمامه[٤]! ليس ذلك فحسب بل كتب (ناكانو) العديد من الأبحاث

١- انظر: تجربة المعهد العربي الإسلامي في طوكيو: ٢٥-٢٦.

٢- المحتوى الفكري والثقافي في كتب تعليم اللغة العربية في اليابان: ١٣، وانظر: تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتجربة اليابان: ٢٨، ٣٣-٣٩، ٤٥.

٣- انظر البحث المطول الذي كتبه مدير المعهد أ.د. محمد بن حسن الزير بعنوان: تجربة المعهد العربي الإسلامي في طوكيو في تعليم العربية خلال ٢٤ عاماً، وهو منشور ضمن السجل العلمي لندوة واقع اللغة العربية في اليابان. وانظر كذلك: المعهد العربي الإسلامي في طوكيو – تقرير موجز ٢٠٠٦م.

٤- انظر: الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية: ٣٥، ٧٩، ٨٠، ٩٦.

منها بحث بعنوان: أصل الحروف العربية[١].

تخرج ناكانو في جامعة أوساكا للغات الأجنبية قسم اللغة الألمانية، وعمل في وزارة الخارجية، وسافر للقاهرة وأقام فيها سبع سنوات درس خلالها في الأزهر، وفي جامعة فؤاد الأول، ومن أساتذته: د. طه حسين[٢].

وقد كان ضمن البعثة الرسمية التي ذهبت من اليابان لزيارة المملكة العربية السعودية، ومقابلة عاهلها الملك عبدالعزيز رحمه الله، وهي الرحلة التي كتبها بعد رجوعه منها سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م بعنوان: الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية.

وترى مترجمة الرحلة أ. سارة أن حديث ناكانو في رحلته عن الإسلام لا يصدر إلا عن رجل معجب بالإسلام، وكأنها توحي بأنه ربما أسلم سراً[٣].

ومن الأسماء اليابانية البارزة في إطار العربية وثقافتها:

١- أوسامو إيكيلدا: شارك في ترجمة القرآن الكريم لليابانية، كما ترجم أعمال طه حسين، ونجيب محفوظ[٤]. وهو من أشهر اليابانيين المتخصصين في اللغة العربية، وقد دَرَسَ بجامعة القاهرة، ثم عمل فيها، وهو مؤسِّسُ قسم اللغة اليابانية بكلية الآداب بالقاهرة. درّس في عدة جامعات يابانية، وعلى رأسها جامعة أوساكا. واُختير عضوا مراسلاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهو أول ياباني يحظى بمنصب لغويّ رفيع كهذا[٥].

٢- إيموري كاسوكيه: ألف عدداً كبيرا من كتب تعليم العربية، ومعجماً لمفرداتها الأساسية، ومن كتبه سوى ما سيذكر لاحقاً عند الحديث عن المؤلفات: معجم المفردات الأساسية، الدروس العربية، دروس في اللغة العربية، مبادئ المحادثة العربية والعبارات المتداولة، الكلمات الأساسية للغة العربية[٦].

١- تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وتجربة اليابان: ٤٨.

٢- الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية: ١٢، ٣٥.

٣- الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية: ١٢.

٤- مقال: (اللغة العربية واليابانيون) لزكريا محمد علي. منشور في مدونته على الإنترنت.

٥- تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وتجربة اليابان: ١٦.

٦- تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وتجربة اليابان: ١٦، ٤١.

٣- جيرو أريمي: دَرَسَ في كلية الشريعة بمكة سنة ١٩٧٩م، ثم درس في جامعة الإمام محمد بن سعود، وقد تركت دراسته في السعودية أثرها فيه، وفي طريقته في التأليف. ومن عطاءاته المهمة كتاب: العربية، وكتاب العربية نصوص مختارة[١].

٤- يوشدا سجنجي: هو أولُ الشخصيات اليابانية التي قامت بالبحث والدراسة عن فن الخط العربيّ، وقد كان يعمل أستاذاً بجامعة طوكيو للفنون. وسافر عام ١٩٧٠م إلى مصر وغيرها ومكث مدة عامين. أبدع يوشدا في رسم الخطّ العربيّ وأقام عدة معارض فنية. ومن آثاره المهمة كتابُ: (أنماط الخط العربي) الذي يشتمل على ٣٠٠ عمل فني لأشهر الخطاطين العرب مع دراسة تحليلية ورسوماتٍ توزيعية للحروف[٢].

٥- هوندا كي أوتشي (فؤاد هوندا): خريج جامعة طوكيو للغات، عمل مترجماً للغة العربية في إحدى الشركات اليابانية، ثم أوفد للمملكة العربية السعودية وهناك تعرف فنَّ الخط العربيّ، وسَحَره ذلك الفن بجماله، فاعتنى به ودرسه بشكل شخصي، ثم على يد خطاطين أتراك حتى حاز على إجازة إجادة فن الخط العربيّ. ثم أقام عدداً من المعارض، وشرع بتدريس الخطِّ العربي في اليابان[٣]. وقد عُرضت لوحاته عام ٢٠٠٣م في قاعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية[٤].

٦- كواساكي تاراو: أحد المكثرين من التأليف في العربية، ألف مدخلاً إلى اللغة العربية، وكتب عن الأدب العربي الحديث، وعن أبي العتاهية وأبي العلاء، وعن ميخائيل نعيمة، وعن خصائص الأدب العربي الحديث[٥].

٧ـ نايكي ريوتشي: ألف عدداً كبيراً من الكتب والبحوث، منها: اللغة العربية الحديثة، دراسة مقارنة لاستعمال الأفعال الأساسية في اللغتين اليابانية والعربية مع أمثلة تطبيقية، مجموعة ٦٠٠٠ كلمة في الاستعمالات الشائعة[٦].

٨- نوبوآكي نوتوهارا: درس العربية بجامعة طوكيو، ودرس الأدب العربي المعاصر

١- المحتوى الفكري والثقافي في كتب تعليم اللغة العربية في اليابان: ٦١.

٢- تزايد الاهتمام بتعلم الخط العربي في اليابان: ٢٦٢.

٣- روى السيد هوندا تجربته بنفسه، في بحثه: تزايد الاهتمام بتعلم الخط العربي في اليابان: ٢٦٣-٢٦٤.

٤- المحتوى الفكري والثقافي في كتب تعليم اللغة العربية في اليابان: ٢٣.

٥- تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وتجربة اليابان: ٤٤.

٦- تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وتجربة اليابان: ٤٦.

فيها. وأمضى من عمره أربعين عاماً يسافر إلى العواصم العربية والأرياف والبوادي، ويتابع الحركة الفكرية والأدبية في العالم العربي. وكانت أول زيارة عربية له إلى القاهرة سنة ١٩٧٤م. وقد كتب كتابه الشهير: (العرب وجهة نظر يابانية)، وهذا الكتاب يدل على معرفة عميقة غير اعتياديّة بالعالم العربي والثقافة العربية، وقد ضمنه تحليلاً (يابانيا) للواقع السياسي والاجتماعي العربي، مع محاولة للمقارنة تجيء دائما لصالح اليابان!

يتحدث نوتوهارا في كتابه عن نجيب محفوظ، وغسان كنفاني، وعبدالرحمن الشرقاوي، ويوسف إدريس، وصنع الله إبراهيم، ويحيى حقي، وعبدالرحمن منيف، وإبراهيم الكوني، ويتحدث عن ترجمته لروايات عدد منهم[١].

وهناك أسماء أخرى كثيرة لا تقل منزلةً، وسيرد بعضها عند الحديث عن المؤلفات والكتب، من بينها: إديتسو توشيهيكو، أوجاساوارا يوشيهارو (محسن)، حسن ناكاتا، كوياما شيغيهيكو، إكئيدا أوسامو، هشام كرودا توشيو، أندو كئيسوكيه، أونيشي مادوكا، سوزوكي هيروكي، تاكاشينا يوشي يوكي، ياجيما فوميو، شيجيهي كو ماتسوموتو، يوشيمتسو ياسوئي[٢].

(٤) حركة التأليف النشطة في حقل اللغة العربية:

إضافة إلى ما سبق ذكره من مؤلفاتٍ للأعلام المذكورين، فإنّ هناك قائمةً من التآليف المتعلقة بالعربية كتبها يابانيون، يمكننا تصنيفها إلى المجالات التالية[٣]:

- الكتب الخاصة بتعليم العربية لليابانيين، ومنها:

١. قواعد اللغة العربية، أصدرته مدرسة اللغات الأجنبية في جامعة كئيو سنة ١٩٣٢م.
٢. تعلّم اللغة العربية، مجموعة دروس كتبها كيوتشي كئيتشيرو، وطُبع في ١٩٤٠م.
٣. مدخل إلى اللغة العربية، ألفه إيزوتسو توشيهيكو، وطبع قبل سنة ١٩٥٠م.
٤. المحادثة ياباني – عربي، ألفه تاناكا شيرؤ سنة ١٩٥٧م.

١– العرب وجهة نظر يابانية: ١٥–١٧.

٢– انظر كذلك: الإسلام والأديان في اليابان، ففيه دراسات جيدة عن الدراسات العربية والإسلامية في اليابان، وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وتجربة اليابان: ٤٠–٤٨.

٣– انظر لمزيد من التفصيل: المحتوى الفكري والثقافي في كتب تعليم اللغة العربية في اليابان، بدءاً من ص: ١٩، ولا سيما الصفحات: ٢٧، ٢٨، ٣٢، ٨٨، ٩١، ٩٩، ١٠٣، ١١٢. وانظر كذلك: تجربة المعهد العربي الإسلامي في طوكيو: ٢٦–٣٠.

٥. المرشد الكامل للمحادثة اليابانية والإنجليزية والعربية، ألفه: ساكوما تئيي، وكوساكي تورازو، وتادا توشئيو سنة ١٩٦٠م.
٦. المرشد الأول لدراسة العربية، ألفه إيموري كاسوكيه (يوسف) سنة ١٩٧٢م.
٧. اللغة العربية الحديثة، ألفه نائيكي رؤوتشي سنة ١٩٧٥م.
٨. تدريس اللغة العربية، ألفه إيكئيدا أوسامو مصحوباً بأشرطة صوتية سنة ١٩٧٦م.
٩. العربية في ثلاثة أيام، ألفه كوئيكيه يوريكو سنة ١٩٨٣م.

- الكتب التي تدرس جوانب مختلفة من اللغة العربية، ومنها:

١. الألفاظ الأساسية لدراسة اللغة العربية، ألفه ياجيما فوميو سنة ١٩٦١م.
٢. دراسة لنصوص من اللغة العربية، ألفه ناكادا يوشينوبو سنة ١٩٦٣م.
٣. على درب اللغة العربية، ألفه سوزوكي هيرؤكي سنة ١٩٦٨م.
٤. مذكرات في جذور بعض الأفعال العربية، ألفه ياجيما فوميو سنة ١٩٦٩م.
٥. المرشد إلى النصوص والمعاجم، ألفه كواساكي تاراو سنة ١٩٦٨م.
٦. دراسة عن الهمزة، كتبها إيموري كاسوكيه (يوسف) سنة ١٩٧٢م.
٧. دراسة بعنوان: كان وأخواتُها، كتبها إيموري كاسوكيه (يوسف) سنة ١٩٧٥م.
٨. سوف والسين في اللغة العربية، ألفه إيكئيدا أوسامو سنة ١٩٨٠م.
٩. عبقرية الشعر العربي، ألفته هيراتا إيتسكو سنة ١٩٨٧م.

- الكتب التي تدرس اللهجات العربية:

إبدال الكاف بالقاف في اللهجة العراقية، ألفه تاكاشينا يوشي يوكي سنة ١٩٧٦م.

- الكتب التي تخدمُ أغراضاً اقتصادية أو سياسية، ومنها:

١. المراسلات التجارية باللغة العربية، ألفه أوندو كئيوسوكيه سنة ١٩٨١م.
٢. التعبيرات العربية المستخدمة في مجال التسويق، ألفه أونيشي مادوكا، سنة ١٩٨١م.
٣. التعبيرات العربية المتعلقة بالبترول، ألفه أونيشي مادوكا، سنة ١٩٨٢م.

- المعاجم اليابانية العربية:

١. القاموس المفصل عربي - ياباني، من إعداد لجنة في معهد الشرق الأوسط في طوكيو، صدر سنة ١٩٨٠م. وقد دعمت المملكة هذا الكتاب دعماً كبيراً من

خلال إكمال تمويل المشروع، ثم من خلال شراء عدد كبير من نسخه وتوزيعها عبر سفارة المملكة في اليابان.

٢. القاموس للمبتدئين عربي – ياباني، ألفه: هوندا كوإيتشي، وإيشي غورو تاداكي، ونورالدين نقشبندي. صدر سنة ١٩٩٧م.

– الكتب التي تهتم بالخطّ العربيّ، ومنها:

١. حكايات الليل عن اللغة العربية، ألفته إيتسكو هيراتا، صدر سنة ١٩٨٩م.

٢. هيا نقرأ ونكتب العربية، ألفه هوندا كي أوتشي (فؤاد هوندا)، وكريمة السمني سنة ١٩٩٩م.

ومن جوانب التأليف النشطة: القواميس والمعاجم، والكتبُ التي تُعنى بالدراسات النحوية والصرفية والأدبية، وتتعاطى مع النصوص الحيةِ درساً وتحليلاً.

(٥) حصول الوعيِ لدى طائفةٍ من المتصدرين لتعليم العربية بالطرق الصحيحة التي ينبغي اتباعها لتعليمها. ومثل هذا الوعي يختصر الجهود، ويعظّم النتائج، ويتيح للعربية فرصة أفضل في التمدد والانتشار.

ومن أمثلة هذ الوعي انتقادُ كلٍّ من هوندا كوايتشي، وكواي توموكو، تركيز بعض برامج تعليم العربية على النحو على حساب المحادثة[١].

ومن أمثلتِه إعداد (إيكيدا أوسامو) تقريراً مهماً عن تدريس العربيّة في الجامعات وما يكتنفُه من أخطاء، وبيّن أن محاضرات العربية كانت تتركز في بعض المؤسسات في إطار التراث الأدبي والثقافة الإسلامية والنظام الاجتماعيّ، بعيداً عن واقع الحياة اليومية[٢].

ومن ذلك أيضاً ما لاحظتْهُ الباحثة (يوكي) من أنّ دراسة العربية في اليابان في عقب أزمة البترول قد أخذت طابعاً استكشافياً وغلبَ عليها منطق (التعرُّف) إلى منطق (الاتصال)[٣]، وتتبعُها كذلك لتطورات مناهج تعليم العربية إلى وقتِ الثمانينات؛ إذ أمكن تأسيس «برنامج تعليمي للغة العربية يناسب الدارسين ويواكب العصر»[٤]،

١- واقع تدريس اللغة العربية بالجامعات اليابانية: ٥٧.

٢- واقع تدريس اللغة العربية بالجامعات اليابانية: ٥٦

٣- المرجع السابق: ٦١.

٤- المرجع السابق: ٦٣.

وملاحظتُها حول هيمنة طريقة القواعد والترجمة على طرق التدريس[١].

وهناك أيضا ملاحظات د. أوكودا حول ضرورة الاهتمام بثلاثة مبادئ في تعليم العربية: مبدأ الدراسة في الموطن الأصلي، ومبدأ الدراسة لعدد قليل من الطلاب، ومبدأ البرامج قصيرة الفترة مكثفة الدراسة[٢].

المبحث الرابع: أثر العامل الثقافي الاجتماعيّ في نشر العربية في اليابان

(١) التراث الفكريّ الياباني الذي يرى ضرورة تعلم العربية:

لم يعد مستغرباً أن يجد المتتبع للنشاط الفكري الياباني إلحاحاً من قبل المفكرين والمثقفين على ضرورة تعلم العربية، ومن أوضح هذه الأطروحات دلالة ما ذكره د.أوكودا أتسوشي الذي ذهب إلى أنّ تعلّم العربية هو حوار مع الماضي ومع الحاضر ومع النفس ومع الله[٣]وَلَمَّا

إضافةً إلى تأكيد أووكاوا ضرورة العربيّة لفهم القرآن وترجمته، وتحسر تناكا إيبيه على عدم اهتمام اليابان بالعربية[٤]!

(٢) وجوه الشبه بين العربية واليابانية:

من العوامل الثقافية التي سهلت انتشار العربية في البيئة اليابانية وجودُ بعض وجوه الشبه بين اللغتين[٥]، فمع التباين في أشياء كثيرة فإن هناك ملامح تشابُه، منها:

- الحركات الطويلة والقصيرة، فالياباني لا يستشكلها في العربية؛ لأنه يجدها في لغته.

١- المرجع السابق: ٧٢.

٢- انظر: العلاقات الثقافية وتعليم اللغة العربية: ٢٣٨.

٣- مقصوده بالحوار مع الحاضر أن متعلم العربية يستطيع أن يفتح باب الحوار مع عصرنا الحالي، وبالحوار مع الماضي يشير إلى التراث المعرفي العريق للغة العربية، وأما قوله (الحوار مع الله) فهو يشير به إلى قدرة متعلم العربية على التواصل المباشر مع الوحيين: الكتاب والسنة. ويقول د. أوكودا في آخر شرحه لهذه الثلاثية: "لو افترضنا أن الدين الإسلامي لإكمال النفس البشرية، فإننا نستطيع أن نقول: إن تعلم اللغة العربية بوابة الدخول للطريق الأكثر فاعلية للوصول". انظر: العلاقات الثقافية وتعليم اللغة العربية: ٢٣٧.

٤- انظر: المحتوى الفكري والثقافي في كتب تعليم اللغة العربية في اليابان: ٥-٦.

٥- في تجربة تعليمية أجراها المعهد العربي الإسلامي بطوكيو في المحرم من عام ١٤٠٣هـ على عددٍ من الدارسين اليابانيين للعربية لوحظ أنّ الطلاب الذين استمروا في التجربة "أجادوا النطق بالعربية بطريقة مُرضِية تماماً، إن لم تكن مثيرةً للاهتمام". تعليم اللغة العربية وتجربة اليابان: ١٠٤. وهذه إشارةٌ لها قيمةٌ؛ لأن معظم متعلمي العربيةِ تظهر عندهم مشكلةُ النطق وعدم القدرة على الأداء السليمِ حتى مع إتقان اللغة.

النبر، وهو «وضوح نسبي لصوت أو مقطع، إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام»[١]. وكما أنّ النبر في العربيةِ قد يصرفُ المعنى من جهة إلى أخرى كما نجدُهُ في الهمزةِ من (ساءَلهم) و(ساءَ لهم)، فإن اليابانية كذلك تولي النبر أهمية كبيرةً، ومن أمثلة ذلك أنّ كلمة (Hashi) تعني باليابانية: جسر، ولكن إذا كان النبرُ واضحاً على آخرِها فإنها تعني عصا الطعام التي يستخدمها اليابانيون في الأكلِ، ومثل ذلك كلمة (Ame) اليابانية، فالنبرُ في آخرها يغير المعنى من المطرِ إلى نوعٍ من الحلوى[٢].

وجود علامة في اللغة اليابانية تفرّق بين الفاعل والمفعول، فاللاحقة (ga) تجيء بعد الفاعل وتدل على الفاعلية، واللاحقة (O) تجيء بعد المفعول وتدل على المفعول المباشر. وهذا مما يساعد الطالب الياباني على استيعاب مسألة إعراب الفاعل والمفعول، والتفريق بينهما بالحركة[٣].

- التشابه في بعض الكلماتِ على مستوى النطق، مثل: كتف، وكتا، وكذلك: حاشية وهاشي، وكذلك: أنت وأنت، وكذلك: أُنثى وأُنَّا. ومنها الكلمات التي وردت للعربية واليابانية من لغةٍ ثالثةٍ، كالتليفزيون والراديو والكمبيوتر[٤].
- وجود بعض الكلمات العربية في اللغة اليابانية، وقد ذهب د. سمير عبدالحميد إلى أن (جزر الواق واق) التي وردت كثيرا في كتب الرحلات البحرية العربية وكانت تطلق على بلاد تعتبر نهاية العالم ليست إلا جزر اليابان! فقد كانت تسمى قديما (WAKU) وهو نطقٌ قريبٌ[٥].

ومن جانب عكسيٍّ فإنَّ صعوبة وتعقيد النظام الكتابي في اللغة اليابانية يمثل نقطة إيجابية لصالح تعلم النظام الكتابي العربيّ[٦].

وليس معنى ذلك بحالٍ أنَّ اليابانيّ لا يجدُ صعوباتٍ نتيجةَ فوارق رئيسة بين اللغتين،

١- مناهج البحث في اللغة: ١٦٠.

٢- انظر: تعليم اللغة العربية وتجربة اليابان: ١٠٦.

٣- انظر: توظيف خصائص اللغة اليابانية في بناء منهج سلسلة طوكيو: ٢٥٤.

٤- انظر: تعليم اللغة العربية وتجربة اليابان: ١١٣.

٥- الإسلام والأديان في اليابان: ٩، نقلاً عن: الدور المستقبلي لليابان في الشرق الأوسط: ١١٤. ولاستقصاء مزيد من وجوه الشبه بين العربية واليابانية انظر كتاب البرفسور نايكي ريوتشي: دراسة مقارنة لاستعمال الأفعال الأساسية في اللغتين اليابانية والعربية مع أمثلة تطبيقية، وكتاب الأستاذين: إيموري كاسوكيه وكروياناغي (مدخل للغة العربية).

٦- توظيف خصائص اللغة اليابانية في بناء منهج سلسلة طوكيو: ٢٤٩.

فالنظام الصوتي للغةِ الأم لا يفرق بين الراء واللام، كما أنَّ اليابانيّ بسبب نظامه اللغويّ الذي اعتاد عليه يجد صعوبة في نطق الحاء، والتفريق بين الذال والزاي، والتاء والطاء[1].

كذلك من أشق الصعوبات ما يتعلق بترتيب الجملة، ففي اليابانية يأتي حرف الجر بعد الاسم بخلاف العربية، وتتقدّم المعمولات على العامل. فمثلاً يكون ترتيب الجملة في العربية هكذا: ذهبت / مع أخي / إلى سوق / المدينة. أما ترتيبها في اليابانية فيكون هكذا: أنا / أخي – مع / المدينة / سوق – إلى / ذهبت[2].

(٣) الطبيعة اليابانية:

لدى الشعب اليابانيّ مجموعةٌ من القيمِ والتقاليد والعوائد شكلتْ عنصراً مؤثراً في تعليم العربية، بعض هذه القيم دينيّ، وبعضها اجتماعيّ، وبعضها لغويٌّ.

ومن أهم هذه القيم وأكثرها أثراً في رواج العربية روح (الانفتاح) التي بات يمتازُ بها اليابانيون. فالشعب الياباني رغم تمسكه الشديد بهويته الخاصة شعبٌ منفتحٌ يحبُّ الاتصال بالآخر ومعرفة ما لديه.

ويبدو أنّ التاريخ الياباني المليء بفظائع الاستعمار والحروب منه وعليه قد غرس في الفكر الياباني المعاصر منطقاً مركباً قائماً على التعامل العقلاني مع الواقع دون الخضوع لهيمنة العاطفة، وهذا ما يؤسس حالة من الانفتاح على الآخر تقدّم مصلحة البلاد وفائدتها على (المشاعر العاطفية).

ولعل عبارة نوتوهارا التالية توضح المراد يقول: «كثيراً ما واجهت هذا السؤال في البلدان العربية: لقد ضربتكم الولايات المتحدة الأمريكية بالقنابل الذرية فلماذا تتعاملون معها؟ العرب عموما ينتظرون من اليابانيين عداء عميقاً للولايات المتحدة الأمريكية لأنها دمرت المدن اليابانية كافة، ولكن طرح المسألة على هذا النحو لا يقدم شيئا؛ علينا أن نعي أخطاءنا في الحرب العالمية الثانية، ثم نصحح هذه الأخطاء ... إذن المشكلة ليست في أن نكره أمريكا أم لا، المشكلة في أن نعرف دورنا بصورة صحيحة، ثم

١– انظر: تعليم اللغة العربية وتجربة اليابان: ١٠٤. من جهة أخرى يرى أ. صلاح مدني أحد مدرسي اللغة العربية في المعهد العربي في طوكيو، في دراسته: توظيف خصائص اللغة اليابانية في بناء منهج سلسلة طوكيو ص: ٢٤٩: "نفترض في هذه الورقة ألا يواجه الدارس للغة العربية من اليابانيين مشكلةً في تعلم الأصوات العربية إلا في حيز ضيق يتمثل في القليل من الأصوات التي لا توجد في اليابانية، وفي بعض صفات الأصوات العربية مثل التفخيم والترقيق".

٢– انظر: تعليم العربية في اليابان: ١١٠.

نمارس نقداً ذاتياً بلا مجاملة لأنفسنا، ثم نختار الطريق الصحيح الذي يصحح الانحراف ويمنع تكراره مستقبلا»[١].

ما أقوله إذنْ أنَّ هذه الروح (المنفتحة) التي لا تتحرج من التواصل مع أي جهة كانت ومهما كان التاريخ معها مادام في ذلك منفعة للبلاد، هذه الروح مثلتْ بوابةً مهمة لانتشار العربية في اليابان.

والحقيقةُ أنّ مثل هذا الانفتاح اليابانيّ ليس وليد هذا العصر فحسب، بل هو قيمة تظهر كلما خفتْ سلطةُ العسكرِ عن رؤوس اليابانيين، ولذلك فإنه بانتهاء (فترة ميدو) المنغلقة وبداية العهد الميجي وقعتْ حكايةُ (مؤتمر الأديان) التي روى خبرها بالتفصيل وعن مشاهدةٍ وعيان الشيخ المصري الأزهري (علي الجرجاوي) في كتابِهِ (الرحلة اليابانية)[٢]، حيث ذكر أنّ الكبراء والوزراء من اليابانيين اجتمعوا، واقترح البارون (سوتانغو) أن تتخذ البلادُ لها ديناً مبنياً على أصولٍ وأسس صحيحةٍ، وأشارت الكونت (كاتسورة) رئيسة الوزراء سابقاً إلى أن تخاطب اليابان سائر الأمم المتمدنة بأن ترسل فلاسفتها ومشرعيها ليشرح كلٌّ منهم دينه وعقيدته ثم يختار اليابانيون من بين ذلك كله ما يرونه أصح عقلاً وأقوم سبيلاً.

وقد وافق (الميكادو) على ذلك وأمر بإرسال الخطابات إلى الدول العظمى ومن بينها: الدولة العثمانية، وفرنسا، وإنكلترا، وإيطاليا، والولايات المتحدة وغيرها. وانعقدت أول جلسة للمؤتمر في مارس سنة ١٩٠٦م. وأُحيلُ الراغبَ في معرفة تفاصيل المباحثات إل الرحلة الجرجاوية المذكورة آنفاً.

والشاهد هنا هو أن هذا المؤتمر دليل على أن اليابان لم تكن متصلبةً على عقيدة، أو منغلقة على فكرة، وهذه القيمة الانفتاحية كما أسلفت كانت سبباً مهماً في أن تحظى العربية ودينُها الإسلام بمنزلة لائقة في اليابان.

ومن طريف ما يمكن أن يذكر في هذا السياق أن البوذي الياباني (ماتسياما دايكو) راهب طائفة (الزنّ) قارنَ بين المطبخ التقليديّ اليابانيّ، ونظيرِهِ الغربيّ، فقال: إنَّ وجبةَ الطعام الغربية تتكون من طبقٍ رئيسيٍّ وحوله أطباقٌ جانبيةٌ، أما وجبة الطعام اليابانية فلا يوجدُ فيها طبقٌ رئيسٌ، بل هي مجموعةٌ من الأطباق الصغيرةِ، ومثلُ ذلك الأديان،

١- العرب وجهة نظر يابانية: ١٢.

٢- انظر الكتاب المذكور ص: ١٤١ وما بعدها.

فلا يوجد في اليابان دينٌ رئيسٌ بالمعنى المتداول في الشرق والغرب[١].

ولصيقٌ بهذه القيمة بل هي فرعٌ عنها قيمةٌ يابانية أخرى، هي حب استكشاف ما لدى الآخرين، وانظر إلى شاهدِ هذه القيمة في قول وزير الخارجية الياباني الأسبق (يوهي كونو): «الحصول على معرفة كافية عن الإسلام أمر مهم جداً وضروريّ ... فهو دين وسطٌ لا رهبانية فيه ولا إكراه في الدين». ولم يكتف (كونو) بالقول بل شكل لجنةً من أساتذة جامعة طوكيو للعمل في هذا السبيل، وقد رفعت اللجنة تقريراً إيجابياً دعت فيه إلى التوسع في بحث الدين الإسلاميّ، وأوصت بإدراج دراسات ومعارف إسلامية في المدارس الابتدائية والثانوية[٢].

ويلحق بهذا الباب أن التشابه ما بين المجتمع الياباني والمجتمع العربي ولا سيما في قيم العائلة شكلتْ حافزاً أيضاً، لما تحتويه ثقافةُ اللغتين من مشتركاتٍ في هذا الباب[٣].

المبحث الخامس: أثر العامل السياسيّ في نشر اللغة العربية في اليابان

هناك عدة عناصر سياسية كان لها دورٌ في حضور اللغة العربية في المشهد الياباني، من أهمها:

(١) التوجه الرسمي الحكومي تُجاه اللغة العربية وثقافتها الإسلامية:

المتتبعُ لرؤية المسؤولين اليابانيين من قضية تعليم العربية، يجدُ الكثير من المواقف التي تدل على بالغ العناية الرسميّة والاهتمام، ومنها:

- إشارات المسؤولين وتنبيهاتهم حول ضرورة التعاطي مع اللغة العربية للانفتاح على العالم العربيّ، ومن نماذجه:

- التقرير الذي رفعه القنصل الياباني في بورسعيد عام ١٩٢٧م إلى وزير الخارجية، وضمّنه إشاراتٍ كثيرةً إلى أفق التعامل مع المملكة خصوصاً ما يقتضيه ذلك من تواصل كثيف مع اللغة العربية[٤].
- التحوّل الذي حصل في سياسة إدارة التخطيط بقسم التبادل الثقافي بوزارة

١- انظر: الدعوة الإسلامية في اليابان: ٥١.

٢- انظر: اليابان والإسلام: ٦-٤٨، نقلاً عن: تطور العلاقات الثقافية بين السعودية واليابان: ١٨-١٩.

٣- انظر: لمحة سريعة عن العلاقات الثقافية والاقتصادية بين اليابان والمملكة: ١٨٣.

٤- تطور العلاقات الثقافية بين السعودية واليابان: ١٦

الخارجية اليابانية بدءاً من عام ٢٠٠٤م؛ إذ نبّه الباحث الياباني (أوكودا أتسوشي) أن هذا العام شهد إعادة نظر في الوضع القائم لسياسة اليابان للتبادل الثقافي مع دول الشرق الأوسط بشكل عملي، فبعد أن كانت وزارة الخارجية تضع الدول العربية في خانة واحدة فقط، أصبحت تنشط في التبادل الثقافي مع كل دولة على حدة[١].

- كلمة رئيس ديوان رئاسة مجلس الوزراء الياباني في افتتاح ندوة واقع اللغة العربية في اليابان (١٤٢٧هـ)، وقد تضمنت ثناءً عاطراً على اللغة العربيّة؛ إذ وصفها بأنها «لغة الحضارة الإسلامية ذات التاريخ العريق»، وبأنها «إحدى لغات الأمم المتحدة حيث يبلغ عدد الناطقين بها حوالي ٢٢٥ مليون نسمة»، وقرر بأنه «يوجد تزايد سنوي مستمر في عدد الدارسين للغة العربية باليابان»[٢].

- الابتعاث الحكومي للدول العربية: فقد ابتعثت الحكومة عدة أشخاصٍ على مستوياتٍ مختلفةٍ لتعلُّمِ العربية في العالم العربيّ، وكان على رأسهم: د.شيجيهي كو ماتسوموتو، أحدُ رواد تعليم العربية في اليابان. وابتعثت كذلك ناكانو إيجيرو صاحب الرحلة التي سبقت الإشارة إليها.
- توظيف التلفزيون الحكوميّ: إذ تبثُّ قناة (NHK) الحكومية الرسميّة برامج ممتازة لتعليم المحادثة باللغةِ العربيّة[٣]. ويستطيع الباحثُ أن يجد مقاطع كثيرة من هذه البرامج في موقع: يوتيوب. كما يتضمن مواقع (NHK) على الإنترنت واجهةً عربيةً.

(٢) الحوادث السياسية:

أدّتْ جملةٌ من الحوادث السياسيّة إلى نشاط حركة تعلُّم العربية في اليابان، ولعل من أشهر هذه الحوادث أزمة البترول سنة ١٩٧٣م، فبعد أزمة البترول لوحظ الارتفاعُ الواضحُ في عدد متعلمي اللغة العربية، ففي هذه السنة وصل عدد الطلاب في جامعة أوساكا إلى ٢٥ طالباً، وزادت أعداد الطلاب الذين يدرسون العربية في جامعة طوكيو

١- المرجع السابق: ٢٢.

٢- السجل العلمي لندوة واقع اللغة العربية في اليابان: ١٥٢.

٣- متطلبات الشركات اليابانية من مهارات اللغة العربية: ١١٨.

إلى أكثر من مئة، ووصل في جامعة تاكشوك إلى سبعين، وهكذا[1].

وحين وقعت أحداث سبتمبر وما تلاها أصبحتْ ألفاظٌ عربية كثيرةٌ مألوفةٌ لدى المواطن الياباني مثل: العراق، بغداد، صدام، ابن لادن[2].

ومع الهزة التي أحدثها الربيع العربيّ بات هناك فضول يابانيٌّ لإعادة اكتشاف (العرب) الذين كتب عنهم (نوتوهارا) (وجهة نظر يابانية)، ثم بينت الأحداث الأخيرة أن كثيراً من تصوراتِهِ لم تكن صائبة! لا لأنه أخطأ التحليل، بل لأن الواقع العربيّ انقلب فجأة، وبشكلٍ خالف كل التوقعات!

كل هذه الحوادث أحدثت رغبةً واسعةً لدى اليابانيين في تعلم العربية.

المبحث السادس: أثر العامل الاقتصاديّ في نشر اللغة العربية في اليابان

تبدي الشركات اليابانية اهتماماً بتوظيف طلاب العربية؛ وذلك نظراً للتزايد المطرد في حجم التعاملات التجارية بين اليابان والعالم العربيّ، ويكفي أن نعرف أن حجم التبادل التجاري بين اليابان والمملكة العربية السعودية وحدها بلغ ٣٥٠٠ مليار ين ياباني خلال عام ٢٠٠٥م. ولهذا بدأت:» البنوك والشركات والمؤسسات الإنتاجية في اليابان تتنافس لاجتذاب الخريجين اليابانيين من قسم اللغة العربية«[3]. بل يقول ساوا إيزو: أصبحت اللغة العربية الابن المدلل في عالم الوظائف[4]!

وفي السبعينات كانت القاهرة تعج بدارسي اللغة العربية من هؤلاء الذين أرسلتهم الشركات اليابانية إلى مصر لدراسة اللغة العربية، وكانت تدفع لهم مصروفات الدراسة الباهظة[5].

إن استعراضاً سريعاً لحجم التبادل التجاري بين اليابان والعالم العربيّ يبين بوضوح سبب هذه الحفاوة (الاقتصادية) باللغة العربية، فاليابان تعتمد على الشرق الأوسط في حوالي ٨٠,٢٪ من نفطها الخام، وتستورد من المملكة وحدها ما يعادل ٢٣,٩٪ من هذه الصادرات.

١- انظر: المحتوى الفكري والثقافي في كتب تعليم اللغة العربية في اليابان: ١١.

٢- انظر: العلاقات الثقافية وتعليم اللغة العربية: ٢٣٥.

٣- هذه عبارة البروسور نوتوهارا. انظر: المحتوى الفكري والثقافي في كتب تعليم اللغة العربية في اليابان: ١٧.

٤- واقع تدريس اللغة العربية بالجامعات اليابانية: ٦٠.

٥- المصدر السابق: ٦٣.

وفي المقابل تستورد دول الشرق الأوسط من اليابان جزءاً كبيراً من منتجاتها الصناعية والتقنية، ويفوق ما تستورده المملكة وحدها ١,٣ بليون دولار[١]. وقد نقل الباحث د. المليكي عن الغرفة التجارية بالرياض إحصائية لأكبر عشر دول مصدرة للمملكة، وجاءت اليابان في المرتبة الثانية[٢].

وفي دراسة أجراها أ. سوزوكي تبيّن أنّ ٥٢٪ من الشركات تعتبر تمكن المتقدم من العربية من عناصر القوة التي تحسب له، و٦٦٪ منها تجعل التمكن من العربية مسبقاً مؤثراً في قرار تولية الموظف عملاً له صلة بالعالم العربيّ[٣].

كما كشفت الدراسة المذكورة عن ترتيب المهارات اللغويّة بحسب احتياجات الشركات، وقد تصدّر تلك المهارات: فهم الثقافة العربية والإسلامية، ثم استخدام الأوفيس بالعربية، ثم التفاوض دون مترجم[٤].

الخاتمة

حاول هذا البحث أن يستقرئ تفاصيل انتشار اللغةِ العربية في اليابان واقعاً وعواملَ، وتبيّن من خلال البحث أن فرص العربية هناك كبيرةٌ جداً، وأنّ جهداً عربياً جاداً كفيلٌ بأن يجعل لها حضوراً مميزاً في اليابان.

وفي الختام أشير إلى بعض التوصيات:

- دعمُ المؤسسات العلمية القائمة بتعليم اللغة العربية بالمشورة العلمية والمصادر والمراجع.
- إيجاد برامج تبادل ثقافي فاعلة على مستوى الأساتذة والطلاب.
- اغتنام الإشارات الإيجابية التي يبديها المسؤولون تُجاه العربية وثقافتها.
- توظيف أوراق القوة الاقتصادية لدى الدول العربية في الضغط باتجاه حضور العربية في كافة المنتجات وكتيبات التعريف اليابانية.

١- انظر في هذه الإحصاءات: الدور المستقبلي لليابان في الشرق الأوسط: ١١١.

٢- لمحة سريعة عن العلاقات الثقافية والاقتصادية بين المملكة واليابان: ٢٠١. وانظر مزيدا من الإحصاءات في: متطلبات الشركة اليابانية من مهارات اللغة العربية: ١١٦.

٣- متطلبات الشركات اليابانية من مهارات اللغة العربية: ١٢٥-١٢٦.

٤- المصدر السابق: ١٣٠.

- تعزيز برامج المحادثة العربية في التلفزيون الياباني بالموادّ التي تطوِّر من فاعليتها.
- عمل دورات تدريبية لأساتذة العربية هناك لتطوير مهاراتهم في التدريس.
- تأسيس شراكات فاعلة بين معاهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعات المملكة، والمعاهد المماثلة في اليابان.

والله الموفق

المصادر والمراجع

١. أدوين رايشاور، اليابانيون، ترجمة: ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة (١٣٦)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ١٩٨٩م.
٢. أمين ميزوتاني ماكوتو، نحو فهم عقائدي متبادل بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الياباني - ضمن السجل العلمي لندوة العلاقات السعودية اليابانية الواقع وآفاق المستقبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.
٣. أنور ماجد عشقي، التطور التاريخي للعلاقات الدولية بين اليابان والعالم الإسلامي - ضمن السجل العلميّ لندوة الحوار الإسلامي الياباني (المملكة نموذجاً)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
٤. أوكودا آتسوشي، التبادل الثقافي ودراسة اللغة العربية - ضمن السجل العلميّ لندوة الحوار الإسلامي الياباني (المملكة نموذجاً)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
٥. أوكودا أتسوشي، العلاقات ثقافية وتعليم اللغة العربية - ضمن السجل العلميّ لندوة الحوار الإسلامي الياباني (المملكة نموذجاً)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
٦. إيجيرو ناكانو، الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية، ترجمة: سارة تاكاهاشي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.
٧. تقية محمد المهدي حسان، من أسرار نجاح التجربة اليابانية - بحث منشور ضمن مجلة (الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية)، العدد الخامس، ٢٠١١م.

٨. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، ١٩٩٠م.
٩. سجلاّت الخريجين من المعهد العربي الإسلامي في طوكيو لأعوام: ٢٠٠٥، ٢٠٠٦، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨م.
١٠. سوزوكي كين، دراسة عن متطلبات الشركات اليابانية من مهارات اللغة العربية - ضمن السجل العلميّ لندوة واقع اللغة العربية في اليابان التعليم واحتياجات سوق العمل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.
١١. صالح بن حمد الصقري، الدور المستقبلي لليابان في الشرق الأوسط - ضمن السجل العلميّ لندوة الحوار الإسلامي الياباني (المملكة نموذجاً)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٢. صلاح مدني، توظيف خصائص اللغة اليابانية في بناء منهج سلسلة طوكيو - ضمن السجل العلميّ لندوة الحوار الإسلامي الياباني (المملكة نموذجاً)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٣. علي أحمد الجرجاوي، الرحلة اليابانية، مطبعة الشورى بالفجالة، مصر، ط١، ١٣٢٥هـ.
١٤. فهد عبدالرحمن المليكي، لمحة سريعة عن العلاقات الثقافية والاقتصادية بين المملكة العربية السعودية واليابان - ضمن السجل العلميّ لندوة الحوار الإسلامي الياباني (المملكة نموذجاً)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٥. كاتاكورا كوني أو، التواصل بين اليابان والأمم الإسلامية - ضمن السجل العلميّ لندوة الحوار الإسلامي الياباني (المملكة نموذجاً)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٦. كادويا يوكي، واقع تعليم اللغة العربية في الجامعات اليابانية - ضمن السجل العلميّ لندوة واقع اللغة العربية في اليابان التعليم واحتياجات سوق العمل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٧. كرم خليل، تعليم اللغة اليابانية في المملكة العربية السعودية - ضمن السجل العلمي لندوة التربية والتعليم في السعودية واليابان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.
١٨. كينئيتشي أونو، التنمية الاقتصادية في اليابان الطريق الذي قطعته اليابان كدولة نامية، ترجمة خليل درويش، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٧م.
١٩. ماجد بن عبدالله الموسى، الدعوة الإسلامية في اليابان حقائق ومقترحات، د.ن، ط١، ١٤٣٧هـ.
٢٠. محمد بن حسن الزير، تجربة المعهد العربي الإسلامي في طوكيو في تعليم اللغة العربية خلال ٢٤ عاماً - ضمن السجل العلميّ لندوة واقع اللغة العربية في اليابان التعليم واحتياجات سوق العمل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.
٢١. محمد بن عبدالرحمن الربيع وسمير عبدالحميد إبراهيم، المحتوى الفكريّ والثقافي في كتب تعليم اللغة العربية في اليابان، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.
٢٢. محمد بن عبدالرحمن الربيّع، جهود المملكة العربية السعودية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية نموذجاً، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ط١، ١٤٢٣ه.
٢٣. محمد حسن الزير، آفاق مرحلة الشراكة الاستراتيجية المتعددة المستويات بين السعودية واليابان، ضمن السجل العلميّ لندوة السعودية واليابان مرحلة جديدة من الشراكة الإستراتيجية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.
٢٤. محمد حسن الزير، تطور العلاقات الثقافية بين السعودية واليابان، ضمن السجل العلمي لندوة العلاقات السعودية اليابانية الواقع وآفاق المستقبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.
٢٥. محمد عبدالرحمن الربيع وسمير عبدالحميد إبراهيم، تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وتجربة اليابان، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٦. ناؤوكي أوجي، واقع التعليم في اليابان ومشكلاته، ضمن السجل العلمي لندوة التربية والتعليم في السعودية واليابان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.
٢٧. نوبوأكي نوتوهارا، العرب وجهة نظر يابانية، دار الجمل، ألمانيا، ط١، ٢٠٠٣م.
٢٨. هوندا كو إيتشي، تزايد الاهتمام بتعلم الخط العربي في اليابان، ضمن السجل العلميّ لندوة الحوار الإسلامي الياباني (المملكة نموذجاً)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

اللغة العربية في نفوس أبنائها مقارنة باللغات الأخرى

(دراسة مسحيّة على فئة من طلاب التعليم الجامعي من طلاب المستوى الثالث فما فوق في تخصص اللغة الإنجليزية والطب).

د. عبدالرحمن بن حسن المحسني

المقدمة:

تواجه اللغة العربية تحديات كبيرة، وأهمها في رأي البحث هو مزاحمة اللغات الأخرى لهذه اللغة، سواء أكان ذلك في المؤسسات التعليمية أم كان في المجتمع أم عبر وسائل التقنية التي ارتبط بها أبناء اللغة بطريقة مندفعة وغير مقننة، وهذا ما يستدعي عدة بحوث تتناول هذه المناطق البحثية، وتجوس خلال الأجيال باحثة عن المشكلة وإبرازها ومواجهتها، ثم تلمس الحلول لها من خلال دراسات مسحية في الاتجاهات المتعددة، وفي هذا الهم كانت فكرة هذا البحث الذي طرحه مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية وانتدب له.

تقع الدراسة في محورين بنيت عليهما الاستبانة الخاصة بالموضوع، يتناول المحور الأول: مكانة اللغة العربية في نفوس أبنائها، ويركز على عينة من الطلاب الذي تشربوا لغة أخرى من خلال تخصصي الطب واللغة الإنجليزية ما فوق المستوى الثالث، لقياس مدى انتمائهم إلى لغتهم الأم في ظل تأثير اللغة الأخرى. وقِيس ذلك من خلال عدة مؤشرات. أما المحور الثاني فيتناول دور اللغة الأخرى في تراجع دور اللغة العربية وحاولت قياس ذلك من خلال عدة مؤشرات تبدأ من تحديات المؤسسات الأكاديمية

وصولا إلى تأثير المحيط الاجتماعي والثقافي لعينة الدراسة. وهي تعتمد المنهج الوصفي التحليلي.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في التالي:

- أنها تساعد المتخصصين في اللغة العربية على قياس مدى انتماء أبناء العربية إلى لغتهم الأم في ظل المتغيرات العصرية المحيطة.
- أنها تجعلهم من خلال قياس إحصائي أمام قياس المكانة، وأمام المشكلات والتحديات التي تعوق تعزيز هذه المكانة.
- تعزيز انفتاح أقسام اللغة العربية على التخصصات العلمية والطبية المختلفة للقيام بدورها في رعاية وحفظ اللغة الأم.
- تنمية انتماء الطلاب إلى لغتهم الأم في ظل تمسك المؤسسات بتدريس العلوم بلغات أخرى.
- تنبيه الدارسين إلى ضرورة متابعة مشكلات العربية وتحدياتها المعاصرة، والسعي إلى إيجاد الحلول.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

يضطلع مركز الملك عبدالله الدولي بمهمة كبيرة في خدمة اللغة العربية محليا وعربيا منذ نشأته في عام ١٤٢٩هـ،وقد لاحظ وجود مشكلة مزاحمة اللغات الأخرى للغة الأم، وقدأدى ذلك إلى طرحه أسئلة هذا الموضوع الابتدائية في سؤال ضمني مفاده: أما زالت اللغة العربية محتفظة بمكانتها في ظل مزاحمة من اللغات الأخرى؟ وقد انتُدب الباحث لمواجهة هذا الموضوع الذي يدخل ضمن سياق اهتماماته؛ لكون عمله في ميدان العمل الأكاديمي في مواجهة طلاب اللغة العربية وطلاب التخصصات الأخرى الذي يدرسون اللغة العربية متطلباً إلزامياً في مقررات (المهارات اللغوية، والتحرير العربي)[1]، وقد تلمس الباحث مشكلة البحث، ومن أهم أسئلتها ما يلي:

١- كان الباحث يستشعر المشكلة من خلال وجود ابنته في كلية الطب، والزخم الهائل الذي تتلقاه من المعارف باللغة الإنجليزية، ولقد كان هذا عاملا مشجعا كثيرا للباحث لمواجهة المشكلة.

- أما زال للعربية قيمتها في ظل مزاحمة اللغات الأخرى لها؟
- هل أثّر تدريس العلوم والطب واللغات الأخرى في اللغة الأم؟
- ما مدى تأثير التقنية -بمغرياتها المقدمة بلغة أخرى كالأفلام القصيرة- على اللغة العربية؟
- هل يؤثر العمال بالمنزل من سائق وخادمة في تأسيس لغة الطالب؟
- هل أصبح المجتمع ضاغطا على الطلاب لتعلم لغة أخرى لتكوين مكانة اجتماعية وقدرة على التعايش معه؟
- هل أصبح الجانب الوظيفي الذي يستدعي لغة أخرى ضاغطا لتراجع الاهتمام باللغة الأم؟
- هل أثرت العوامل المحيطة بأستاذ اللغة العربية في عدم قدرته على أداء دوره المنوط به في دعم العربية اللغة الأهم للطلاب؟

وقد كانت الفكرة الأولى أن تطرح الاستبانة على الدارسين من طلاب الجامعة عامة، لكن النتائج المتوقعة لطلاب يتخصصون في العربية مثلا أن جانب الإيجابية والتأثير فيهم سيكون أقل، ولضبط الاستبانة رأى الباحث أن يعرضها على محكمين، فكان رأيهم معززا لرأيه أن تقتصر عينة الدراسة على الطلاب الذين يعيشون المشكلة وتبدو لهم اللغة العربية في مواجهة مباشرة مع لغات أخرى، فكان تحديد عينة الدراسة من طلاب كلية الطب واللغة الإنجليزية؛ لكونهم يباشرون السؤال، ولأن مكامن التأثير فيهم أكبر، فكان اختيار عينة البحث من طلاب الكليتين، واعتُمد توزيع الاستبانة إلكترونيا؛ لتكون الشريحة المستهدفة أكثر دقة في التعامل مع مشكلة الدراسة.

فرضيات الدراسة:

الفرضية الأولى:

- لا توجد فروق فيما يتعلق بمدى حبهم واعتزازهم بلغتهم العربية الفصحى قائمة على نوع التخصص.

الفرضية الثانية:

- لا توجد فروق بين الطلاب في قياس مكانة اللغة العربية في نفوس أبنائها قائمة على الجنس (ذكر/ أنثى).

الفرضية الثالثة:

- لا توجد فروق بين الطلاب في قياس مكانة اللغة العربية في نفوس أبنائها قائمة على المستوى التحصيلي للعيّنة.

حدود الدراسة:

الحد الزمني: بُدئ توزيع الاستبانة والتطبيق عليها إلكترونيا في الفصل الأول من عام ١٤٣٨/ ٢٠١٦-٢٠١٧).

الحد المكاني: بعد تصميم الاستبانة وتحديد المستهدفين وهم طلاب المستوى الثالث فما فوق في تخصصي الطب واللغة الإنجليزية، وُضعت الاستبانة على الموقع العالمي جوجل، وأُبلِغ المستهدفون من الطلاب عنها من خلال الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي واتس آب، والفيس بوك، وتويتر، لتوزيع الاستبانة وتعبئتها من قبل عينة الدراسة.

الحد البشري: طُبقت الدراسة على ٩٥ من طلبة المستوى الثالث فما فوق في تخصص اللغة الإنجليزية والطب.

مصطلحات الدراسة:

العيّنة: جاء في المعجم الوسيط: «العيِّنةُ: جزء من المادة يؤخذ منها نموذجا لسائرها»[(١)].

المعوقات: «**عاقه عن الشيء عوقا منعه منه وشغله عنه**» [(٢)].

وتتمثل أهم معوقات مثل هذه الدراسة في انصراف العدد الأكبر من المستهدفين عن الإجابة عن الاستبانة، وخاصة أنها تمس الطلاب، وأرسلت إلكترونيا، وهذا ما جعل الباحث يجد صعوبة في تكرار الإقناع بالإجابة.

مجتمع الدراسة:

يتألف مجتمع الدراسة من جميع طلبة تخصص اللغة الإنجليزية والطب في الفصل الدراسي الأول من عام (١٤٣٨- ٢٠١٦/ ٢٠١٧)؛ إذ أرسلت إلكترونيا مستفيدة من مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة مجموعات الواتس آب، واقتصرت الدراسة على

١- مجمع اللغة العربية في مصر المعجم الوسيط، ج٢، دار العمران، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٦٦٥.

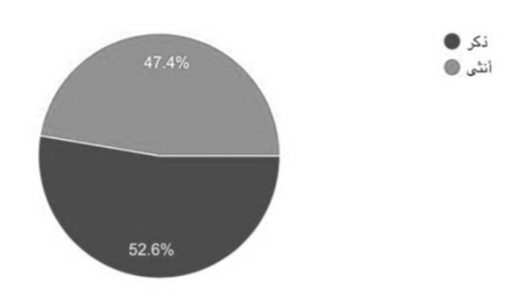
٢- السابق، ج ٢، ص٦٣٧.

طلاب المستوى الثالث فما فوق؛ نظرا لأنهم قد تشربوا اللغة الأخرى، واستُبعد طلاب التخصصات الأخرى؛ لأن المتوقع أن تكون مكانة اللغة العربية في نفوسهم حاضرة، كما استُبعد طلاب المستوى الأول والثاني في تخصصات الطب واللغة الإنجليزية؛ لأن تأثرهم باللغة الأخرى لم يتضح بعد.

عينة الدراسة:

تكونت العينة الأصلية من جميع طلبة التخصص حيث وُزّعت الاستبانة إلكترونيا عليهم، وتقصدت الاستبانة جميع الطلاب فوق المستوى الثالث في تخصصي اللغة الإنجليزية والطب، وكان عدد الاستجابات ١٠٥ استجابات، وبعد فرزها استُبعد ١٠، وقُبِل ٩٥ استجابة تحققت فيها شروط العينة الصالحة. ويعد العدد كافيا وممثلا لمجتمع الدراسة. (انظر صورة عينة الدراسة ١).





صورة ١ (عينة الدراسة).

يوضح البيان الأول نسبة الذكور إلى الإناث في عينة الدراسة (انظر صورة ١)؛ إذ يحتل الإناث ٥٢,٦٪، ويأتي الذكور بنسبة ٤٧,٤٪ من النسبة العامة، وهي نسبة متوازنة، وأحسبها تسير لصالح الدراسة، خاصة أن المجتمع بدأ يستوعب حضور المرأة في التخصصات المختلفة ومنها الطب،وتبدو المرأة في تحدي الوجود والحضور العلمي والتميز في المجتمع السعودي، فتفوق النسبة لصالحها يبدو طبيعيا ولا يؤثر في نتائج الدراسة.

أداة الدراسة:

فقرات الدراسة:

المجال الأول: مكانة اللغة في نفوس أبنائها.

المجال الثاني: دور اللغة الأخرى في تراجع دور اللغة العربية.

صدق أداة الدراسة:

عُملت استشارة لمتخصص في التربية لمعرفة أسس بناء الاستبانة وطرائق تحليلها، كما عُرضت على خمسة متخصصين في اللغة العربية لتحكيمها علميا.

منهج الدراسة وإجراءاتها:

تعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في توصيف الظاهرة وتحليل نتائجها، كما استعانت بالمنهج الإحصائي في تقسيم المحاور والمؤشرات و فرز نتائجها. وبعد تحديد مشكلة الدراسة والانتهاء من إعداد الاستبانة والتأكد من صدقها وقياس ثباتها طرحها الباحث على عينة الدراسة لأخذ الاستجابات. وأشير إلى أن هذه الدراسة قد أفادت من تصميم بعض الاستبانات التي تتخذ ذات الموضوع[1]، كما مرت بعدة منعطفات في بناء الاستبانة؛ إذ صُمِّمت بمساعدة متخصصين في التربية[2]، وعُرضت بعد ذلك على خمسة متخصصين في اللغة العربية وآدابها في تخصصي الأدب واللغة لتحكيمها، وقد أفدت من ملاحظاتهم على الاستبانة ومدى استيفائها لموضوع البحث.

١ – أفادت الدراسة مثلا من خطة بحث: عطا أبو جبين، وإدريس جرادات، معوقات دراسة اللغة العربية كما يراها طلبة التخصص في جامعة الخليل، واستبانة اللغة العربية، إعداد منار المطيري.

٢ – أفاد الباحث في بناء الاستبانة من الأستاذ خليل العمير المتخصص في المناهج وطرق التدريس.

مهاد:

اللغة العربية هي اللغة الأم للعرب ناهيك عن أنها لغة عبادية تؤدى بها فروض الدين الإسلامي على مستوى العالم، ويعد القرآن الكريم وما يتصل به من فروض عبادية هو أهم العوامل التي أبقت على العربية متوهجة «وكان له أعظم الأثر في توطيد هذه اللغة وتقوية سلطانها على الألسنة»[١]، وهي «تشهد إقبالا متزايدا على تعلمها من المسلمين وغيرهم في شتى أصقاع المعمورة»[٢]، وبرزت أهميتها وقيمتها التكوينية بعد ظهور التقنية والتفاعل على الشبكة العالمية[٣].

تحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء على مدى ارتباط أبناء اللغة العربية بلغتهم الأم من خلال بحث ينشأ في المؤسسة التعليمية بدءا وينفتح على المؤثرات المختلفة المحيطة، منطلقا من عينة طلاب الطب واللغة الإنجليزية الذين يواجهون اللغة الأخرى بصورة مباشرة، وإن شئت فقل بصورة متحدية، سواء أكان التحدي قصديا[٤] أم غير ذلك، لكنهم في واقع الأمر يعيشون المشكلة بكل تفاصيلها. وقد حاولت الدراسة تتبع مدى ارتباطهم بلغتهم الأم، والصوارف والتحديات التي تحيط بهم.

ترتبط اللغة العربية بعدد كبير من المتحدثين بها، وتحتل المرتبة الرابعة عالميا[٥]، وهي -وإن كانت غنية بمقدراتها الذاتية ومرتبطة وجدانيا بنفوس جميع المسلمين- فإنها كغيرها من لغات العالم تحتاج إلى مزيد من الاهتمام والوعي بتحدياتها ومشكلاتها.

١- خير الدين خوجة، فضل القرآن الكريم وأثره في حفظ اللغة العربية وإثرائها، جامعة قطر، ٢٠١٢م، ص٢، وانظر: ص٥، وما بعدها.

٢- ناصف مصطفى ومحيي الدين صالح، العربية للحياة، الكتاب الأول، (جامعة الملك سعود، ط٣، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، المقدمة.

٣- انظر مثلا: كتاب بحوث مؤتمر (اللغة العربية والنص الأدبي على الشبكة العالمية) الذي عقد في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم الإنسانية في جامعة الملك خالد. في الفترة من ١٧-١٩/ ٥/ ١٤٣٨هـ - ١٤-١٦/ ٢/ ٢٠١٧م).

٤- يدرس الطب في كثير من البلدان العربية باللغة الإنجليزية، وهناك دعوات متكررة من بعض المتخصصين في الطب لتدريسه باللغة العربية ومنهم زهير السباعي، وله عدة جهود ورؤية تستحق الاهتمام نشرها في عدة بحوث ومؤلفات ومن خلال عدة صحف ومواقع إلكترونية. انظر مثلا: صحيفة عكاظ، السعودية، رابط:
http://okaz.com.sa/article/612433/

٥- يتحدث بها ٤٢٢ مليوناً بحسب تقرير موسوعة ويكيبيديا العالمية:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D8%BA%D8%A9_%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9

ومنذ نزول القرآن الكريم بها، وهي لغة تمثل واجهة اللغات، وصامدة للتحديات؛ إذ نزل القرآن الكريم في لغته ومكوناته متحديا للغة الشعر العربي الفصيح، وإن كان لا يتباين عنها في المكونات والبنى، لكن التحدي اللغوي جاء في النسج والنظم[1]؛ فالشعر الفصيح يسير في ركابها ولكنه ينماز عنها بنظمه ونسجه، فلغة القرآن الكريم والشعر العربي القديم متسقتان وتمثلان خطا تكوينيا واحدا، وإن تمايزا في البناء والنظم.

وحين نزل القرآن الكريم باللغة العربية كان داعما مهما لوجودها، ونصُّ القرآن الكريم -وإن كان عربيا في جملته- أفسح المجال لوجود كلمات لا تخضع للأوزان العربية، وتستفيد من لغات محيطة بلغة العرب إبان نزوله، ومستعملة في لغة العرب، فجاء القرآن الكريم بمفردات مستجلبة من لغات أخرى ومستعملة في حديث المنزَل عليهم، مثل كلمة (سرابيل، وقرطاس ...)، والعلماء يختلفون فيها وليس هنا موضع بسط الخلاف[2]، لكن وجودها في القرآن الكريم يعطي فكرة -عند من يرى ذلك- عن طواعية اللغة وعن قدرتها على الحياة والتعايش مع اللغات المحيطة، كما يدل من جهة أخرى على قوة العربية وقدرتها على التكيف والإفادة مما حولها من اللغات.

واستمرت قوة العربية الفصحى عبر العصور رغم مزاحمة اللهجات المختلفة والشعر العامي، لكن الشاعر العربي في العصر الإسلامي وما بعده كان يكتب الشعر الفصيح بلغة عربية متسقة مع بناء لغة الشعر العربي ولغة القرآن، فكان هذا داعما مهما لصمودها.

وبدأت حركة الترجمة في نهاية العصر الأموي وبداية العباسي، ونضجت في عهد المأمون[3]، وأصبحت اللغة العربية محاطة بتحدي اللغات الأخرى أكثر مما سبق؛ إذ شهد العصر العباسي امتزاجا كبيرا لثقافات وحضارات عدة، وكل ثقافة تستخدم لغتها في التعبير، وكان قمِناً أن تلقي بتأثيرها على اللغة، بيد أن العربية بقيت صامدة ومواجِهة بقوة، ويبدو أن الانتصار السياسي لها كان عاملا مهما جدا لصمودها ومواجهتها، فقد

١- انظر: عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، لبنان، ط١، ١٩٨١م، ص٤٠-٥٢، ٦٣-٧٣.

٢- انظر: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق محمد متولي منصور، دار التراث، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص٣٩٤-٤٠٩.

٣- انظر: نصر الدين جار الله سليمان، حركة الترجمة وأثرها الحضاري في العصر العباسي الأول، مجلة جامعة شندي، السودان، العدد الأول، يناير، ٢٠٠٤م، ص٨٣-١٠٢.

كان الحكام ينتصرون في بلاطهم للعربية الفصحى ويقربون شعراء الفصيح، كما كانت حلقات العلم في المساجد تقوم بدورها وتستخدم العربية الفصحى حتى في العلوم الطبيعية، فظهرت لنا علوم في صميم العلم الطبي كتبت باللغة العربية ككتاب حنين بن إسحاق (أدوية علل العين)، وكتاب (اللسان واللثة) وغيرهما[١].

وفيما بعد العصر العباسي -رغم تفرق اللغة في شتى الأقطار الإسلامية- فإن اللغة العربية بقيت صامدة بفعل عاملي الدين والشعر، وأضيف عليهما عامل ثالث وهو نشاط الحركة العلمية التي اعتمدت في جملتها على اللغة العربية الفصيحة.

وحينما ندلف للعصر الحديث نجد وجود القرآن الكريم وتوظيف اللغة العربية في أداء الشعائر ما زال قائما وعاملا مهما لحياة العربية، لكن التحديات التي تواجه العربية بدأت تزداد قياسا إلى ما سبق؛ إذ تبدو التحديات أكبر، وتأخذ ألوانا شتى، ومنها تحدي اللغات الأخرى، وهو ما تنطلق منه مشكلة هذه الدراسة، فقد باتت لغة الأجيال المعاصرة في مواجهة مشكلة كبيرة تتمثل في طغيان اللغة الأخرى.

وقد توجهت هذه الدراسة لعيّنة من طلاب الطب واللغة الإنجليزية الذين يمثل التحدي والتأثير مسارا أكبر وأخطر على لغتهم ولسانهم وانتمائهم للغتهم الأم. ولئن قلنا: إن اللغة العربية واجهت تحدي العلوم الطبيعية في العصر العباسي؛ فإنها كانت تحت مظلة العربية وتكتب بها وتترجم، وهذا لم يخفف الأثر عليها فحسب، بل عزز من مكانتها وفتح لها آفاقا رحبة. أما في العصر الحديث فإن تحدي بقاء العربية على مكانتها في نفوس أبنائها يبقى مشكلة تحتاج إلى تعرُّف مدى حجم المشكلة ومحاولة طرح الحلول.

ومن جهة أخرى فإن أجيال اللغة العربية يواجهون بالتزامن تحديا آخر ليس عنهم ببعيد وهو تحدي التقنية المحيطة بهم[٢]؛ إذ تتاح المعرفة باللغات الأخرى إضافة إلى تنوع المؤثرات عبر أجهزة الجوال والحواسيب ما بين أفلام قصيرة بلغات أخرى وصوارف من لهجات وقصائد شعبية... إلى غير ذلك من المؤثرات التي تمثل بجملتها تحديا أمام لغة الأجيال ركزت عليها الاستبانة التي وزعت على عينة البحث.

١- السابق، ص١٠١.

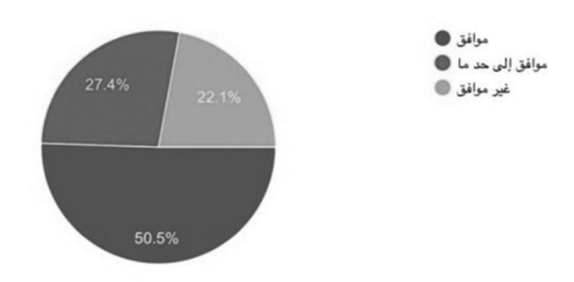
٢- انظر حول هذا مثلا: كتاب حسن مظفر الرزو، فضاء التواصل الاجتماعي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط١، ٢٠١٦م، ص٤١ وما بعدها.

الدراسة وفق المحاور:

المحور الأول: مكانة اللغة العربية في نفوس أبنائها:

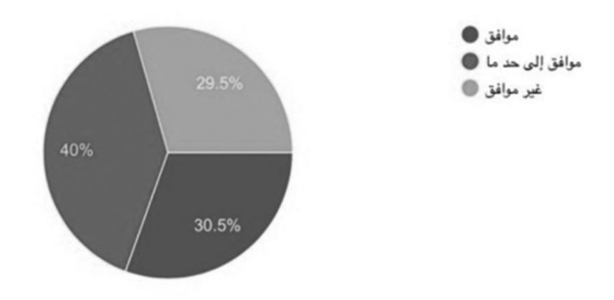
يسعى هذا المبحث إلى تتبع قياس الانتماء للغة الأم في ظل مزاحمة اللغة الأخرى من خلال عدة مؤشرات طرحت في هذا المحور وعنوانه: (مكانة اللغة العربية في نفوس أبنائها)، ومن خلال المؤشرات التي طرحت على عينة الدراسة يمكن أن نتناول ذلك في التالي:

١- طُرحت عدة مؤشرات لقياس مستوى الانتماء لدى عينة الدراسة من طلاب الطب واللغة الإنجليزية، ويهدف هذا المحور إلى معرفة أسباب تعزيز هذا الانتماء، وسيركز البحث أولا على أسباب تتصل بأداء الأقسام المتخصصة في اللغة العربية؛ إذ كنا نعلم أن مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية في جملتها تجعل من ضمن متطلباتها الأساسية تدريس مقرري (المهارات اللغوية، والتحرير العربي)؛ دعما للحفاظ على الهوية اللغوية لأبنائها، وتظهر نتائج الاستبانة في مؤشر حاول قياس مدى رضى الطلاب عن المنهج الذي يدرس للطلاب من خلال المؤشر ١/٥ في المحور الأول: (مناهج اللغة العربية التي ندرسها لا تمنحنا حب اللغة العربية). وجاءت الاستجابات على النحو التالي (موافق ٥٠,٥٪، موافق إلى حد ما ٢٧,٤٪، غير موافق ٢٢,١٪). (انظر صورة ٢). ويبدو هذا المؤشر كاشفا عن شعور الطلاب بوجود خلل في مناهج اللغة العربية، لا يجعلها داعمة لتعلق الطلاب وحبهم للغتهم العربية.



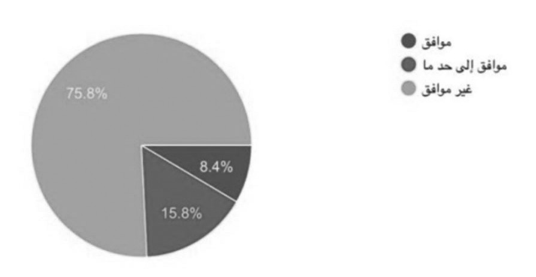
صورة ٢ (مناهج اللغة العربية التي ندرسها لا تمنحنا حب اللغة العربية).

كما حاولت الاستبانة قياس مستوى أداء أساتذة العربية الذين ينفذون المقرر من خلال (المحور الأول ٦/ ١ (أستاذي في مواد اللغة العربية لا يحبب إلينا اللغة العربية). وجاءت الاستجابات على النحو التالي (موافق ٣٠,٥٪. موافق إلى حد ما ٤٠٪. غير موافق ٢٩,٥٪). (انظر صورة ٣)، ويبدو من خلال هذا المؤشر أن التخصصات العربية تحتاج إلى مزيد من الاهتمام لدعم حب الطلاب للغتهم الأم.



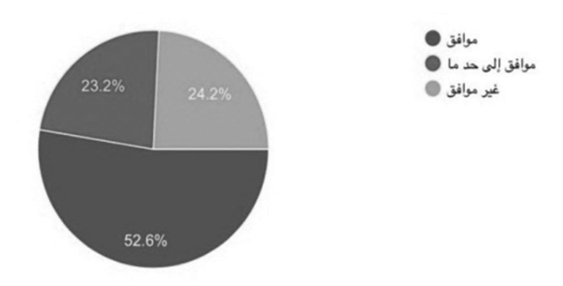
صورة ٣ (أستاذي في مواد اللغة العربية لا يحبب إلينا اللغة العربية).

٢- تحاول الدراسة أيضا في هذا المحور أن تقيس بعض ما يتعلق بتقدير الطلاب للغة العربية وتصوراتهم عنها ورأيهم حول قدرتها على مواكبة الحياة العصرية من خلال مؤشر رقم ٧/ ١ (اللغة العربية لا تستطيع مواكبة التغيرات السريعة للحياة العصرية)، وقد جاءت الاستجابات داعمة لاعتزاز الطلاب بلغتهم العربية وقدرتها على مواكبة الحياة العصرية؛ إذ جاءت (الموافقة ٧٥,٨٪، والموافقة إلى حد ما ١٥,٨٪)، (انظر صورة ٤)، وهي نتيجة توحي أن المتصورات الذهنية للطلاب عن قدرة لغتهم الأم على مواكبة الحياة العصرية التي يعيشونها تبدو كبيرة، وهذا داعم مهم لتعزيزها سواء في المناهج أو المناشط أو في تعليم العلوم بالعربية.



صورة ٤ (اللغة العربية لا تستطيع مواكبة التغيرات السريعة للحياة العصرية).

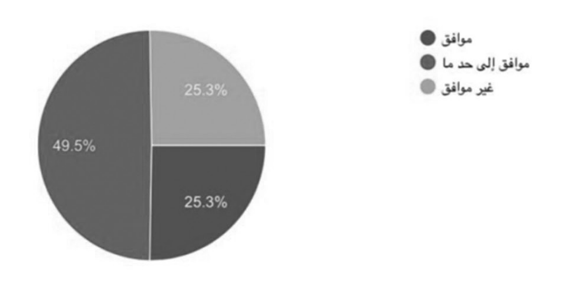
وطَرح هذا المحور سؤالا مباشرا يقيس مدى تقبلهم لفكرة تدريس العلوم ومنها الطب باللغة العربية من خلال مؤشر رقم ١٥/ ١ (أرى إصدار قرار سياسي يفرض التعليم باللغة العربية)، وجاءت الاستجابات بالموافقة بنسبة (٦ ,٥٢٪، والموافقة إلى حد ما ٢ ,٢٣٪) بما مجموعه ٨ ,٧٥٪، (انظر صورة ٥)، وهي نسبة كبيرة تؤكد وجود اعتزاز كبير لدى الطلاب بهويتهم اللغوية وسلامة تصوراتهم عن لغتهم الأم، وعن رغبة الطلاب في وجود قرار سياسي يعيد اللغة العربية إلى أن تكون لغة العلوم. وهو دعم لدعوات متعددة لتدريس الطب بالعربية من بعض المهتمين والمتخصصين في الطب[1].



صورة ٥ (أرى أهمية إصدار قرار سياسي يفرض التعليم باللغة العربية).

١ – انظر: مقال د. محمد آل فريان، تجارب ناجحة في تعليم الطب باللغة العربية، جريدة الجزيرة، ع١٣٩٧٤، ٢٦/ ١/ ١٤٢٣هـ.

٣- حاول هذا المحور أيضا قياس المحفز الذاتي للطلاب في تطوير مهاراتهم في اللغة العربية والإفادة من التقنية المعاصرة التي سعت لتقريب اللغة العربية وسهولة تنمية قدرة الطالب فيها من خلال عدة نوافذ كـ(يوتيوب) ومواقع كثيرة مهتمة بتعليم اللغة العربية، وذلك في المؤشر رقم ٢/١ (أستمع إلى الشعر الفصيح وبرامج تعليم اللغة الفصحى من موقع (يوتيوب) والمواقع المهتمة الأخرى). وجاءت النسبة ضعيفة ٢٥,٣٪، (انظر صورة رقم ٦)، وهو مؤشر يؤكد ضعف الإعلام عن هذه المواقع لدى الطلاب، وعلى ضعف المحفز الذاتي لدى الطالب للتعلم الذاتي للغة؛ إذ إن تأثير تعلمهم باللغة الأخرى واندغامهم معها تعلما وتحصيلا جعلهم ينأون عن القراءة الذاتية، وهو باعث للأقسام المتخصصة لمزيد من الاهتمام باللغة العربية وتقديمها لهم بطريقة تربوية مشوقة؛ فالذي يظهر من المؤشرات السابقة أن الطلاب يعتزون بلغتهم ويرغبون في التعلم بها ويناصرون القرار السياسي للتعليم بها، ومالم تفرض عليهم فلن يستطيع الطالب تنمية قدرته وتحقيق رغبته وتنمية اعتزازه بها ،فالاندماج داخل اللغة الإنجليزية لا يجعل لدى الطالب مزيدا من الوقت لتنمية قدراته الذاتية في التعلم.



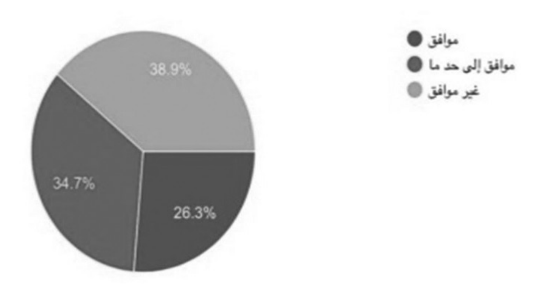
صورة ٦ (أستمع إلى برامج تعليم اللغة الفصحى من موقع يوتيوب).

٤- وإزاء ذلك حاول هذا المحور أن يقيس التحديات الأخرى التي تسهم في ضعف لغته الأم في ظل زحف اللغات الأخرى والتحديات العصرية؛ إذ لا يكفي حب الانتماء للغة الأم الذي يبدو عاليا، حيث تبرز التحديات على النحو التالي:

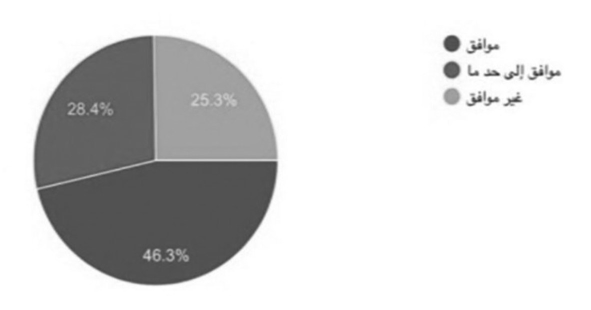
- تأثير مجتمع القبيلة ومجتمع الجامعة على الحديث باللغة الفصحى، من خلال مؤشر (٣، ٤/١) في المحور الأول، ويحاول هذان المؤشران معرفة تأثير المجتمع في ضعف الانتماء للغة الفصحى من خلال قياس الحرج والصعوبة في التحدث باللغة الفصحى في مجتمع الجامعة ومجتمع القبيلة. وقد جاءت النسبة في الحرج بالحديث باللغة الفصحى في مجتمع الجامعة تقل عن الصعوبة في الحديث بالفصحى في مجتمع القبيلة:

*مجتمع الجامعة موافق ٢٦,٣٪.

*مجتمع القبيلة موافق ٤٦,٣٪.



صورة ٧ (مجتمع الجامعة واللغة العربية).



صورة ٨ (مجتمع القبيلة واللغة العربية).

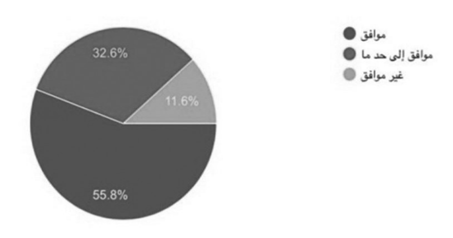
وهذا يعني أن تأثير القبيلة السلبي على اللغة الفصحى أكبر من مجتمع الجامعة، وهي نسبة متوازنة إلى حد كبير؛ فوعي مجتمع الجامعة يفوق وعي مجتمع القبيلة في العموم. وتبدو هذه النتيجة صحيحة من خلال دعم المؤشر رقم ٤١/ ١ (الازدواج اللغوي بين العامية والفصحى لا يشكل خطرا على الفصحى)، وكانت إجابة الطلاب بأن هذا الازدواج يشكل خطرا كبيرا من خلال الاستجابات التي وافقت على هذا المؤشر التي تجاوز مجموعها نسبة ٥٨ , ٢٪ (موافق وموافق إلى حد ما). ما يدل على شعور الطلاب بتضخم خطر مجتمع القبيلة على الحديث باللغة الفصحى.

٥- تحاول الدراسة تقصي الأسباب التي يمكن أن تؤدي إلى ضعف ارتباط الطالب بلغته الأم من المؤثرات الإعلامية العصرية المحيطة بالطالب، ونعلم أن الحياة المعاصرة قد شهدت مستجدات عديدة ألقت بظلالها على الطالب، فطرحت الدراسة عدة مؤشرات في الاستبانة لتبين تأثير الجانب الإعلامي ومواقع التواصل الاجتماعي في المؤشرات (١٢،١٠،٩،٨/ ١). وجاءت الاستجابات على النحو التالي:

رقم المؤشر	المؤشر	الاستجابة (موافق/ موافق إلى حد ما)
٨	تأثير قنوات الشعر الشعبي	٦٣ , ١٪
٩	تأثير قنوات الأطفال المفصحة في المراحل الأولى	٨٥ , ٣٪
١٠	تأثير قنوات الأخبار في اللغة الفصحى	٨٨ , ٤٪
١٢	تأثير مواقع التواصل الاجتماعي	٦٩ , ٥٪

توضح النسب في الجدول أعلاه مدى تأثير الجانب الإعلامي ومواقع التواصل الاجتماعي على طلاب العينة، ويبدو تأثير القنوات التلفازية المهتمة بالشعر الشعبي أقل النسب في المجموعة مقارنة بالمؤثرات الإعلامية رغم ارتفاعها في ذاتها (٣٦ , ١٪)، ويأتي التأثير الإيجابي لقنوات الأخبار التي تعزز النطق بالعربية الفصحى في التأثير الأعلى (٨٨ , ٤٪)، وهو مؤشر يكشف التأثير الخفي الذي يمارسه الإعلام -دون أن نشعر- على نمو وتعزيز مكانة اللغة العربية في نفوس أبنائها. (صورة ٩).

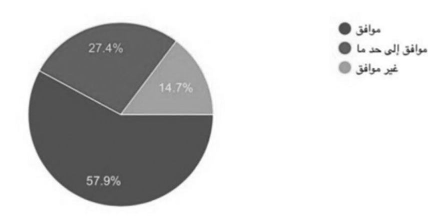
10- القنوات الإخبارية التي تقدم برامجها بالفصحى تؤثر إيجابا في حبي للحديث باللغة العربية الفصحى.
(95 responses)



صورة ٩ (قنوات الأخبار واللغة العربية).

كما يدل المؤشر (٩/ ١) في الجدول أعلاه على ضرورة التنبه لتأثير قنوات الأطفال في مراحل التعليم الأوليّ، وتأثيرها في الناشئة واعتزازهم بلغتهم الفصحى وقدرتهم على النطق بها، فالاستجابات بلغت في المؤشر نسبة عالية (٥٨ , ٣٪). (انظر صورة ١٠)، وهي تحفز على ضرورة الاعتناء بأطفالنا وتخير القنوات المناسبة لهم وتعزيز حضور العربية الفصحى في هذه القنوات المؤسسة للغة الطفل. ومن ثَم تؤثر في لغته في مراحل عمره المتقدمة.

9- متابعتي لقنوات الأطفال في مراحلي الأولى التي تتحدث الفصحى أثرت إيجابا على حبي للحديث باللغة الفصحى.
(95 responses)

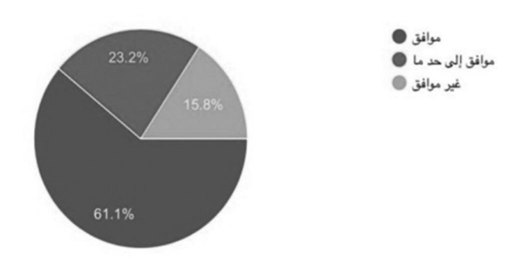


صورة ١٠ (متابعة قنوات الأطفال في المراحل الأولى وأثرها على العربية).

أما مواقع التواصل الاجتماعي فلا يبدو تأثيرها في اللغة الفصحى كبيرا من خلال النسبة (٩٦ , ٥٪)؛ ربما لأنه ما زال في بداياته ولم يتضح تأثيره بعد، علاوة على أن أغلب المواقع العربية تستخدم اللغة الفصحى في بعض مستوياتها.

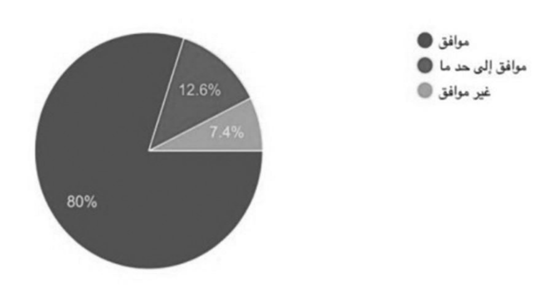
٦- طرحت الاستبانة عدة مشروعات لتنمية مكانة اللغة العربية في نفوس أبنائها ومنها مؤشر (١٣/ ١) الذي يؤكد ضرورة (دعم مشاريع تنمية الفصحى في

مراحل التعليم قبل الجامعي لتأثيرها التالي على الطالب، وجاءت الاستجابات الإجمالية (موافق وموافق إلى حد ما) بنسبة (٨٤,٣٪)، وهي نسبة عالية، وتوحي بشعور الطالب الجامعي بتأثير المشاريع الإنمائية للعربية قبل التعليم الجامعي في بناء وتعزيز الهوية العربية.



صورة ١١ (المشاريع الإنمائية للغة العربية).

كما طرحت الدراسة تأثير المدارسة للنص القرآني الفصيح بحلقات تحفيظ القرآن الكريم وتأثيرها الإيجابي في اللغة الفصحى في المؤشر ١١، وجاءت الاستجابة عالية جدا (موافق ٨٠٪- موافق إلى حد ما ٦,٢١٪) بما مجموع نسبته (٦,٢٩). وهو مؤشر يبعث على ضرورة الالتفات لحلقات تحفيظ القرآن الكريم والاعتناء بها وانتقاء الأساتذة لها، ويبلغ اعتزاز الطالب بلغته العربية الأم إلى رغبته في مشروع إصدار قرار سياسي يفرض التعليم باللغة العربية الفصحى، وقد جاءت النسبة جيدة (٥٧,٨٪).



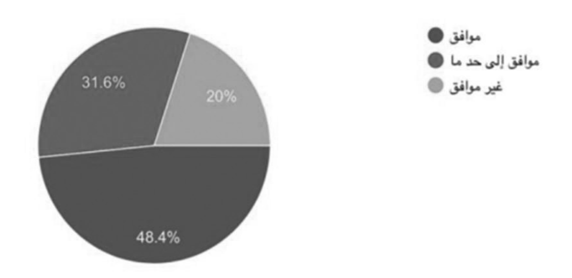
صورة ١٢ (حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتأثيرها على اللغة العربية).

المحور الثاني (دور اللغة الأخرى في تراجع دور اللغة العربية):

يركز هذا المحور على تعرف (دور اللغة الأخرى في تراجع دور اللغة العربية)، ويحاول قياس أثر اللغة الأخرى التي يدرس بها طالب الطب واللغة الإنجليزية (عينة الدراسة) في لغته الأم. ويذكر البحث هنا أنه حدد عينة من المستوى الثالث فما فوق؛ لكونهم عينة مناسبة للدراسة؛ إذ بدؤوا في مسار اللغة وقمِن تأثرهم بها.

تقيس المؤشرات عددا من المسارات، ومنها:

١. مدى انتماء الطالب واعتزازه باللغة الأجنبية مقارنة بلغة الأم من خلال المؤشر (٢/ ٢ اهتمامي باللغة الأم قلّ نظرا لوجود التعليم باللغة الإنجليزية/ الذي جاءت نسبة الموافقة عليه ٨٠٪) (صورة ١٣)، وهي نسبة عالية تدفع مثل هذه المؤسسات المعنية وتخصصات العربية إلى التنبه لتأثير اللغات الأخرى على أبنائنا الطلاب، كما تحفز المؤسسات إلى دعم تكثيف حضور مناهج اللغة العربية بصورة أكبر حفاظا على دعم الهوية العربية.

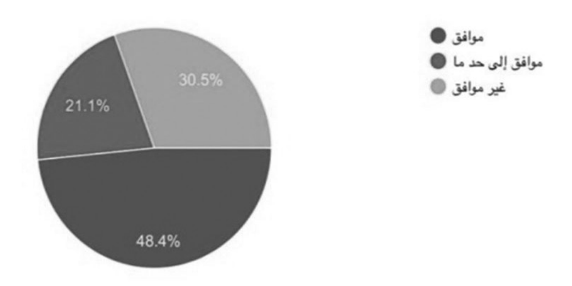


صورة ١٣ (اهتمامي باللغة الأم قل نظرا لوجود التعليم باللغة الإنجليزية).

وبنسبة مقاربة يظهر المؤشر رقم (١/ ٢)، مدى المتعة التي تتكرس في نفوس الطلاب من حديثهم باللغة الأخرى؛ إذ تَظهر النسبة ٣, ٨٤٪، يدعم ذلك المؤشر رقم (٧/ ٢)، أجد متعة كبيرة في دراسة العلوم الطبيعية والطب بلغة أخرى، وجاءت النسبة (١, ٦٥)، ومن هنا نرى أن التدريس باللغة الإنجليزية للعلوم المختلفة يؤثر قطعا في انتماء الطالب للغته الأ،م ويؤثر في بناء هويته اللغوية وما يتصل بها من بناء هويته الاجتماعية، ونذكر أن النسبة عالية لدى الطلاب لإصدار قرار يفرض التعليم بالعربية

كما ورد سابقا (٨, ٧٥٪). وفي العموم فإن التدريس بلغة أجنبية للعلوم والطب يجعل انتماء الطالب للغته العربية ضعيفا كما تؤكد عينة الدراسة.

يرتبط بذلك بما يحاوله المؤشر ٤/ ٢ (أرى ضرورة تدريس جميع العلوم ومنها الطب باللغة العربية) من قياس مدى رؤية الطلاب لإمكانية تدريس الطب باللغة العربية بعد أن أمضوا فصولا من تدريسها بلغة أخرى وقياس مدى ارتباطهم باللغة الأم. وجاءت النتيجة (موافق / موافق إلى حد ما بنسبة ٥, ٦٩٪)، وهي نسبة ترتقي إلى الجيدة من مجموع الطلاب.



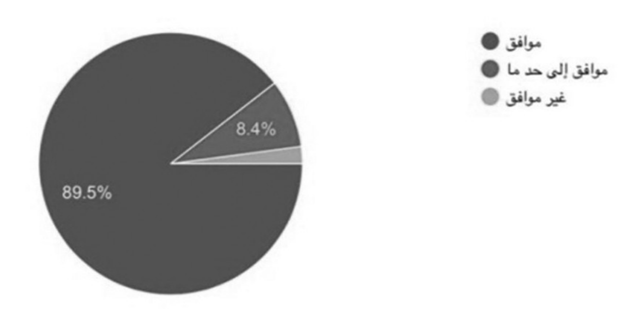
صورة ١٤ (أرى ضرورة تدريس جميع العلوم ومنها الطب باللغة العربية).

ومع ملاحظة أن نسبة مهمة من الطلاب تمسكوا باللغة الأخرى حيث بلغت ٥, ٣٠٪ من عينة الدراسة. (صورة ١٤)، وهي نسبة توحي بأن التعليم باللغة الأخرى قد أثَّر في هؤلاء الطلاب؛ فتصويتهم بعدم الموافقة على أن تكون لغتهم الأم لغة التعليم يؤكد تأثير فرض اللغة الأخرى عليها؛ إذ لا يلبث الطالب أن يتأثر بهذه اللغة ويندغم معها ويفضل التعليم بها رغم اعتزازه بلغته الأم من خلال المؤشر الأول في المحور الأول سابقا، لكن انتماءه العاطفي والوجداني يتراجع في ظل فرض التعليم باللغة الأخرى مهما بلغت نسبة الحب للغة الأم، كما أن الثنائية اللغوية تؤثر في اللغة الأم رغم تفاوت النظر إليها بين الطلاب من خلال عينة الدراسة في المؤشر ١٥/ الثنائية اللغوية لا تؤثر على اللغة العربية، فقد جاءت الاستجابات (موافق ٨, ٣٥٪ موافق إلى حد ما ٨, ٣٦٪، وغير موافق ٤, ٢٧٪) وهذا التقارب في النسب يجعل الصورة غير واضحة في أذهان الطلاب رغم إحساسهم بوجودها.

١. حاولت الدراسة قياس الأسباب المحيطة الداعمة لتأثير زحف اللغة الأخرى على العربية على النحو التالي:

رقم المؤشر	المؤشر	النسبة (موافق/ موافق إلى حد ما).	
٥	متابعة الأفلام والبرامج العلمية باللغة الأخرى.	٪٦٠	متوسطة
٦	متابعة الأفلام القصيرة بلغة أخرى.	٪٤١,١	منخفضة
٨	العمالة المنزلية الأجنبية.	٪٥٣,٧	منخفضة
٩	العمال الأجانب.	٪٦٤,٢	متوسطة
١١	مجال العمل والتوظيف يدفع لتعلم اللغة الأخرى.	٪٩٨,٩	عالية جدا
١٢	المراجع العلمية باللغة الأخرى.	٪٩٠,٦	عالية

يبين الجدول أعلاه مدى دعم المؤثرات الخارجية للتأثير في تراجع دور اللغة العربية لدى عينة الدراسة، وظاهر أن النسبة الأعلى تأتي لتأثير سوق العمل والتوظيف الذي يستدعي طغيان اللغة الأخرى على اللغة الأم، وجاءت النسبة عالية جدا لدى العينة (٪٩٨,٨) (انظر صورة ١٥).

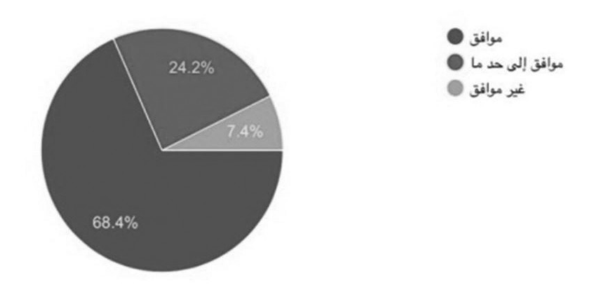


صورة ١٥ (مجالات العمل والتوظيف تدفع إلى تعلم لغات أخرى).

وهذا يدفع الدراسة إلى دعوة الجهات المهتمة من مؤسسات جامعية ومدنية إلى فتح مجالات وظيفية داعمة للعربية وتعزز بناء الهوية.

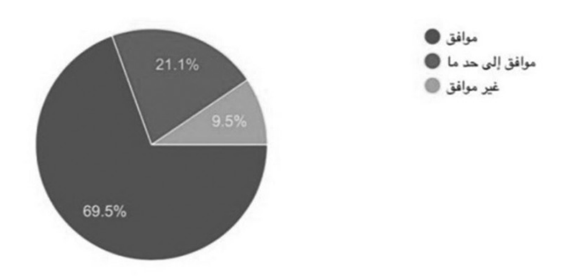
وجاءت المراجع الأجنبية في المرتبة الثانية من المؤثرات، وهذا طبيعي وداعم للرؤية العامة في تأثير محتويات العليم على اندماج الطالب في جو اللغة الأخرى. ولا تُظهر العينة تأثيرا كبيرا للعمال المنزليين ولا للعمال الأجانب في اللغة العربية رغم دورها في إحداث هجنة اللغة العربية. بل إن العينة تكشف عدم التأثير الكبير لمتابعة الأفلام على اللغة الفصحى.

12- وجود المراجع العلمية باللغة الأجنبية يؤثر على ارتباطي باللغة العربية. (95 responses)



صورة ١٥ (المراجع الأجنبية وأثرها في اللغة العربية).

١. حاولت الدراسة كشف مدى تأثير تقدير المجتمع للمتحدث باللغة الأجنبية مقارنة بمن يتقن الفصحى من خلال مؤشر (تقدير المجتمع للغة الأخرى ومن يتحدث بها)، وجاء المؤشر (١٠/ ٢) بنسبة ٢, ٨٤٪ وجاء المؤشر ١٣ بنسبة (٦, ٩٠٪)، والنسبتان متقاربتان وتوحيان بسلامة العينة من جهة، حيث تقصد البحث حين طرح هذا السؤال الكشف عن صدق عينة الدراسة:



صورة ١٦ (تقدير المجتمع للمتحدث باللغة الإنجليزية).

ومن جهة أخرى تبدو هذه النسبة العالية من أهم ما يستدعي التوقف لقراءة تحولات المجتمع وتأثير مسارات اللغة العولمية التي لا يقف تأثيرها عند حدود عينة الدراسة، بل ينتقل إلى المجتمع بعامة الذي يُبدي تقديرا للمتحدث بلغة أجنبية على حساب تقدير التحدث باللغة الأم.

الخاتمة:

حاولت الدراسة في محوريها تتبع مظاهر انتماء الطلاب للغتهم الأم في ظل زحف اللغة الأخرى، وبُنيت على محورين رئيسين وعدة مؤشرات، أظهرت النتائج التالية:

- بيّنت الدراسة النسبة العالية لاعتزاز الطلاب وانتمائهم الوجداني للغتهم الأم وقدرتها على المعاصرة رغم مزاحمة اللغة الأخرى.
- أكّدت الدراسة رغبة الطلاب في تدريس العلوم والطب بلغتهم الأم.
- أثبتت الدراسة مدى تأثر الطلاب بضغط المجتمع القبلي على التحدث باللغة الفصحى.
- لا يبدي الطلاب أثرا كبيرا لتأثير مواقع التواصل الاجتماعي على اللغة الفصحى.
- أبانت الدراسة عن ضعف دور المؤسسات والتخصصات العربية ومناهجها في دعم انتماء الطلاب للغة الفصحى.
- كشفت الدراسة عن تأثير حلقات تحفيظ القرآن الكريم وبرامج الأطفال في مراحل التعليم الأولى على الفصحى إيجابا.

- التأثير الإيجابي للقنوات الإخبارية التي تتحدث الفصحى على الطلاب.

وتوصي الدراسة بضرورة التفات المؤسسات المعنية بالعربية، وكذا الجامعات إلى نتائج مثل هذه الدراسات الميدانية والإفادة منها لدعم الهوية العربية لطلابنا في تخصصات اللغات الأخرى والطب والعلوم من خلال تكثيف البرامج العربية وإعادة النظر في المناهج المقدمة لهم، وتحديثها وتطويرها بصورة دائبة؛ تعزيزا لانتمائهم للغة العربية. كما تدعو الدراسة إلى إعادة النظر في قرار تدريس الطب والعلوم باللغة الإنجليزية؛ إذ بينت نتائج الدراسة الإحصائية رغبة كبيرة لدى الطلاب في تدريسها باللغة العربية، وهو ما يدعو له حتى بعض المتخصصين في الطب. وتوصي الدراسة أيضا بالاعتناء بمراحل الطفولة وما يتابعه الأطفال من برامج تلفازية تؤثر فيه وذلك مراحله التالية، كما توصي بضرورة إعادة النظر في المشرفين على حلقات تحفيظ القرآن الكريم لما تبين من أثرهم الإيجابي على لغة الطلاب من خلال الاستبيان.

ملاحق:

الاستبانة:

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان البحث:

اللغة العربية في نفوس أبنائها مقارنة باللغات الأخرى

(دراسة مسحية على فئة من طلاب التعليم الجامعي من طلاب المستوى الثالث فما فوق في تخصص اللغة الإنجليزية والطب).

الباحث د. عبدالرحمن بن حسن المحسني، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك خالد

عزيزي الطالب: يعمل الباحث على موضوع يهدف إلى تعرّف مدى ارتباط أبناء اللغة العربية بلغتهم الأم، ولأنك محور اهتمام البحث؛ فإني أتمنى أن تكون إجاباتك شفافة صادقة تعبر عما في نفسك تجاه لغتك العربية. وستكون استجابتك هي محور العمل، وسيكون استخدامها لأغراض البحث العلمي فقط، متمنيا لك التوفيق.

الاسم (اختياري): ....

التخصص الجامعي (إلزامي): ....

المحور الأول: مكانة اللغة العربية في نفوس أبنائها:

م	المؤشر	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق
١-	أحب لغتي العربية وأعتز بانتمائي لها.			
٢-	أستمع إلى الشعر الفصيح وبرامج تعليم اللغة الفصحى من موقع (يوتيوب) والمواقع المهتمة الأخرى.			
٣-	أجد حرجا من زملائي عند حديثي باللغة العربية الفصحى في مجتمع الجامعة.			
٤-	أجد صعوبة في الحديث باللغة العربية الفصحى في مجتمع القبيلة.			

م	المؤشر	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق
٥-	مناهج اللغة العربية التي ندرسها لا تمنحنا حب اللغة العربية.			
٦-	أستاذي في مواد اللغة العربية لا يحبب إلينا اللغة العربية.			
٧-	اللغة العربية لا تستطيع مواكبة التغيرات السريعة للحياة العصرية.			
٨-	قنوات التلفزة المهتمة بالشعر الشعبي تؤثر سلباً في لغتي العربية الفصحى.			
٩-	متابعتي لقنوات الأطفال في مراحلي الأولى التي تتحدث الفصحى أثرت إيجابا في حبي للحديث باللغة الفصحى.			
١٠-	القنوات الإخبارية التي تقدم برامجها بالفصحى تؤثر إيجاباً في حبي للحديث باللغة العربية الفصحى.			
١١-	حلقات تحفيظ القرآن الكريم تؤثر إيجابا على دعم اللغة العربية الفصحى.			
١٢-	مواقع التواصل الاجتماعي تؤثر سلبا على لغتي العربية الفصحى.			
١٣-	أرى دعم مشاريع تنمية الفصحى في مراحل التعليم قبل الجامعي.			
١٤-	الازدواج اللغوي بين العامية والفصحى لا يشكل خطرا على الفصحى.			
١٥-	أرى أهمية إصدار قرار سياسيي فرض التعليم باللغة العربية.			

المحور الثاني: دور اللغة الأخرى في تراجع دور اللغة العربية:

م	المؤشر	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق
١-	أجد متعة في التحدث باللغة الأجنبية.			
٢-	اهتمامي باللغة الأم قلّ نظرا لوجود التعليم باللغة الإنجليزية.			
٣-	تأثّرت بأستاذي الذي لا يتحدث اللغة العربية.			
٤-	أرى ضرورة تدريس جميع العلوم ومنها الطب باللغة العربية.			
٥-	متابعتي الأفلام والبرامج العلمية الأجنبية يؤثر على حديثي باللغة العربية.			
٦-	متابعتي للأفلام القصيرة بلغة أخرى تؤثر على لغتي العربية الأم.			
٧-	أجد متعة كبيرة في دراسة العلوم الطبيعية والطب بلغة أخرى.			
٨-	العمالة المنزلية الأجنبية تؤثر على حديثي باللغة العربية الفصحى.			
٩-	العمالة الأجنبية تؤثر على حديثي باللغة العربية الفصحى.			
١٠-	أجد تقديرا من المجتمع لمن يتحدث باللغة الأجنبية أكثر ممن يتقن الفصحى.			
١١-	مجالات العمل والتوظيف تدفع لتعلم لغات أخرى.			

م	المؤشر	موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق
١٢-	وجود المراجع العلمية باللغة الأجنبية يؤثر على ارتباطي باللغة العربية.			
١٣-	المجتمع يقدر من يتحدث باللغة الأجنبية أكثر ممن يتقن الفصحى.			
١٤-	أرى أن مواقع التواصل الاجتماعي الأجنبية تؤثر على حبي للغتي العربية.			
١٥-	الثنائية اللغوية في التعليم لا تؤثر على اللغة العربية.			

انتهت الاستبانة.

(دوّن -مشكورا- ملاحظاتك العامة على الاستبانة وما تود إضافته إن رغبت)

فهرس الموضوعات

مباحث لغوية ٣٢

قيمة اللغة العربية

يعمل مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية على تعزيز خدماته في المجالات المتنوعة لخدمة اللغة العربية وعلومها، إذ ينطلق من رؤية موحّدة في أعماله عامة – ومنها برنامج النشر – وذلك بأن يطلق برامجه ودراساته في المجالات التي تفتقر إلى جهود نوعية، أو التي تحتاج إلى تكثيف العمل فيها.

ويجتهد المركز في انتقاء الكتب التي تصدر ضمن هذه السلسلة، بأن تكون مضيفة إلى حقلها المعرفي، ومفتاحا للمشروعات العلمية والعملية، ومحققة لتراكم معرفيٍّ مثرٍ.

وإذ تشيد الأمانة العامة في المركز بجهدٍ مؤلف الكتاب، تأليفاً، وتصحيحاً لمسوداته، ومراجعةً للطباعة، فإنها تدعو الباحثين كافة من أنحاء العالم إلى المساهمة في هذه السلسة، لتتكامل مع سلاسل المركز العلمية الأخرى.

ويسعد المركز بالعمل مع المؤسسات والأفراد المختصين والمهتمين في خدمة لغتنا العربية، وتكثيف الجهود والتكامل نحو تمكين لغتنا، وتحقيق وجودها السامي في مجالات الحياة.






ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ – ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa


9 786039 096412